رسائل شوق وحنين
(٤)

# رسائل إلى ..
# القرابة المظلومة

## ردود علمية على الظالمين لأهل بيت النبوة

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

# هذا الكتاب

هذا الكتاب زفرات ألم على المظالم التي تعرض لها أقارب رسول الله ﷺ ابتداء من أمه وأبيه، واللذين رميا بالشرك، وحكم عليهما بأنهما من أهل النار، بينما اعتبر جميع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهو زفرات ألم في حق أبي طالب عم رسول الله ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضحى في سبيله بكل ما يملك، لكنهم يذكرون أنه مات على الشرك، مع أنه لم يعرف الشرك في حياته، وآمن برسول الله ﷺ قبل أن يتنزل عليه ملاك الوحي.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العالمين تلك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مع مريم وآسية وفاطمة في محل واحد.. والتي أخبر رسول الله ﷺ أنه لم يعوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكنا لا نكاد نسمع بها.

وهو زفرات ألم في حق الإمام الحسين وأصحابه في الطفوف.. والذي صار ذكرهم بدعة، والبكاء عليهم هرطقة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الأبطال المنسيين الذين كانوا أكبر من نصر الإسلام، وفدوه بأنفسهم، لكنهم أهملوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثوار المضطهدين الذين

رسائل شوق وحنين

(4)

# رسائل إلى القرابة المظلومة

## ردود علمية على الظالمين لأهل بيت النبوة


د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com



الطبعة الأولى

1438 ـ 2017

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس المحتويات

## المقدمة

هذا الكتاب محاولة لتعميق المحبة الحقيقية لأهل بيت النبوة، وإخراجها من السطحية والسذاجة والتناقض إلى المعاني الحقيقية المرادة منها، والتي تنسجم مع العقل والفطرة والدين.

ذلك أن كل تلك الأحاديث النبوية الكثيرة المتفق عليها، والتي تعتبر حبهم والولاء لهم ركنا من أركان الدين، وشعبة من شعب الإيمان، في نفس الوقت الذي تعتبر فيه بغضهم نفاقا، لم تكن تقصد ذلك الحب السطحي الذي يتغني فيه المرء بمن يحب من دون أن يكون له أي آثار عملية.

فذلك غير صحيح، لأن محبة أهل البيت تندرج ضمن محبة المسلمين جميعا، ولا يصح لأحد أن يفاضل في ذلك.. لكن المراد منها ما هو أعمق منها.

فقد كان رسول الله ﷺ ـ بما أعطاه الله من علم بما سيحصل لأمته من تحريف وتبديل ـ يعلم جيدا حاجة الأمة إلى البوصلة التي تحدد لها الاتجاه الصحيح، والسفينة التي تحتاج إلى ركوبها، حتى لا تغرق في بحر الفتن..

وكان أولى الناس بذلك ــ لا بسبب نسبهم فقط ــ أهل البيت، لا بذلك المعنى الساذج الذي يتصوره البعض، ويفاخر به، ويطلب من الناس أن يحسنوا إليه، ويقفوا تعظيما له بسبب ذلك النسب الذي يحمله.. فذلك لا يتناسب مع الدين، ولا مع قيم الدين، بل هو يتناقض معها، وقد ورد في الحديث الصحيح: (من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)[1]

---

[1] رواه مسلم (2699) ، وأبو داود (1455) و (4946) ، وابن ماجه (225)

ولكن أهل البيت الموصى بهم هم أولئك الـذين وقفـوا في وجه الطغيـان، وبـذلوا دمـاءهم في سـبيل الحفـاظ على الـدين الأصيل، وقد كان رسول اللـه ﷺ بمـا آتـاه اللـه من نـور النبـوة يدعو إلى الانضمام إلى صفوفهم، وترك صفوف أعدائهم..

كان ﷺ بتلك الأحاديث يدعو إلى الانضمام إلى الإمـام علي عند خلافه مع أهل الجمل أو أهل صفين أو أهـل النهـراوين.. أو غيرهم.. وليس الوقوف مع أعدائه، أو الوقوف موقـف الحيـاد.. سواء في ذلـك الـزمن الـذي جـرت فيـه تلـك المعـارك، أم في سائر الأزمنة، لأن الدين أسس في ذلك الوقت، وآثار مـا حصـل بقيت إلى اليوم.

وكان ﷺ يدعو إلى الانضمام للإمام الحسن حتى لا يضـطر إلى عقد ذلـك الصـلح الـذي يتنـازل فيـه عن ولايـة المسـلمين، ويتركها للبغاة الذين استطاعوا أن يشتروا الذمم الـتي لم تفقـه جيدا معنى الولاء والمحبة لأهل بيت النبوة.

وكان ﷺ يدعو إلى الانضمام للإمام الحسـين، وعـدم تركـه وحيـدا، بين رمـال الطفـوف، ثم يتهم أهـل الكوفـة وحـدهم بالخيانـة، مـع أن كـل من لم يتحـرك لمسـاعدته كـان خائنـا، ومخالفا لتلك الوصايا التي تدعو إلى حبه.. فهـل يمكن أن يحب شخص شخصا، ثم يتركه أحوج ما يكون إليه؟

وكـان ﷺ يـدعو إلى الانضـمام إلى صـف زيـد بن علي بن الحسـين في مواجهـة هشـام والأمـويين.. وإلى الانضـمام إلى صف محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم في مواجهـة المنصـور.. وإلى الانضمام إلى إدريس وغيره في مواجهة هارون..

وإلى الـذهاب إلى تلـك السـجون والزنـازن الـتي امتلأت بالعلويين والحسنيين والحسينيين وكل أهل بيت النبـوة، بسـبب

اعتراضهم على تحريف دين جدهم، لإخراجهم منهـا، لا الوقـوف موقف المتفـرج، بـل المثـني على المسـتبدين الـذين ملأوا بهم السجون، ثم التغني بعد ذلك كذبا وزورا بحب أهل البيت.

هذا هو الولاء الحقيقي لأهل بيت النبوة، وهذه هي المحبـة الحقيقية التي مثلهـا عمـار بن ياسـر الـذي لم يـترك سـيفه في الوقوف مع الإمام علي، كمـا لم يتركـه في وقوفـه مـع رسـول الله ﷺ.. فكلاهما واحد، والوقوف مع أحدهما، سببه ربط الـدين بالبشر لا بالله..

ذلك أن دعوة الإمام علي لم تكن سوى دعوة رسول اللـه ﷺ.. والرسـول ﷺ نبـه إلى ذلـك في كـل تلـك الأحـاديث الـتي تـذكره.. فهـو لم يـذكره لأجـل قرابتـه، ولا كونـه صـهره، وإنمـا للمسؤولية المناطة به.. فهو تلميذه الأول والأكبر.

ولكن كل هذه المفاهيم عراها ما عرى غيرها من سطحية، حيث صارت المحبة لهم لا تختلف عن ذلك الغزل الرقيق الـذي لا أثر له في الواقع.

بـل عراهـا التنـاقض العجيب الـذي تصـرخ منـه الفطـرة والعقـول السـليمة ألمـا.. فمن العجيب أن ينـادي المتناقضـون بحبهم للإمـام علي، وحبهم لأعدائـه في وقت واحـد.. ولسـت أدري كيف يجتمع هذان المتناقضان في قلب واحد؟

ولـو أننـا حللنـا حقيقـة ذلـك القلب لوجـدنا حبـه الحقيقي لمعاويـة، وليس للإمـام علي، ذلـك أنهم يفرحـون لكـل حـديث مكذوب في حق معاوية، ويحزنون لكل حـديث صـحيح في حـق الإمـام علي، ويحـاولون أن يسـدلوا عليـه كثبانـا من رمـال النسيان..

وهكذا تجدهم يرمون بالبدعة من يحب الإمام علي، ويدعو إليـه وإلى القيم الـتي جـاء بهـا، ويرمونـه بـالرفض والمجوسـية والشرك وكل أنواع الكفر، في نفس الوقت الذي يعتـبرون فيـه محب معاوية والمدافع عنه سنيا وسلفيا وصحيح العقيـدة، حـتى لـو جـاءت كـل الأحـاديث تذمـه، وتـدعو إلى ذمـه، وتـدعو إلى مواجهة التحريفات التي جاء بها.

بل إن النسائي ـ صاحب السنن ـ قُتل بسبب تأليفه لكتـاب في خصائص الإمام علي، وقـد طلب منـه حينهـا أن يكتب مثلـه في فضائل معاوية فقال: ما أعرف له فضيلة إلا: (لا أشـبع اللـه بطنه!)، فضربوه حتى قتلوه[1].

وهكـذا نجـد المعاصـرين لنـا يطلبـون منـا ألا نكتفي بـذكر فضائل أهل البيت، بل علينا إذا أردنا أن ندخل رياض أهل السنة أن نكتب في فضـــل أعـــدائهم الـــذين حـــاربوهم وقتلـــوهم وشردوهم.. ثم يصخون آذاننا كـل حين بـأنهم يحبـون أهـل بيت النبوة.. ولست أدري كيف تجمع قلوبهم كل هذه التناقضات.

لـذلك كـان هـذا الكتـاب زفـرات ألم على المظـالم الـتي تعرض لها أقارب رسول الله ﷺ ابتداء من أمـه وأبيـه، واللـذين رميا بالشرك، وحكم عليهما بأنهمـا من أهـل النـار، بينمـا اعتـبر جميع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهو زفرات ألم في حق عم رسول الله ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضحى في سبيله بكل ما يملك، لكنهم يذكرون أنـه مات على الشرك، مع أنـه لم يعـرف الشـرك في حياتـه، وآمن برسول الله ﷺ قبل أن يتنزل عليه ملاك الوحي.

---

1() سير أعلام النبلاء 14: 125، وفيات الأعيان 1: 77.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العـالمين تلـك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مـع مـريم وآسـية وفاطمـة في محـل واحـد.. والـتي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنـه لم يعـوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكنا لا نكاد نسمع بها.

وهـو زفـرات ألم في حـق الإمـام الحسـين وأصـحابه في الطفوف.. والذي صار ذكـرهم بدعـة، والبكـاء عليهم هرطقـة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئـك الأبطـال المنسـيين الـذين كانوا أكـبر من نصـر الإسـلام، وفـدوه بأنفسـهم، لكنهم أهملـوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثـوار المضـطهدين الـذين قاموا لمواجهة الاستبداد والظلم وتحريف الدين، فقمعوا وقتلـوا وعلقوا في الصلبان وامتلأت بهم السجون.

وقد كنا نود أن نذكر زفرات أخرى أكثر ألمـا وحزنـا.. لكنـا أمسكنا عن ذلك.. ونستغفر الله تعالى من التقصير..

وقد حاولنا قدر المستطاع ألا نـترك للعاطفـة وحـدها حـق الكلام، بـل خلطنـا كلامنـا بالحجـاج الـذي تقتنـع بهـا العقـول السليمة.. فالعاطفة المجردة عن العقـل هـوى مجـرد.. ولـذلك كان كمال العاطفة انسجامها مع العقل.

لذلك كانت هذه الخطابات خطابات عقلية مصاغة بصـياغة عاطفية، ذلك أنه لا يملك أحد من النـاس مهمـا أوتي من قـوة، أن يتكلم عن مظـالم قرابـة رسـول اللـه ﷺ دون أن تهـزه العاطفة، وتتغلب عليه المشاعر الجياشة.

وكيف لا يفعل ذلك، وهو يقرأ بأم عينينه ومن كل المصادر، ذلك التنكيل والتشريد والتقتيل والعـزل الـذي أصـابهم، وكـأنهم أبناء أبي جهل، لا أبنـاء رسـول اللـه ﷺ.. وقرابـة أبي سـفيان لا قرابة رسول رب العالمين.

مع أن الله تعالى في القرآن الكريم عند حديثه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي أهميـة خاصـة لـذريتهم، ويـبين أن لهم مكانة كبيرة، لا من الجانب العاطفي فقط، وإنما من جانب العملي أيضـا، باعتبـار أن لهم اصـطفاء خاصـا، ودورا مهمـا في الرسالة وحفظها والوفاء بمقتضياتها.

ومن الأمثلـة الواضـحة على ذلـك قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحًـا وَآلَ إِبْـرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَـالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمـران: 33، 34]، فمن العجيب أن يطالب عشاق آل بيت النبوة بالدليل بعد هذه الآية الكريمة، وهي أوضح الواضحات.. فإن كان الله تعالى قد اصطفى آل إبراهيم وآل عمران.. وهما أدنى من رسول الله ﷺ بكثير.. فكيف لا يصطفى آل بيت رسول الله ﷺ؟

ولـذلك قـرأ الإمـام الحسـين على ابن الأشـعث تلـك الآيـة عندما قال له: (يا حسين بن فاطمة، أيّ حرمـة لـك من رسـول الله ﷺ ليست لغيرك؟)، ثمّ قال لـه: (واللـه إنّ محمـداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد)[1]

ولم يكتـف القـرآن الكـريم بتلـك الإشـارة الصـريحة الـتي تضـمنتها تلـك الآيـة الكريمـة، بـل ورد في ذلـك نصـوص أخـرى كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْـكَ حُجَّتُنَـا آتَيْنَاهَـا إِبْـرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِـهِ نَرْفَـعُ دَرَجَـاتٍ مَنْ نَشَـاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَـا لَـهُ

---

[1] () الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 222..

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) [الأنعام: 83 - 87]، فهذه الآيات الكريمة توضح الصلات النبسية بين الأنبياء جميعا، وتبين أن الاجتباء الإلهي شملهم بهذا الشكل، ولا راد لاجتباء الله.

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا التعميم، بل ذكر تفاصيل كثيرة تدل عليه، حتى يترسخ في الأذهان أن اصطفاء الأنبياء فضل إلهي باعتباره استمرارا للنهج الرسالي وتوحيدا لمسيرته حتى لا تنحرف به الطرق والمناهج، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى من اصطفائه لآل إبراهيم عليهم السلام في آيات متعددة، كقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: 27]

ومنها ما ذكره من أن إبراهيم عليه السلام نفسه دعا الله أن يكون الخط الرسالي ممتدا في ذريته، فقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 124]

بل إن الله تعالى صرح بأن الأمر باق في عقبه، فقال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 28]

بل إن الله تعالى ذكر أن إبراهيم عليه السلام – كما سأل ربه أن يجعل ذريته أئمة للناس - سأله أيضا أن يوفق الناس

لمودتهم والاقتداء بهم، فقال – على لسان إبراهيم عليه السلام -: ﴿رَبَّنَـا إِنِّي أَسْـكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِـوَادٍ غَيْـرِ ذِي زَرْعٍ عِنْـدَ بَيْتِـكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكـره اللـه تعـالى من اصـطفائه لآل موسى وآل هارون عليهم السلام، كما يشير إلى ذلك قولـه تعـالى في قصـة طـالوت: ﴿ وَقَـالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَـةَ مُلْكِـهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَـرَكَ آلُ مُوسَـى وَآلُ هَـارُونَ تَحْمِلُـهُ الْمَلَائِكَـةُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248]

بل إننا نجد أن الله تعالى اختـار هـارون أخـا موسـى عليـه السلام ليكون معينا له ووزيـرا بنـاء على طلب موسـى، فقـال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـابَ وَجَعَلْنَـا مَعَـهُ أَخَـاهُ هَـارُونَ وَزِيـرًا ﴾ [الفرقان: 35]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكـره اللـه تعـالى من اصـطفائه لآل يعقوب عليهم السلام، وهم وإن كانوا جزءا من آل إبـراهيم، لكن القرآن خصهم بالذكر عند الحـديث عن يوسـف بن يعقـوب عليهما السلام في قوله تعـالى: ﴿وَكَـذَلِكَ يَجْتَبِيـكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُـكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْـكَ مِنْ قَبْـلُ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]

وذكرهم عند الحديث عن زكريا عليه السلام حينما دعا الله عز وجـل وطلب الذريـة الصـالحة، فقـال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَـدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: 5، 6]

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكـره اللـه تعـالى من اصـطفائه لآل داود عليهم السـلام، والـذين ورد ذكـرهم في قولـه تعـالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُـكْرًا وَقَلِيـلٌ مِنْ عِبَـادِيَ الشَّـكُورُ ﴾ [سـبأ: 13]، وقـد بين القـرآن الكـريم أن سـليمان ورث داود، فقـال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]

لكن كــل ذلــك لم يلتفت إليــه، وكــأن اللــه تعــالى بين اصطفاءه الخاص لذريات الأنبياء، وأقاربهم إلا رسـول اللـه ﷺ.. فهو وحـده المخـالف لهم، مـع أن الأصـل أن يكـون أولى بـذلك منهم، إن لم يكن نظيرا لهم فيه، وقد قال تعالى عنه: ﴿قُـلْ مَـا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَـلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِـعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]

لهـذا نجـد ابن تيميـة ــ وهـو من أكـبر المنظـرين للنصـب والعداوة لأهل البيت في هذه الأمة ـ يعتبر تقديم آل الرسول ﷺ على غيرهم أثر من آثار الجاهلية في تقديم أهل بيت الرؤســاء، كما نص على ذلك في (منهـاج السـنة) – على طريقتـه الخاصـة في التحايل - بقوله: (وإنما قـال من فيـه أثـر جاهليـة عربيـة أو فارسية: إن بيت الرسول أحق بالولاية. لكون العرب كـانت في جاهليتها تقدم أهل بيت الرؤساء، وكذلك الفرس يقـدمون أهـل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنـه كلام يشـير بـه إلى هـذا، كمـا نقل عن أبي سفيان، وصاحب هذا الرأي لم يكن لـه غـرض في علي، بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من علي، وإن قـدر أنه رجح عليا، فلعلمه بأن الإسـلام يقـدم الإيمـان والتقـوى على النسب، فأراد أن يجمع بين حكم الجاهلية والإسلام)(1)

وابن تيمية ـ وكـل من وافقـه على هـذا القـول وغـيره من

---

(1) منهاج السنة النبوية (6/ 455)

الأقوال الشنيعة ـ يرمي كما كبير من النصوص التي يوصي فيها رسول الله ﷺ بآل بيته، ويعتبرهم مراجع الأمة من بعده، بل يعتبرهم صمام أمنها، وسفينة نجاتها كما قال ﷺ: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق)(1)

وفي الحديث المتواتر في كتب السنة، قال ﷺ: (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) (2)

وفي رواية: (أيها الناس. إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول من ربي فأجيب. وإني تارك فيكم الثقلين. أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي)(3)

وللأسف فإن هذا الحديث مع وروده بلفظ (كتاب الله وعترتي) ومع كثرة الروايات الواردة فيه بهذا المعنى استبدل

1() رواه الفاكهي في أخبار مكة (3/رقم1904)، وأبو يعلى في مسنده الكبير [كما في تفسير ابن كثير4/115]، والقطيعي في زوائده على فضائل الصحابة (2/785/1402)، والحاكم في المستدرك (2/343) و(3/150) وصحّحه على شرط مسلم.

2() رواه أبو داود (السنن 5/ 5/ 13/ رقم 4607) واللفظ له، والترمذي (العلم 16/ رقم 2676) وابن ماجه (المقدمة 6/ـ 42 و43 و44) والحاكم (العلم 1/ـ 175/ـ 329) وصححه، ووافقه الذهبي والألباني، وقال الترمذي: حسن صحيح..

3() رواه مسلم ح / 2408، سنن الترمذي: ح / 3788، مسند أحمد 3/ـ 17، المستدرك 3/ 148 وغيرها.

بحديث آخـر، وصـار هـو المعـروف عنـد النـاس، وهـو اسـتبدال (عـترتي) بلفـظ (سـنتي) مـع أنـه لم يـرد في أي من الصـحاح السـت، وقـد أخـرج الحـديث بهـذا اللفـظ مالـك بن أنس في موطئه ونقلـه مرسـلا غـير مسـند، وأخـذ عنـه بعـد ذلـك البعض كالطبري وابن هشام ونقلوه مرسلا كما ورد عن مالك.

مـع العلم أنـه في قـانون المحـدثين لا يـروى الحـديث إلا بأصـح صـيغه، هـذا في حـال كـون الصـيغة المرويـة عن مالـك صحيحة باعتبـار المحـدثين لأنهـا مرسـلة، ولكنـه للأسـف صـار الحديث المرسل هو الأصـل، وصـار الحـديث المتـواتر في حكم المكتوم، بل لو أن شخصا حدث به لاتهم في دينه.

بالإضافة إلى هذا، فقد وردت الأدلة الكثيرة التي تدل على وجـوب الرجـوع إلى آل الـبيت لتلقي الـدين، وهي لا تعـد ولا تحصى، فقـد ورد في الحـديث الصـحيح المعـروف: (علي مـني وأنا منه. ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)[1]

وقال ﷺ: (ومن أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنّة التي وعدني بها ربّي، وهي جنّة الخلد، فليتوّلَ عليّاً وذرّيته من بعـدي؛ فـإنّهم لن يخرجـوكم من هـدى، ولن يـدخلوكم بـاب ضلالة)[2]

وقـال ﷺ: (إن منكم من يقاتـل على تأويـل القـرآن كمـا قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قـال: لا. ولكنـه خاصـف النعـل

---

[1] رواه أحمد 4/164، وفي (4/164 و165، والنسائي في فضـائل الصـحابة (44)، وابن ماجة (119).

[2] رواه الحاكم مستدرك الحاكم ج 3 ص 128.

وكان علي يخصف نعل رسول الله في الحجرة عند فاطمة)[1]

وفي روايــة أخــرى: قــال رســول اللــه ﷺ: (لتنتهن معشــر قريش، أو ليبعثن الله عليكم رجلا مني امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب أعناقكم على الدين. قيل يا رسول الله أبــو بكــر؟ قــال: لا. قيل: عمر. قال: لا. ولكن خاصف النعل في الحجرة)[2]

لكن ـ للأسف ـ حصل الإعراض الكبــير عن كـل هـذا، حيث قدم الطلقاء واليهود على آل بيت النبوة، حتى أن مرويات كعب الأحبار في تفسير القرآن الكريم وفي كتب العقيدة أكــبر بكثــير من المرويات التي رووها عن أهل البيت.. بل إننا نجد الجماهير تعظم السنة التي حصل فيها المأساة الكبرى حين حصل الصلح بين الحســن بن علي مـع معاويــة، ويســمون تلــك الســنة ســنة الجماعة.. ويعتبرون معاوية بموجبها خليفة للمســلمين مـع تلــك النصوص الكثيرة التي تعتبر الحســن بن علي سـيد شـباب أهــل الجنة.. وأن له مكانة عظيمة في الدين..

ولكن مع ذلك يعتبرون ذلــك الموقــف إقــرارا منــه بحقانيــة معاوية، وهم ينســون أن يقــرؤوا قولــه تعــالى في وصــف وضــع قريب من الوضع الذي كان فيه الحسن بن علي: ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَـكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَـلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَـيْتَ أَمْـرِي (93) قَــالَ يَبْنَـؤُمَّ لَا تَأْخُـذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِــي إِنِّي خَشِــيتُ أَنْ تَقُــولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: 92 - 94]

فهذه الآيات توضح سنة من سنن الغواية الــتي يتلاعب بهــا الشـيطان بأتبــاع الأنبيــاء حين يســول لهم أن يأخــذوا دينهم من

---

[1]() رواه أحمد (1/155) (1335) وأبو داود (2700)، والترمذي (3715).

[2]() المصادر السابقة.

السامري، ويتركوا النبي وآل بيت النبي.

ومثلما حصل للحسن بن علي حصل لأخيه الحسين بن علي الذي ورد في الأحاديث الكثيرة بيان فضله ومرتبته من الدين، وأنه نفس رسول الله ﷺ، ومع ذلك نجد أصحاب السنة المذهبية حين يذكرون تلك التضحية العظيمة التي قام بها الحسين للحفاظ على الدين في وجه من يريد تحريفه، يحتقرون ما فعله، بل يعتبرونه من الأخطاء الكبرى التي لا منفعة فيها.. ويقدمون عليه مواقف ابن عمر وغيره من الصحابة، كما قال ابن تيمية: (ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده. فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار ذلك سبباً لشر عظيم)[1]

وهكذا أصبح ابن تيمية وغيره أساتذة وأئمة وناصحين لذلك الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سِبْطٌ من الأسباط)[2]

بل أعلن ﷺ، وهو في حياته الشريفة أنه سلم لمن سالم وحرب لمن حارب، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ نظر إلى ابنته فاطمة وإلى علي ومعهما الحسن والحسين وقال لهم: (أنا حرب لمن حاربكم، وسِلْمٌ لمن سالمكم)[3]، وقال: (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه

---

1() منهاج السنة ج4 ص530-531.

2() رواه أحمد (4/172) وابن ماجة (144) والترمذي (3775).

الله أدخله جنـات النعيم، ومن أبغضـهما أو بغى عليهمـا أبغضـته ومن أبغضـته أبغضـه اللـه، ومن أبغضـه اللـه أدخلـه جهنم ولـه عذاب مقيم)[1]

هذه دوافعنا من هـذه الكتـاب، وأغراضـنا منـه، ونحن نعلم أنه لن يستفيد منـه إلا أولئـك الـذين تحـرروا من ربقـة التقليـد، وخرجــوا من الســجون الــتي وضــعهم فيهــا أصــحاب الملــك العضوض، وسدنة الدين المزيف الممتلئ بالتحريفات..

أولئك فقط من يمكنهم الاستفادة من هـذا الكتـاب لإقامـة علاقة محبة حقيقية بأولئك الذين أمرنا بحبهم ومـودتهم والـولاء لهم ونصــرتهم والعيش في ظلال القيم الــتي كــانوا يمثلــون، وضحوا بأنفسهم في سبيلها.

---

[3] قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 169): رواه أحمد والطبراني.

[1] رواه الطبراني في الكبير: 6/296.

## إلى خير عم في الدنيا

سيدي أبا طالب.. يا عم رسول الله ﷺ وحاميه وناصره..

يا من جعلك الله كفيلا لنبيه وسندا له منذ ولادته إلى آخر يوم من حياتك.. يا من رأيت المعجزات الباهرات.. وتشرفت برؤية الأنوار الساطعات.. وسمعت من فم الحبيب الكلمات النيرات..

ماذا عساي أقول لك.. لقد عدت خاوي الوفاض.. فلم ينفعهم ما ذكرته لهم من فضلك وجهدك في خدمة الإسلام ونبيه.. ولم ينفعهم ما ذكرته لهم من عقلك وطهارتك وإيمانك.. ولم ينفعهم ذلك الجدل الذي استعملته معهم لأخاطب عقولهم.. ولم تنفعهم تلك الخطب الحزينة التي خاطبت بها عواطفهم..

لقد رفضوا كل ذلك.. ولو كنتُ معهم حين أوردت عليهم ما أوردت لأوسعوني ضربا، أو لرموني بالحجارة، أو لحاصروني في الشعب كما حاصروك مع ابنك وابن أخيك محمد ﷺ.

وأنا لا أبالي في سبيلك سيدي كل ما يقولون.. لأني أعلم أن القلوب إذا طبعت، والعقول إذا ختمت، لا تكاد تبصر أو تسمع، ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179]

لقد قلت لهم بكل صدق وإخلاص: يا قوم.. أين عقولكم؟.. هل تتصورون هذا الرجل العظيم الذي قدم كل هذه الخدمات، والذي عاش كل هذا العمر مع رسول الله ﷺ يبخل الله عليه بهداية قلبه..

ألم تروو في كتبكم أن رسول الله ﷺ كان يضـع يـده على صدر المنافق، فيسلم، وكان لا يراه أحد ـ وكان صادقاـ إلا أحبـه وآمن به.. أفيكون كل الناس مرحومين برسول اللـه ﷺ، تتـنزل عليهم بركاته ـ حتى أعداؤه الذين قاتلوه ـ إلا أبا طالب؟

ألم تروو بأسانيدكم التي تعتبرونها أن رسول اللـه ﷺ دعـا لأم أبي هريرة التي لم تكتف بشركها بالله فقط، وإنما أضـافت إليه سب رسول الله ﷺ، ومع ذلك، بمجـرد أن طلب أبـا هريـرة من رســول اللــه ﷺ أن يــدعو لأمــه، تحــولت من النقيض إلى النقيض.. لقــد رويتم أن أبــا هريــرة قــال: كنت أدعــو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما.. فأتيت رسول الله ﷺ وأنـا أبكي قلت: يــا رســول اللــه، إنى كنت أدعــو أمي إلى الإســلام فتأبى على فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك مـا أكـره، فـادع اللـه أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة).. ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريـرة: أشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)[1]

أنا لا أنكر الحديث، فأنا أعلم أن رسول اللـه ﷺ مسـتجاب الدعوة، ولكني أعجب من عقولكم التي قبلت أن يـدعو رسـول اللـه ﷺ بالهدايـة لأم أبي هريـرة الـتي كـانت تسـبه، فتحـولت مباشرة إلى الإيمان، ثم يسكت عن الـدعاء لعمـه، أو يـدعو ولا يستجاب له، مع أنه قضى حياته كلهـا في مدحـه ونصـرته، على خلاف أم أبي هريرة الـتي لم تكن تكتفي بالشـرك بـل أضـافت إليه سب رسول الله ﷺ.

ولم تكتفـوا بـأم أبي هريـرة، بـل أدخلتم قـوم أبي هريـرة جميعا إلى الإسلام بدعوة واحدة من رسول الله ﷺ، فقد حـدث

---

1() رواه مسلم (2491)

أبو هريرة نفسه، قـال: (جـاء الطفيـل بن عمـرو إلى النـبي ﷺ، فقال: إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: (اللهم اهد دوسا، وأت بهم)(1)

بل رويتم أن المنافقين الذين وصفهم الله بما وصـفهم بـه في القـرآن الكـريم من الخـداع والمكـر والتذبـذب، ومـع ذلـك استطاعت دعوة رسول الله ﷺ أن تدركهم، فقد حدثتم عن ابن عمر. قال: (كنت عند رسـول اللـه ﷺ إذ جـاءه حرملـة بن زيـد، فجلس بين يديه، فقال: يا رسول الله الإيمان هاهنا، وأشار بيده إلى لسانه، والنفاق هاهنا، وأشار بيـده إلى قلبـه، فسـكت عنـه رسول الله ﷺ، فردد عليه مرارا، فأخذ رسـول اللـه ﷺ بطـرف لسان حرملة، وقال: (اللهم ارزقه لسانا صـادقا، وقلبـا شـاكرا، وارزقه حـبي وحب من يحبـني وصـير أمـره إلى الخـير، فقـال: يارسول الله إن لي إخوانا منافقين كنت رأسـا فيهم أفلا أدذلـك عليهم؟ فقال: من جاءنا منهم استغفرنا لـه كمـا اسـتغفرنا لـك، ومن مات منهم على دينـه فاللـه أولى بـه، ولا تخـرق على أحـد سترا)(2)

هكـذا رويتم أن هـذا المنـافق تحـول إلى الإيمـان بـدعوة واحدة، بل تحـول مباشـرة من منـافق في الـدرك الأسـفل من النـار إلى أحـد الصـحابة الـذين تجلـونهم (3)، وتعتقـدون أنـه لا يمكن لأحد من الناس أن يدرك عملهم حتى لـو قـام فلم يفـتر، وصام ولم يفطر.. بل حتى لـو قضـى حياتـه جميعـا في سـجدة

(1) رواه البخاري (2937) ومسلم (2524)

(2) المعجم الكبير للطبراني: 4/5، وقال ابن حجر في الإصابة: إسـناده لا بـأس بـه، وأخرجه ابن منده أيضاً. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ولم يـذكر من أخـرج الخـبر. مجمع الزوائد: 9/410..

(3) انظر: أسد الغابة: 1/475؛ والإصابة: 1/330..

واحدة.

بل رويتم أن رسول الله ﷺ أخبر أن أي منافق يأتيه يمكنـه أن يتحول إلى الإيمان في لحظة واحدة.. فهل كان جدار الهداية التي حجب عنها أبو طالب ــ كمـا تـذكرون ــ أسـمك من جـدار المنافقين، وهو الذي عاش حياته كلها مع رسول الله ﷺ.

لقد قلت لهم كل ذلك.. وقلت لهم: ألم تروووا في سـيركم ما يدل على أن أبا طالب آمن بنبوة رسول اللـه ﷺ قبـل مبعثـه الشريف، بل آمن به، وهو غلام صغير..

ألم تـرووا فيهـا أن أبـا طـالب أراد المسـير في ركب إلى الشام فقال له رسول الله ﷺ: أي عم إلى من تخلفني ها هنـا؟ وصب به رسول الله ﷺ فرق له أبـو طـالب، فلمـا سـارا أردفـه خلفه، فخرج به فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير: مـا هذا الغلام منك؟ قال: ابـني. قـال: مـا هـو بابنـك ومـا ينبغي أن يكون له أب حي. قال: ولم؟ قـال: لأن وجهـه وجـه نـبي وعينـه عين نبي. قال: وما النبي؟ قـال: الـذي يـوحى إليـه من السـماء فينبئ أهل الأرض[1].. وقـال لـه: (ارجـع بـابن أخيـك إلى بلـدك واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن. فأسرع بـه إلى بلاده ولا تـذهب به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه)[2]

وقلت لهم: تأملوا في هـذه النصـوص الـتي تروونهـا جيـدا، واقرأوا بعقولكم لا بألسنتكم فقط لتروا فيها الدلائل الواضحات على إيمانك العظيم برسول الله ﷺ.

---

[1] () سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 140)

[2] () المرجع السابق (2/ 141)

فمن الدلائل البينات على إيمانك سيدي بنبوة رسـول اللـه ﷺ وهو فتى صغير تصديقك للـراهب، وعودتـك بـابن أخيـك إلى بلده، بعد أن قطعت كل تلك المسافة..

في ذلك الوقت الذي عدت فيـه مصـدقا الـراهب لم يـنزل القرآن بعـد.. ولم ينشـق القمـر بعـد.. ولم تـر تلـك المعجـزات الباهرات بعد.. أفيمكن أن تؤمن به صغيرا، وتجحده كبـيرا؟.. أو تؤمن به وأنت لم تر منه ما يستدعي الإيمان، وتجحـد بـه، وأنت ترى كل شيء يدل عليه؟

لقد قلت لهم: اقرأوا الرواية جيدا.. وانظروا فيها إلى تلـك الرحمة والشفقة التي كان تملأ قلب أبي طـالب على ابن أخيـه محمد ﷺ.. ألم تروا كيف كان يدعوه ابني؟

ولم يكن ذلك إلا تعبيرا عن حقيقة مشـاعره.. والـتي كـان يبادله رسول الله ﷺ مثلها مثلما يبادل زوجـه فاطمـة بنت أسـد التي كانت بمثابة أم رسول الله ﷺ.. فقد رويتم في كتبكم التي تقدسونها أن رسول الله ﷺ قال عندما دفنها: (يرحمـك اللـه يـا أمّي، كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسـيني، وتمنعين نفسك طيبا، وتطعميني، تريدين بذلك وجه اللـه تعـالى والدّار الآخرة)(1)

وقلت لهم: ارجعـوا إلى كتب السـنة والسـيرة، وسـتجدون الأشـعار الرقيقـة الـتي قالهـا أبـو طـالب، والـتي جمعهـا بعض محققيكم.. اقرأوها بتدبر، وسترون روح الإيمان الصـادق تنبعث من كل كلمة من كلماتها.

وقلت لهم: لا بأس.. لعلكم لا تجدون الوقت الذي تبحثـون

(1) رواه الطبراني في الكبير والأوسط برجال الصحيح وفي الأوسـط، انظـر: سـبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (11/ 287)

عنها.. ولهذا سأرتل عليكم بعض آياتها(1) والـتي قالهـا ورسـول الله ﷺ صبي صغير بعد أن رجع به من الشام.. لقـد ذكـرت لهم من قصائدك قولك (2) :

| | |
|---|---|
| إن ابن آمنة | عندي بمثل منازل |
| لما تعلق بالزمام | والعيس قد قلصن |

وفيها تقول:

| | |
|---|---|
| حتى إذا ما القوم | لاقوا على شرك |
| حبرا فأخبرهم حديثاً | عنه ورد معاشر |
| قوما يهودا قد رأوا ما | ظل الغمامة |
| ساروا لفتك محمد | عنه وأجهد أحسن |
| فثنى زبيراء بحير | في القوم بعد |
| ونهى دريسا فانتهى | عن قول حبر |

وأنشدتهم بعدها قصائدك الكثيرة في مساندة رسـول اللـه ﷺ والـذب عنـه، والـتي رواهـا المحققـون من المحـدثين الـذين يعتبرونهم، ويرجعون إليهم، كالحافظ ابن حجر العسقلاني الـذي يسمونه خاتمة الحفاظ، والذي قال مخـبرا عنـك: (وأخبـاره في حياطتـه والـذب عنـه ﷺ معروفـة مشـهورة، وممـا اشـتهر من شعره في ذلك قوله: والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسـد في التراب دفينـا وقوله: كـذبتم وبيت اللـه نـبزي محمـداً ولمـا نقاتل حـوله ونناضـل)(3)

---

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 142)

2() دلائل النبوة للبيهقي (2/ 29)

وأنشدتهم قولك:

والله لن يصلوا إليك     حتى أوسد في
فاصدع بأمرك ما عليك     وابشر بذاك وقر
ودعوتني وعلمت أنك     ولقد صدقت وكنت
ولقد علمت بأن دين     من خير أديان البرية

وأنشدتهم قولك:

لعمري لقد كلّفت     وإخوته دأب المحبّ
فلا زال في الدّنيا     وإخوته دأب المحبّ
فلا زال في الدّنيا     وزينا على رغم العدو
فمن مثله في النّاس     إذا قاسه الحكّام عند
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير     يوالي إلهاً ليس عنه
فأيّده ربّ العباد     وأظهر دينا حقّه غير

وأنشدتهم ذلك البيت المعـروف الـذي لا يزالـون ينشـدونه من غير أن يعرفوا أن قائله هو أنت:

وأبيض يستسقي     ثمال اليتامى
يلوذ به الهلاك من آل     فهم عنده في نعمة

---

[3] () فتح الباري، (7/194)

[1] () هذه الأبيات ذكرها القرطبي في ( تفسيره ) (6/406) ، وأورد الحافظ ابن حجـر البيتين الأخيريـن في ( الإصابة ) (7/236)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/ 188)

[2] () سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 381)

ثم قصصت لهم ما رواه علماء السيرة عن سبب قولك له، فذكرت لهم أن ابن عساكر حدث عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وقريش في قحط، فقائل منهم يقول: اعتمدوا واللات والعزى. وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي: أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل. قالوا: كأنك عنيت أبا طالب؟ قال: إيها. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه عليه إزار قد اتشح به فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة تجلت عليه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه الغلام وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وها هنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي(1).

وقلت لهم، وأنا متعجب من عقولهم وانسدادها: هل تتصورون أن الذي توسل برسول الله ﷺ وهو صبي صغير، لا يتوسل به وهو كهل كبير..

وهل تتصورون أن الذي توسل به للسقيا، لا يتوسل به للحياة الأبدية؟

بل رويت لهم ما هو أخطر من ذلك مما يدل على معرفتك به وبنبوته منذ ولد إلى أن توفاك الله.. لقد حكيت لهم ما رواه ابن سعد والخطيب وابن عساكر: عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز مع ابن أخي، يعني النبي ﷺ، فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد عطشت.

(1) المرجع السابق، (2/ 137)

وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئاً إلا الجزع قال: فثنى وركـه ثم قال: يا عم عطشـت؟ قلت: نعم. فـأهوى بعقبـه إلى الأرض فإذا أنا بالماء فقال: اشرب فشربت(1).

وقلت لهم بعـد أن رويت لهم هـذه الروايـة وغيرهـا: هـل ترون أن الذي عاين هذه المعجزة سيكون جاهلا كافرا من أجل حرصه على إرضاء أبي جهل وأبي لهب؟

وهكذا ذكرت لهم سيدي أن رسول الله ﷺ كان متعلقا بـك إلى درجـة لا يمكن تصـورها حـتى أنـه سـمى عامـا كـاملا عـام الحزن حدادا عليك، وعلى السيدة العظيمة المظلومة خديجة..

تصور سيدي أني بعد أن ذكـرت لهم هـذا راحـوا يسـخرون مني، ويقولون: ما دمت قد أثبت لنا أن أبا طـالب مـؤمن، وأنـه من أهل الجنة.. فاذهب وابحث لعلك تجد مـا يـدلك على أن أبـا جهل وأبا لهب مؤمنان وفي الجنة.

تصور سيدي كيف يضـعانك مـع أعـدائك وأعـداء نبيـك في خندق واحد.. لقد أعماهم التعصب عن إدراك الحـق.. فتصـوروا أننا ندافع عنك فقط لكونك عمـا لرسـول اللـه ﷺ.. ونسـوا أننـا ندافع عن الجبل الذي واجـه كـل المعتـدين.. وعن السـيد الـذي حمى ذمامـه من كـل المنحـرفين.. في نفس الـوقت الـذي لا يستحيون فيه عن الدفاع عن كل أعداء رسـول اللـه ﷺ وأعـداء دينه، وأعداء أمته.

لقد راحوا ـ سيدي ـ يواجهونني ببعض الروايات التي رواها البخاري ومسلم.. وهم في نفوسهم ينتقدون الكثير من أحاديث البخـاري ومسـلم، بـل لا يقبلـون منهمـا إلا مـا يتناسـب مـع

---

1() المرجع السابق، (2/ 137)

أهوائهم.. ولو كانوا يقبلون بهما لكانوا قد وجدوا فيهما ما يدلهم على ضلالة الفئة الباغية التي ينتصرون لها، ويعلنون ولاءهم كل حين لمن يواليها.. ولو بحثوا فيهما لوجدوا من أخبر رسول اللـه ﷺ أنهم سيغيرون السـنن، ويحرفـون الـدين، وينحرفـون بالأمـة نحو الهاوية السحيقة التي وقعت فيها.

سأذكر لك سيدي بعض ما راحوا يستدلون به زورا وبهتانا..

لقد نقلوا ما رواه البخاري ومسلم أن عمك العباس سـأل النـبي ﷺ: هـل أغـنيت عن عمـك شـيئا؟، فقـال: (لعلـه تنفعـه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النـار يبلـغ كعبيـه يغلي منه دماغه)[1]

انظـر إلى لغـة الحقـد الـتي عـبروا بهـا عن العـذاب الـذي أوهمتهم شياطينهم أنه ينزل بك.. ولو أنهم عرضوا هذا الحـديث على القرآن الكريم لوجدوا فيه الدلالة الصـريحة القاطعـة على عدم جواز الشفاعة في الكفار.. فقد أخبر الله تعالى عن الكفار بـــأنهم ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَـــذَابِهَا﴾ [فـــاطر: 36]، وأنهم لا ﴿ تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48]

ولـو أنهم عرضـوا هـذه الروايـة على روايـات أخـرى أكـثر عقلانيـة وانسـجاما مـع الواقـع والقـرآن لحلـوا المعضـلة بكـل سهولة، فقد روى هذا الحديث ابن سـعد عن العبـاس أنـه سـأل رسول الله ﷺ: ما ترجو لأبي طالب؟ قال: (كل الخير أرجـو من ربي)[2]

وهذا اللفـظ يعكـر على اللفـظ السـابق، ويجعـل الحـديث

---

1() رواه البخاري 7 / 149 ، ومسلم رقم (210)

2() طبقات ابن سعد:1/ 125 .

مضطربا على حسب القواعد التي يعتمدون عليها في الحديث.

ولو أنهم راجعوا سند الحديث لوجدوا العجب العجـاب.. لـو راجعوه لوجدوا في سنده (عبد الله بن الحارث بن نوفل)، وهـو أموي المشـرب، أمـه هنـد بنت أبي سـفيان أخت معاويـة، وقـد اصطلح عليه أهل البصرة حين مات يزيد بن معاوية.. وقـد روى هذا الأموي الكثـير من الروايـات المنكـرة الممتلئـة بالتجسـيم، وكان من أساتذته في التجسيم كعب الأحبار اليهودي(1).

لكنهم سيدي لا يقرؤون إلا ما يتناسـب مـع أمـزجتهم.. بـل إنهم سيدي راحوا يؤولون القـرآن الكـريم، ويفسـرونه بغـير مـا أنزل الله بغية مواجهتك وإعلان الحرب عليك..

لقد رووا أن رسول الله ﷺ دخل عليك لما حضرتك الوفاة، وعندك أبو جهل، فقال لك: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله).. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية لـك: (يـا أبا طالب ترغب عن ملة عبدالمطلب)، وأنهما لم يزالا يكلمانـك حتى كان آخر شـيء كلمتهم بـه، هـو (على ملـة عبـدالمطلب)، وأن النبي ﷺ قال لك: (لاستغفــرن لـك مــا لــم أنـه عنـه)(2)، وأنـه نـزل فيـك قولـه تعـالى: ﴿مَـا كَـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْـحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبـة: 113]، ونـزل فيـك: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْـــدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللـــه يَهْـــدِي مَنْ يَشَـــاءُ وَهُـــوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]

ومن العجب أن يــوردوا مثــل هــذا البهتــان العظيم.. ومن

---

(1) تهذيب الكمال: 14/ 396.

(2) البخاري (3884) ومسلم (24)

العجب أن يذكروا أن أولئك الطغاة الظلمـة المشـركين ينـالون في آخر لحظة من الحظوة عنـدك مـا لا ينالهـا ابن أخيـك الـذي عشت حياتك كلها من أجله، وضحيت بكل شيء في سبيله..

وهـل يمكن لعاقـل أن يصـدق خضـوع شـيخ كبـير للـذين وحاصـروه واسـتحلوا كـل الحرمـات في حقـه؟.. هـل يمكن أن يخضع لهم ويرضيهم؟.. أليست الفطرة السليمة تدعو لمواجهـة أمثال هؤلاء بما يكرهونه حتى بما لا نعتقده؟

لكن حديث الفطـرة والعقـل لم يقنعهم، فـرحت أخـاطبهم بما تعودوا.. لقد ذكرت لهم أن المحققين من المحدثين ــ كـابن حجر ـ رأوا أن في نزولها فيك نظر، وهذا طعن صـريح في هـذا الحديث المروي في الصحيحين، فقد قال في معلقـا على هـذا: (هذا فيه إشكال، لأن وفاة أبي طالب كانت بمكـة قبـل الهجـرة اتفاقاً، وقد ثبت أن النبي ﷺ أتى قبر أمـه لمـا اعتمـر فاسـتأذن ربـه أن يسـتغفر لهـا فـنزلت هـذه الآيـة، والأصـل عـدم تكـرر الـنزول)[1] بـل روي في سـبب نـزول الآيـة أن رجلاً اسـتغفر لوالديه وهما مشركان فذكر ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله الآية [2].

وهذه الروايات تدل على الاضطراب في سبب نزول الآية، وعدم صحة الاستدلال بهـا على أنهـا نـزلت فيـك أو في والـدة النبي آمنة بنت وهب عليها السلام.

ثم إن من العجيب أنهم يـروون عن رسـول اللـه ﷺ أنـه صلى على أبي بن سلول المنـافق مـع أن اللـه تعـالى قـال في شأنهم: ﴿ إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ فِي الـدَّرْكِ الْأَسْـفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِـدَ

---

1() فتح الباري (8/508)

2() رواه أحمد (1/99و130)

لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 145]، بـل يـروون أن النـبي ﷺ اسـتغفر له، وكفنه بقميصه، وقد رووا ذلك في الصحيحين وغيرهما، فإذا كان الله قد نهى نبيه ﷺ قبل ذلك بسنين عن أن يستغفر للكفار ــ الـذين يعتبرونـك منهم ــ فكيـف يسـتغفر بعـد ذلـك لأبي بن سلول، ويخالف ما أمره الله تعالى به؟!

وفي الأخـير سـيدي بعـد أن خـاطبت عقـولهم وقلـوبهم ودينهم.. لم يجدوا إلا أن يواجهـوني بالحقيقـة الـتي تختفي وراء كل ذلك الحقد الذي يكنونه لك.. وكل ذلك الـولاء الـذي يهدونـه لأعدائك.. إنه حقدهم على الشيعة.. ولأن الشيعة يدافعون عنـك ويحترمونك ويقدرون جهودك العظيمة، ويعتبرونك من الصـحابة الكبـار المنتجـبين، فـإن ذلـك لا يرضـيهم.. لأن مبـدأهم ليس الحقيقة مهمـا كـان القائـل بهـا، وإنمـا الحقيقـة الـتي تـأتي من طرفهم.. وطرف الجماعة التي يعطونها كل ولائهم.

لقـد راح بعضـهم يقـول لي، وكأنـه يهـددني: لقـد ذكـر المحققون كابن كثير وغيره أن القـول بهـذا هـو قـول الشـيعة.. وأنني إن لم أكف عن الدفاع عنك، فسأرمى بالرفض والتشيع..

فقلت لهم: ارمـوني بمـا شـئتم.. ليس بـالرفض والتشـيع فقط.. بل بالزندقـة والكفـر والضـلالة.. وارمـوني في أي جحيم يحلو لكم.. لأني أعلم أن الجنة بيد الله.. والنار بيد اللـه.. وأعلم أن قلبي الذي يحبك سيدي سيشفع لي عند ربي..

ولـو أنهم تخلـوا عن غـرورهم، ودرسـوا العلم عن أهلـه لعرفوا أن الصالحين من هذه الأمة كلهم يحترمونك ويعظمونـك مهما اختلفت مذاهبهم.

فهـل كـان مفـتي الشـافعية في مكـة المكرمـة في وقتـه السيد أحمـد زيـني دحـلان الـذي آلمتـه الأحقـاد الموجهـة لـك.

فكتب كتابا في نصرتك سـماه (أسـنى المطـالب في نجـاة أبي طالب) شيعيا.. وهل الشافعية شيعة.. وهل مفتيهم يقول بقـول الشيعة؟

وهل كان العلامة البرزنجي الذي تـألم هـو الآخـر لمـا قيـل فيك، فكتب كتابا في نصرتك سـماه (بغيـة الطـالب لإيمـان أبي طالب وحسن خاتمته) هو الآخر شيعيا؟

وهـل كـان مولانـا محمـد معين الهنـدي السـندي التتـوي الحنفي الذي كتب كتابـا في نصـرتك سـماه (إثبـات إسـلام أبي طالب) شيعيا.. وهل الحنفية شيعة؟

وهـل كـان أبـو الهـدى محمـد أفنـدي بن حسـن الصـيادي الرفاعي، الذي ألف كتابـا في نصـرتك سـماه (السـهم الصـائب لكبد من آذى أبا طالب) شيعا.. وهـل رجـال الطريقـة الرفاعيـة الصوفية شيعة؟

وهل كان السيد علي كبير بن علي جعفر الحسيني الهندي الإله أبادي الذي ألف كتابـا في نصـرتك سـماه (غايـة المطـالب في بحث إيمان أبي طالب) شيعيا؟

وهل كان الشيخ أحمـد فيضـي بن علي عـارف الجـورومي الخالـدي الـرومي الحنفي الـذي ألـف في الانتصـار لـك (فيض الواهب في نجاة أبي طالب) شيعيا؟

وهل كان القاضي الفاضل السيد حيدر ابن العلامـة السـيد محمد سعيد العـرفي الـذي ألـف في نصـرتك كتابـا سـماه (أبـو طالب بطل الإسلام) شيعيا؟

ليس هؤلاء فقط من قالوا هذا، بـل المفتـون والعلمـاء من

جميع المذاهب الإسلامية ذكـروا فضـلك وحرمتـك، لأن حرمتـك من حرمـة أعظم إنسـان في التـاريخ، بـل أعظم مخلـوق على الإطلاق محمـد ﷺ.. لقـد قـال بهـذا: الأجهـوري، والتلمسـاني، والحافـظ السـيوطي، وأحمـد بن الحسـين الموصـلي الحنفي، ومحمـــد بن ســـلامة القضـــاعي، والقرطـــبي، والســـبكي، والشعراني.. وغيرهم كثير.

بعد هذا سيدي ما عساي أقول لـك.. أعلم أني أضـعف من أن أؤدي الرسالة التي تطلبها الحقيقـة مـني.. ولكـني مـع ذلـك موقن أن الحق سيظهر لا محالة، وأن هؤلاء الذين يجادلون عن أبي سفيان وهند ومعاوية وكل الطلقاء الذين حبسـوك وحبسـوا ابن أخيك في الشعب سيدركون الحقيقة التي يحاولون الهروب منها.

إن الحقائق تحاصرهم من كل ناحية.. وهم يواجهونها بمثل ما كانوا يواجهونك به من الحصـار والتضـييق والتكفـير والـرمي بالعذاب الشديد.. وينسون أن نور الله لا تطفئه أفواه البشـر، ﴿ يُرِيـدُونَ لِيُطْفِئُوا نُـورَ اللـه بِـأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُـورِهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]

## إلى الأم لمظلومة

سيدتي الفاضلة الكبيرة.. يا أشرف أم في الدنيا.. ماذا عساي أقول لك.. وكيف أعتذر لك عن نفسي، وعن أولئك الذين لا يزالون يخطئون في حقك..

لقد كنت أذكر جيدا في صباي الباكر ـ قبل أن تتدنس فطرتي، وينتكس عقلي ـ كيف كنا في باديتنا الجميلة نتغنى بك، وبجمالك، وبأخلاقك، وبأنوارك العظيمة..

كنا نحفظ عن ظهر قلب قولك، وأنت على فراش الموت تخاطبين ابنك الصغير محمد ﷺ وأنت تنظرين إلى وجهه الجميل البريء الممتلئ بالقداسة [1]:

بارك فيك الله ... يا ابن الذي من
نجا بعون الملك ... فودي غداة الضرب
بمائة من إبل ... إن صح ما أبصرت
فأنت مبعوث إلى ... من عند ذي الجلال
تبعث في الحل ... تبعث بالتحقيق
دين أبيك البر ... تبعث بالتخفيف
أن لا تواليها مع ... فالله أنهاك عن

ثم قولك بعدها: (كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا)

---

1() رواه أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها، انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 121)

وكنا نردد ما قيل حينها فيك من أشعار لم يعرف أصـحابها، فنسبت إلى الجن[1]:

نبكي الفتاة البرة ذات الجمال العفة
زوجة عبد الله أم نبي الله ذي
وصاحب المنبر صارت لدى حفرتها
لو فوديت وللمنايا شفرة سنينه
لا تبقي ظعانا ولا إلا أتت وقطعت
أما هلكت أيها عن الذي ذو العرش
فكلنا والهة حزينه نبكيك للعطلة أو

وكنا نردد في الموالد قول البوصيري في همزيته:

فهنيئًا به لآمنة الذي شرفت به
من لحواء أنها أحمد أو أنها به
يوم نالت بوضعه من فخارٍ مالم
وأتت قومها بأفضل حملت قبلُ

وكنـا كلمـا قرأنـا قولـه تعـالى: ﴿قَـدْ جَـاءَكُم مِّنَ اللـه نُـورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائـدة: 15)، تـذكرنا قولـك: (مـا شـعرت أني حملت به، ولا وجدت ثقله كما تجد النساء.. وأتاني آت وأنــا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنـك حملت؟ فـأقول: مـا أدري فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيهـا.. وآيـة ذلـك أنـه يخرج معه نور يملأ قصـور بصـرى من أرض الشـام، فـإذا وضـع

(1) المرجع السابق.

فسميه محمدا) (1)

وتذكرنا أنك حين حملت برسول الله ﷺ أتاك آت من ربك، فقال: إنـك قـد حملت بسـيد هـذه الأمـة، فـإذا وقـع إلى الأرض فقولي: (أعيذه بالواحد، من شر كـل حاسـد، من كـل بـر عاهـد وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عنـد الحميـد الماجـد، حـتى أراه قد أتى المشاهد)(2)

لقد ذكر رسول الله ﷺ بعض ذلك، فقال مجيبـا لمن سـأله عن نفسه:(أنا دعـوة أبي إبـراهيم، وبشـرى عيسـى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصـرى من أرض الشام)(3)

وذكــر ذلــك بعض النســوة اللاتي تشــرفن بالحضــور يــوم مولده ﷺ، فقد ذكرت بعضهن: أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته، قالت: فما شئ أنظـره في الـبيت إلا نــور، وإنى أنظــر إلى النجــوم تــدنو حــتى إنى لأقــول: لتقعن على(4).

وقد اشتهر هذا النور الذي ظهر وقت ولادته ﷺ في قريش كلهـا، وكـثر ذكـره فيهم، حـتى أن العبـاس عم رسـول اللــه ﷺ

---

1() رواه ابن سعد، والبيهقي وغيرهما، انظر: سبل الهـدى والرشـاد في سـيرة خـير العباد (1/ 328)

2() السيرة النبوية لابن هشام (1/ 293)

3() رواه الحاكم وصححه والبيهقي، سبل الهدى والرشاد في سـيرة خـير العبـاد (1/ 329)

4() رواه البيهقى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 341)

قال(1):

وأنت لما ولدت ... ض وضاءت

فنحن في ذلك ... ر وسبل الرشاد

وقال آخر(2):

لمّا استهلّ ... أضاء الفضا من

وعطّر الكون شذا ... يّب من دانٍ ومن

ونادت الأكوان من ... يا مرحباً بالقمر

لكنا عندما كبرنا، ودخلنا الجامعـات.. وأخـذنا الشـهادات.. بدأت صورتك تبهت وتبهت إلى أن زالت.. وحلت مكانهـا صـورة لامرأة أخرى كانت تبغض ابنك بغضا شديدا..

لاشك أنك تعرفينها.. إنها هند بنت عتبة. تلك الـتي كنـا في صـغرنا نبغضـها لبغضـها لرسـول اللـه ﷺ.. وكنـا لا ننسـى أبـدا موقفها يوم أحد، يوم أخذت الدف هي ونسـوة قـريش، تضـرب عليـه خلـف الرجـال، وتحـرض على القتـال، وهي تقـول بكـل وقاحة(3):

إن تقبلوا ... ونفرش

أو تدبروا ... فراق غير

ولا ننسى صورتها أبدا وهي تبقر بطن حمـزة، وتلوكهـا، ثم

---

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 342)

(2) المرجع السابق، (1/ 343)

(3) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 14)

تلفظها، وهي تصرخ بأعلى صوتها(1):

نحن جزيناكم بيوم والحرب بعد الحرب

ما كان عن عتبة لي ولا أخي وعمه

شفيت نفسي شفيت وحشي غليل

فشكر وحشي على حتى ترم أعظمي

لكنا عندما كبرنا وتعلمنا، ونلنا الشهادات الجوفاء الممتلئة بالغرور والكبرياء نسينا كل ذلك.. وملأنا قلوبنا بهند وبعلها وبنيها.. وصرنا نبشر بأن هندا وذويها كلهم في الجنة.. أما أنت يا أطهر أم في الدنيا.. فصرنا نعتبرك من أهل النار.. وصرنا نحذر كل من يخالف هذا المعتقد بعذاب الله الشديد..

صرنا ـ بسبب ذلك التعليم المحشو بالحقد ـ نرميك يا سيدة الموحدين بأنك مشركة، وكأن الله أعمى قلوبنا عن أن نقرأ قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: 28]، فإذا كانت نجاسة المشركين تحول بينهم وبين القرب من المسجد الحرام، فكيف تقبل العقول أن يكون الرحم الذي آوى رسول الله ﷺ أشهرا معدودات نجسا..

وكيف تقبل العقول أن يكون أول لبن تغذى به رسول الله ﷺ نجسا؟

ليتنا في ذلك الحين جمعنا بين الآية الكريمة وقوله ﷺ: (ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني الا نكاح كنكاح

(1) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 40)

الإسلام)[1].. فهذا الحديث لا يكرمك فقط، بل يكرم كـل آبائـك وأجـداك، وكـل آبائـه ﷺ من أبيـه وأجـداده.. فكلهم كـانوا على الطهارة والصفاء والإسلام.

لقد كان في إمكاننـا أن نجـد الأدلـة الكثـيرة الـتي تحافـظ على تلـك المكانـة في قلوبنـا نحـوك.. وكنـا نتقن أن نجمـع بين جميع الأدلة حتى لو شئنا أن نحول الذئب خروفا لحولناه إلا عند الحديث عنك.. فقد كانت قلوبنا تعمى أن تبصر الحقائق.

لقـد اسـتطعنا بـذكائنا، وقـدرتنا على التلفيـق والجمـع أن نجعـل من أبي سـفيان بطلا من أبطـال الإسـلام، لا عـدوا من أعدائه..

وقـد اسـتطعنا أن نحـول من الجيش الـذي لا يعـدو بضـعة آلاف يوم فتح مكة، والذي بسبب رؤيته أسـلم أبـو سـفيان كمـا حفظنا. لقد جعلنا من ذلك الجيش معجـزة أعظم من كـل تلـك المعجزات الـتي أظهرهـا رسـول اللـه ﷺ لقومـه لكي يؤمنـوا.. أعظم من معجزة شق القمر التي ذكر الله موقـف المشـركين منها، وكان أولهم أبو سفيان، فقال: ﴿اقْتَـرَبَتِ السَّـاعَةُ وَانْشَـقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمـر: 1، 2] وأعظم من معجزة القرآن نفسه الذي ذكـر اللـه تعـالى موقف هنـد وأبي سـفيان منـه، فقـال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَـا قَالُوا قَـدْ سَـمِعْنَا لَـوْ نَشَـاءُ لَقُلْنَـا مِثْـلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلَّا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْـدِكَ فَـأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَـارَةً مِنَ السَّـمَاءِ أَوِ ائْتِنَـا بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفـال: 30 ـ 32]

بل أعرضنا عن تدبر القرآن الكريم حين يخبر رسـول اللـه

---

[1] () رواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 214)

ﷺ بأنه لا أمل له في أولئك المشـركين الكبـار الـذين أخرجـوه، وظـاهروا على إخراجـه، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا سَـوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْـذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ (6) خَتَمَ اللـه عَلَى قُلُـوبِهِمْ وَعَلَى سَـمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ [البقرة: 6، 7]

لقد استطعنا أن نحـول من كـل أولئـك المشـركين أناسـا طيـبين، بـل مسـلمين مخلصـين، بـل صـحابة أجلاء لا يجـوز تخطئتهم، ولا الكلام فيهم..

بل جعلناهم أولياء وقديسين حتى أنه لو صام أحـدنا طـول عمره، فلم يفطر، وقام فلم يفتر، فإنـه لا يمكنـه أبـدا أن يصـل إلى المكانة التي حلها أبو سفيان أو زوجه هند.

هكـذا عُلمنـا يـا أشـرف النسـاء وأطيبهم وأكـرمهم.. فلا تلومينا.. وسامحينا.. واشفعي لنا عند ربـك.. فلا شـك عنـدنا أن الذي اختارك لتكوني أما لخير خلقه، قد جعل لك مكانـة عاليـة، وجاها عريضا..

واشفعي لنا ـ سيدتي ـ عند ابنك رسول الله ﷺ الذي آذيناه بإيذائنا لك.. ولم نراع حرمته.. ولم نراع تحـذير اللـه من إذيتـه، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللـه فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: 57]

لقد تشبهنا ببني إسرائيل في إذيتهم لموسى عليه السلام، ولأنبيـائهم، مـع أن اللـه حـذرنا من التشـبه بهم، فقـال: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَـى فَبَـرَّأَهُ اللـه مِمَّا قَـالُوا وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: 69]

سيدتي الطـاهرة.. سـأذكر لـك بعض أعـذاري.. فاسـمعيها

مني، ولا تلوميني.. فقد كنت غضا طريـا.. وكـان عقلي فارغـا.. وكـان للـذين يلقونـني تلـك التعـاليم، مـع أتـرابي في الجامعـة والمسجد، من السلطان ما لا طاقة لنا بمقاومته..

كـانوا يقولـون لنـا: هـذه هي السـنة شـئتم أو أبيتم.. فـإن رفضــتم فــأنتم رافضــة، أو أنتم قبوريــة، أو أنتم ملاحــدة.. إن رفضتم فأنتم مشركون في كل الأحوال.

أذكر أن بعض مشايخنا.. كان صـعيديا.. كـان اسـمه.. دعنـا من اسمه، فلعلـه هـو الآخـر يتـوب.. ويكتب رسـالة باكيـة لـك، يترجاك فيها أن تسامحيه.

لقد تنكر لحب أهله من الصعايدة لك، فلم يكفـه أن يعتقـد ما اعتقد المبغضون لـك.. بـل راح يبشـر بـذلك، ويكتب رسـالة عنـك وعن زوجـك الطـاهر عبـد اللـه سـماها (التعبـد المرضـي بإثبات كفر والدي النبي كما نطقت بذا الآثار، وجاءت به صـحيح الأخبار، مخالفين بذا كل غبيٍّ أبيّ)(1)

ليس هو فقـط من تكلم عنـك.. لقـد تفـرغ رجـال كثـيرون لإخراجك من مقعد الصدق الذي أعده الله لك في الجنة بجــوار حبيبك وابنك رسول اللـه ﷺ.. وكـأن الجنـة الـتي وسـعوها لهنـد وبعلها وبنيها ضاقت عنك.

لقد راحوا جميعا بكل ما أوتوا من قوة وحيلـة يحـاولون أن يثبتوا أنك لست من الذين لا نعلم مصـيرهم عنـد اللـه.. ولسـت من أهـل الفـترة الـذين نكـل أمـرهم إلى اللـه.. وإنمـا أنت من دونهم جميعا من أهل جهنم.. ومن المعذبين فيها.

ويلهم.. كيف يتجرؤون على قول هذا.. بل على كتابته؟

---

(1) هي لمحمد بن عبدالحميد حسونة.

هل تسمحين لي سيدتي أن أدوس على مشاعر الغيظ في قلبي.. وأذكر لك ما نشروه عنك.. وعن مصيرك..

لقـد أوردوا في ذلـك أحـاديث لسـت أدري من حـدثهم بهـا يخبر فيها ابنك رسول الله ﷺ بأنك وزوجك عبد اللـه كلاكمـا في النار..

فقط أنت وعبد الله أوردوا فيك مثل هـذه الأحـاديث.. أمـا أجـداد هنـد وأبي سـفيان وأبي جهـل والوليـد بن المغـيرة.. فلم يـرووا فيهم حـديثا واحـدا.. لقـد اكتفـوا في جـواب من يسـألهم عنهم أن يقــرأوا قولــه تعــالى: ﴿ وَمَـا كُنَّا مُعَـذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15]، ثم يعقبوا على الآية الكريمة بـأن أولئـك جميعا كانوا من أهل الفترة.. ولم يكن هناك نبي..

بل ذهب بعضهم إلى أنهم حـتى لـو كـانوا مشـركين.. فقـد كان شركم أفضل بكثير من شرك الذين أحبوك أو دافعوا عنك، أو كتبوا القصائد في مديحك.

لقــد كــانوا يجيبــون من يســألهم عن أم أبي ســفيان من القرآن بتلك الآية، أما أذا سئلوا عنك أيتها الطـاهرة النقيـة فقـد كــانوا يقــرؤون عليــه قولــه تعــالى: ﴿وَلَا تُسْـأَلُ عَنْ أَصْـحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: 119]، ثم يـذكرون لـه أن الآيـة نـزلت فيـك وفي زوجك عبد الله.. وأن ابنك رسول الله ﷺ كـان يقـول كـل حين حزنا عليك: (ليت شعري مـا فعـل أبـواي، ليت شـعري مـا فعل أبواي، ليت شـعري مـا فعـل أبـواي؟)، فـنزلت الآيـة لتملأ عليه حياته حزنا، وتنسخ معهـا قولـه تعـالى: ﴿وَلَسَـوْفَ يُعْطِيـكَ رَبُّكَ فَتَرْضَـى﴾ [الضـحى: 5]، فلا يملـك رسـول اللـه ﷺ إلا أن يكف عن ذكرهما حتى توفاه الله، عز وجل (1).

(1) تفسير عبد الرزاق (2/78) وتفسير الطبري (2/558).

هكذا استبدلوك بهند وبأبي سفيان وبغـيرهم ممن تعلمين.. وكأن اللـه عـوض رسـوله ﷺ عنـك وعن أبيـه بأولئـك الـذين لم يتركوا سبيلا لحربه وعداوته إلا فعلوه.

ويستدلون لذلك بحديث يروونه من أن ابنك محمدا ﷺ لمـا قدم مكة، أتى رسم قبر، فجلس إليه، فجعـل يخـاطب، ثم قـام مستعبراً، فقيل له: يا رسول الله! إنا رأينـا مـا صـنعت.. فقـال: (إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واسـتأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي).. وأنه ما رؤي باكياً أكـثر من يومئذ (1).

وليتهم إذ رووه بكوا.. لا.. لقد كانوا مسرورين جذلين لأنهم وجدوا ما يؤكد لهم اعتقادهم.. أنا لا أكـذب هـذا الحـديث.. فقـد يكون صحيحا.. ولكني لا أرى فيه إلا نورا آخر من أنـوار جمالـك وكمالك.. فالاستغفار يكون للمذنبين، أما أنت فمن المصـطفين الأخيار الذين نكتفي بالسلام عليهم، كما قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ [النمل: 59] ولـذلك فأنت يقال لك: آمنة عليها السلام.. لا آمنة غفر الله لهـا. لكنهم للأسف لم يلاحظوا هذا.. بل راحوا ينقلـون عن بعضـهم قولـه ـ بعـد ذكـر الحديثـ: (فيـه جـواز زيـارة المشـركين في الحيـاة وقبورهم بعد الوفـاة؛ لأنـه إذا جـازت زيـارتهم بعـد الوفـاة ففي الحياة أولى.. وفيه النهي عن الاستغفار للكفار)

بل إن بعضهم تجرأ فراح يزعم أن ابنك رسول اللـه ﷺ لم يزرك قاصدا لزيارتك، وإنما زارك قصد قوة الموعضة والـذكرى بمشاهدة قبرك..

---

(1) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 7 ص 46..

لم يكتفوا بهذا ــ سيدتي ــ بل راحوا ينقلون الإجماع.. وكأن الأمة اختصرت فيهم.. فقد ذكروا عن بعضهم (إجماع السلف والخلف على عدم نجاة أبوي النبي ﷺ..) ونقلوا عنه قوله: (اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك من غير خلاف لما هنالك)(2)

لا تحزني أيتها الطاهرة النبيلة، فليس هناك إجماع ولا هم يحزنون.. كل ما في الأمر أنهم ثلة من الناس رفعت الحياء عن وجهها، فراحت تصحح كل ضعيف، وتحيي كل ميت في سبيل أن تنال منك..

لكن الكثير من محبيك قاموا ليدافعوا عنك وعن زوجك عبد الله، وألفوا في ذلك رسائل وكتبا.. كان منها (الانتصار لوالدي النبي المختار ﷺ) للسيد مرتضى الزبيدي.. ومنها (تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى من الناجين) لابن الجزاز.. ومنها (التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى في الجنة)، و(مسالك الحنفا في والدي المصطفى) للسيوطي.. ومنها (ذخائر العابدين في نجاة والد المكرم سيد المرسلين ﷺ) للأسبيري.. ومنها (مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى ﷺ)للرومي.. ومنها (مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيد الكونين ﷺ) للمنيني.. ومنها (هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي ﷺ) للبديعي.. ومنها (أمهات النبي ﷺ) للمدائني.. ومنها (تأديب المتمردين في حق الأبوين) لعبد الأحد بن مصطفى الكتاهي السيواسي.. ومنها (قرة العين في إيمان الوالدين) للدويخي.. وغيرها كثير.

---

2() أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ﷺ لعلي بن سلطان محمد القاري تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان - مكتبة الغرباء الأثرية - الطبعة الأولى 1413هـ، ص(7 - 8)

هـل أخـبرك ـ سـيدتي ـ بشـيء قـد يثـير عجبـك.. ولكن لا تتعجبي، فأمثال هذه العقول يمكنهـا أن تجمـع المتناقضـات، ولا تضيق بها..

إنهم يروون عن بعضهم قوله: (وفُضـلت اليهـود والنصـارى على الرافضة بخصـلتين: سـئلت اليهـود: من خـير أهـل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خـير أهـل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسـئلت الرافضـة: من شـر أهـل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ)(1)

كان في إمكانهم لو طبقـوا هـذا على أنفسـهم.. لا بسـؤال اليهود والنصاري.. فقد يكذبون.. وإنما بسؤال القرآن نفسـه.. لا عن أصحاب موسـى، فقـد أخـبر اللـه عمـا فعلـوه بـه.. ولا عن أصحاب المسيح، فقد أخـبر القـرآن عن انحـرافهم عنـه.. وإنمـا يسـألوا القـرآن الكـريم نفسـه عن أم موسـى وعيسـى.. فـإذا سألوه فسيجيبهم بأن أم موسـى أوحى لهـا اللـه: ﴿أَنْ أَرْضِـعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَـافِي وَلَا تَحْـزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: 7] وأمـا أم المسـيح، فقد أوحى لها الله: ﴿ يَامَرْيَمُ إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْـهُ اسْـمُهُ الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ وَجِيهًـا فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] ونحسب أن ما رأيته وما سمعته لا يقل عما رأته أم موسى أو أم المسيح.. لأن محمد ﷺ هـو سـيد موسى والمسيح.

ليتهم يعملـون القيـاس الـذي تعـودوا أن يعملـوه في كـل شيء، ليروا أنفسـهم أسـوأ من اليهـود والنصـارى في مـوقفهم من أم نبيهم.. مع العلم أن أم أي شخص في الـدنيا أقـرب إليـه

(1) منهاج السنة: ج/1-ص/27.

وأعز من كل أصحابه..

أمر أخير . سيدتي . أريد أن أبثه لك.. ولست أدري هل يحق لي ذلــك أم لا.. فاعــذريني فأنــا عبــد بســيط حقــير.. معارفــه محدودة.. وقد أكون مخطئا فيما سأذكره لك.

لقــد كــان المــدافعون عنــك.. وكأنــك مذنبــة أو ظالمــة.. يلتمسون كل السبل، ليثبتوا إيمانك.. حتى أنهم ذكروا حديثا بأن الله أحياك لرسوله ﷺ لتؤمني بـه.. ولسـت أدري كيـف أني من غير قصد لم أصدق ذلك.. ووقعت عند عدم تصديقي مع الفريق الـذي أعلن عليـك الحـرب.. طبعـا أنـا لم أصـدق ذلـك لا لكونـه غريبا.. فالله قادر على كل شيء، والذي أحيـا المـوتى للمسـيح عليه السلام، لا يعجز عن إحياء الموتى لرسول الله ﷺ..

ولكني لم أصـدقه لأجـل الغايـة الـتي وردت في الحـديث.. وهي أنك حييت لأجل أن تؤمني به.. لأني أعلم أنك كنت مؤمنــة به قبل أن يولد.. وبعد أن ولد.. ومت وأنت من أكـثر خلـق اللـه عشقا له.

وحتى بعد موتك.. أنا أعتقد أن الله القادر على كل شــيء، والذي جعل الشهداء أحيـاء عنـده.. ويستبشـرون بمـا يـروه من أعمـال من لم يلحـق بهم.. أعتقـد جازمـا ـ ولا يهمـني أن أرمى بالخرافة أو الضلالة أو البدعةـ أنك كنت حية تتابعين كـل حركـة وسكنة من حركات ابنك وسكناته.. وتستبشرين بــذلك.. ولـذلك لم تكوني بحاجة إلى إحياء..

لكن ذلك الصعيدي الجافي الغليظ وأصـحابه تصـوروا أنهم بمجرد الحكم على وضع الحديث وكذبه يكونون قـد قضـوا على الدليل الوحيد الذي يحميك من نار جهنم..

لقد نقل هذا الصـعيدي، وغـيره من الـذين امتلأت قلـوبهم قسوة وغلظة قول ابن الجوزي في ذلك الحـديث: (هـذا حـديث موضوع لا يشك فيه، والذي وضعه قليـل الفهم، عـديم العلم، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كـافرا لا ينفعـه أن يـؤمن بعـد الرجعة، لا بل لو آمن بعد المعاينة، ويكفي في رد هـذا الحـديث قولـه تعـالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُـوَ كَـافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ﴾ [البقـرة: 217])(1)

هل سمعت ما قال؟.. إنه يقـول بأنـك حـتى لـو حـييت من جديـد، فـإن ذلـك لن ينفعـك.. وكـأن اللـه قـدر لـك العـذاب لا محالة..

ولست أدري هل ذلك كان عقوبة لـك لكونـك حملت بخـير خلق الله.. أم لأي شيء آخر.

أما من يسمونه شيخ الإسلام، الذي هو أستاذ كل من تكلم فيك.. فقد علق على ذلك الحديث بقوله، وهو في غاية الغبطـة والسرور: (لا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضـوعات كذباً، كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمـدة في الحـديث، لا في الصـحيح ولا في السـنن ولا في المسـانيد، ونحـو ذلـك من كتب الحـديث المعروفـة، ولا ذكـره أهـل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضـعيف مـع الصـحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقـع لكـان ممـا تتـوافر الهمم والـدواعي في نقلـه، فإنـه من أعظم الأمور خرقاً للعـادة من وجهين: من جهـة إحيـاء المـوتى.. ومن جهة الإيمان بعد الموت.. فكان نقـل مثـل هـذا أولى من غـيره،

(1) الموضوعات، (1: 284).

فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب)(2)

هـل رأيت أيتهـا الطـاهرة كيـف يتكلمـون عنـك.. وكـأنهم قطعوا كل حبال النجدة التي يمدها إليـك محبـوك من البسـطاء والمتواضعين، والذين رضوا أن يصـدقوا بـالمعجزات والخـوارق في سبيل أن يثبتوا نجاتك.

وقد غاب عنهم جميعا أنك لست ناجية فقط.. وأنـك لسـت من أهــل الجنــة فقــط.. بــل أنت محــل نظــر اللــه.. ومحــل اصطفائه.. فهو اختارك من بين نسـاء العـالمين جميعـا لتكـوني أمــا لحبيبــه الــذي اصــطفاه وارتضــاه.. ومن كــان محلا لهــذا الاصطفاء لا يمكن أن يتخيل خيال، أو تدرك نفس ما أعد له من قرة أعين.

هذه رسالتي ـ سيدتي ـ مضمخة بدموعي.. وبحرارة الشوق لك، ولابنك.. ولأحفادك الطاهرين.. فتقبليها مـني.. وكـوني أنت وابنك وأحفادك شفعاء لي عند ربك.

---

(2) مجموع الفتاوى (4/ 325)

## إلى الزوجة الوفية

سيدتي الطاهرة الوفية المظلومة خديجة..

يـا أم كـل الطـاهرين الشـهداء الـذين تـزينت بهم الأرض، وتضـمخت بعطـرهم السـماء.. يـا أم الزهـراء، وجـدة الحسـن والحسين، وجـدة كـل أولئـك الـذين ملأوا الأرض سـلاما وجمـالا وطهرا.. يا زوجة رسول الله ﷺ.. يا من بشرك جبريل بالجنان.. وألقى إليك تحيات السماء..

يا من ملأت قلوبنا أشواقا ورقة.. فكلمـا نتـذكرك، ونتـذكر تضحياتك، تنهمر الدموع من مآقينا، لا نستطيع كفكفتهـا، وكيـف نستطيع، ومشهدك وأنت تعـانين في رمـال الشـعب، محاصـرة جائعة ظمآنة، مثلما حوصر حفيدك الحسـين، وأهـل بيتـه الـذين هم من نسلك الطاهر.. لا يغادر أبصارنا ولا بصائرنا.

اسمحي لي أيتها الزوجة الوفية.. والأم الغالية.. والشـهيدة الصديقة.. أن أحدث قومي بشأنك، فقـد رأيت فيهم من الغفلـة عنك، ما جعلهم لا يكادون يذكرونك بين زوجات رسـول اللـه ﷺ مع أنك كنت زوجته الوحيدة في أكثر سني عمره، وفي السـنين التي لم يكن فيها إلا معك، قبل أن تزدحم عليه تكاليف الرسالة وأعباءها في المدينة المنورة؛ فلا يكاد يمكث في بيته إلا قليلا.

ومع ذلك، وبعد فراقك الحزين له، بقي يحن إليك، ويذكرك كل حين، لأنك لم تغادري قلبه، ولا حياتـه، بـل كـان يحن للأيـام التي كنت فيها سنده، وكنت فيها المثال الأعلى للمرأة الصديقة الطـاهرة المجاهـدة الـتي لم يكن لأي امـرأة غيرهـا، أن توضـع معها، أو تقارن بها.

ولم يكن ذلك نتيجة عاطفة من عواطـف البشـر العـاديين؛ فرسول الله ﷺ معصوم العاطفة، فلم يكن ينظـر إليـك جسـدا، وإنما كان ينظر إليك روحا شفافة مملوءة بقيم الجمال؛ فلـذلك كان يحدث عنـك أمتـه، لتجعلـك رمـزا من رموزهـا، وقيمـة من قيمها، ومعنى من معانيها النبيلة.

لقد كان يقول عنك وعن فاطمـة الـتي هي بضـعة رسـول اللــه ﷺ ابنتـك، ومـريم، وامـرأة فرعـون: (حسـبك من نسـاء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجـة بنت خويلـد. وفاطمـة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)(1)

وكان يكرر ذلك لأمتـه لتملأ قلوبهـا بمحبتـك، ومحبـة القيم النبيلة التي تحملينها، والـتي أهلتـك لـذلك الشـريف الرفيـع في مـراتب الإنسـانية، ومن الأمثلـة على ذلـك مـا رواه ابن عبـاس قـال: خـط رسـول اللـه ﷺ في الأرض أربعـة خطـوط. فقـال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: (أفضل نسـاء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ﷺومـريم ابنـة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون)(2)

وهذا الفضل ـ أيتها الوفية الصديقة ـ ليس فضلا اعتباطيـا ـ كما يتوهم المغلفون ـ ولا عاطفيا، فرسول الله ﷺ أكـبر من أن يحكم بعاطفته، وقد قال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، ـ 4]، وإنمـا كـان ﷺ يعـبر عن الحقـائق الكـبرى للوجـود، ومنهـا وجـودك الممتلئ بـالطهر والقداسـة، فـأنت ركن من أركـان الجمـال الأنثـوي في معانيـه

(1) رواه الترمذي بسند صحيح والنسائي والحاكم (التاج الجامع للأصول 379 / 3)

(2) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد 223 / 9)

السامية التي لا تراها العيون المحبوسة في قيود الكثافة.

ولذلك لا نستطيع نحن ولا غيرنا أن نعرفك، أو نعرف معنى كونك أحد أولئك الأربع الـذين تأسـس عليهم الجمـال الملكـوتي للمرأة.. وإنما يمكننا أن نعرفـك فقـط من خلال مـا روي عنـك، وهو قليل جدا بجانب حقيقتك الـتي امتلأت بهـا جوانحـك، حـتى يختارك الله لنبيه، وفي أحرج الفترات التي تمر بحياته.

ونحن نحسب، بل نوقن أن تلك المعاني النبيلـة الـتي كـان قلب رسول الله ﷺ يمتلئ بها، حين يذهب إلى حراء أو قبلهـا أو بعدها، كان يبثها إليك، فيستحيل على الزوجة ألا تسـأل زوجهـا، ويســتحيل عليــك وأنت من امتلأت بحب رســول اللــه ﷺ ألا تعرفيه، وتعرفي الأسرار التي كان يمتلئ بهـا، ولـذلك كنت أول المؤمنين إيمانا.

ولم تكوني في حاجة للذهاب إلى ورقة بن نوفل أو غـيره، ليثبت لــك ذلــك.. فكــل ذلــك من روايــاة البغــاة الــذين أرادوا تشويهك وتشويه رسول الله ﷺ.. ومن العجيب أنهم يذكرون أن موسى عليه السلام عرف كونه نبيا، بل طلب النبوة لأخيه، عنـد كلام الله له، ثم يجعلون رسول الله ﷺ محتاجا إلى ورقة وغيره ليثبت له نبوته..

وكل ذلك تضليلات من الفئة الباغية لتصور رسـول اللـه ﷺ بالصورة التي يرغبـون فيهـا.. ولـذلك نحن نـوقن بـأن معرفتـك بشأن رسول الله ﷺ وكونـه محلا للنظـر الإلهي، ومحلا لارتبـاط الأرض بالسماء، لم يكن وليد بعثته فقط، وإنمـا كـان قبـل ذلـك بكثير..

وقد روى الرواة أن سبب زواجـك بـه، وتركـك للـزواج من غيره، رغم كثر من طلب يدك، هو انتظـارك لـذلك اليـوم الـذي

تتحقق فيه أمنيتك، فقد روي أن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كـان لهن في رجب، فلم يـتركن شـيئا من إكبـار ذلـك العيـد إلا أتينه، فبينما هن في عيـدهن تمثـل لهن رجـل، فلمـا صـار منهن قريبا نادى بأعلى صوته: (يا نساء مكـة إنـه سـيكون في بلـدكن نبي يقال له أحمد، يبعث برسالة اللـه، فأيمـا امـرأة اسـتطاعت أن تكون له زوجا فلتفعل؛ فحصبته النساء وقبحنـه وأغلظن لـه، وأغضـت خديجـة على قولـه، ولم تعـرض لـه فيمـا عـرض فيـه النساء)[1]

ومن ذلـك اليـوم، وأنت تبحـثين عن ذلـك الـزوج الكـريم.. وعندما علم الله صدقك، دلك عليه، فلم يكن حديث ذلك الرجل الذي سمعته كما سمعه النسـوة معـك سـوى دعـوة إلهيـة لـك، لتلتحقي بقافلة الطهر، التي كانت تهيأ ذلك الحين.

ونحن لا نستغرب هذا، ولا نتعجب منه، فكما هيأ الله تعالى للمسيح أما من صغرها الباكر، فأنت أيضا قد هيئت لرسول الله ﷺ تهيئة خاصة، ولذلك كنت ومريم في درجة واحدة.

وقد أشار ابن عمك ورقة بن نوفل إلى كثرة ذكرك لـه ﷺ، وكثرة بحثك عنه، فقال بعد أن وصفت له ما ذكره لك ميســرة: (لئن كان هذا حقا يا خديجة، فإن محمدا لنبي هـذه الأمـة، وقـد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه)[2]

ثم أخذ أمامك يذكر أشواقه إلى هذا النبي الموعود، وكأنـه

[1] رواه المـدائني، عن ابن عبـاس، انظـر:شـرح الزرقـاني على المـواهب اللدنيـة بالمنح المحمدية (4/ 365)

[2] السيرة النبوية لابن كثير (1/ 268)

يعبر عن أشواقك أنت أيضا؛ فقد قال:

لججت وكنت في ... لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد ... فقد طال انتظاري يا
ببطن المكتين على ... حديثك أن أرى منه
بما خبرتنا من قول ... من الرهبان أكره أن
بأن محمدا سيسود ... ويخصم من يكون له
ويظهر في البلاد ضياء ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه ... ويلقى من يسالمه
فيا ليتي إذا ما كان ... شهدت فكنت أولهم
في الذي كرهت ... ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا ... إلى ذي العرش إن
وهل أمر السفالة غير ... بمن يختار من سمك
فإن يبقوا وأبق تكن ... يضج الكافرون لها
وإن أهلك فكل فتى ... من الأقدار متلفة حروجا

وهكذا وردت الروايات الكثيرة تخبر عن علمك بالشأن الذي كان لرسول الله ﷺ مثلما كانت تعلم أمه وعمه وجده، والذين كانوا يحرصون عليه، ويعلمون أن له شأنا عظيما عند الله تعالى.

ولذلك نحن نكذب كل الروايات التي تسيء إليك، وتصورك بصورة المرأة الجاهلية العادية التي تعبد الأصنام، وتمارس ما يمارسه أهل الجاهلية من طقوس، ذلك أن تلك

المنزلة الرفيعة التي أهلت لهـا، لم تكن لتسـمح بـذلك، فعقلـك لم يكن أقل نضجا من عقل أولئك الحنفاء، ولا من عقـل أولئـك الموحدين المحافظين على دين إبراهيم..

وكيف يكون الأمر كذلك، وأنت لم تـذكري زواجـك لسـدنة الأصـنام المحيطـة بالكعبـة، وإنمـا ذكرتهـا لابن عمـك لعلمـك بتوحيده وإيمانه وانتظاره للنبي الموعود، والذي لم يكن يختلـف عن انتظارك.

لكن المشاغبين من الفئة الباغية راحوا يصـورونك بصـورة أخرى، بل إنهم في بعض ما يروونه يذكرون أنك سقيت أباك أو عمك خمرا حتى يوافـق على زواجـك، بـل إن بعضـها يـذكر أنـه كان ثملا عندما حدثته عن ذلك.

وكل ذلك زور وبهتان وتلفيق من أعـدائك الـذين لم يجـدوا في حياتـك مـا يمكن أن يسـيء إليـك، فراحـوا ــ بعـد وفاتـك ـ يستحلون الكذب عليك، كما استحلوه على رسول الله ﷺ، وكل الأنبياء والصالحين.

لقد رووا عن الزهري، وأنت تعرفين تدليسه، وصلته بالفئة الباغيـة من بـني أميـة، أنـه قـال يحـدث عن كيفيـة زواجـك من رسول الله ﷺ: (.. فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد، وهو ثمـل من الشراب، فقالت: هذا ابن أخيك محمَّد بن عبـد اللـه يخطب خديجة، وقد رضيت خديجـة، فـدعاه، فسـأله عن ذلـك، فخطب إليه، فأنكحه، قـال: فخَلَّقتـه خديجـة، وحَلَّت عليـه حلـة، فـدخل رسول الله ﷺ بها، فلما أصبح، صحا الشـيخ من سـكره، فقـال: ما هذا الخلوق، وما هـذه الحُلَّة؟ قـالت أخت خديجـة: هـذه حلَّة كساكها ابن أخيك محمد بن عبد الله أنكحتـه خديجـة، وقـد بـنى بها، فأنكر الشيخ، ثم سلَّم إلى أن صار ذلك واستحيي، وطفقت

رُجاز من رُجَّاز قريش تقول:

لا تزهدي خديجُ في محمَّد.. جلد يضيء كضياء الفرقد)(1)

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يصورون أنك التي قمت بذلك، لأنك لم تستطيعي إقناعهم بالقبول بزواجك من رسول الله ﷺ؛ فرحت تحتالين عليهم بالخمر.. وكل ذلك ليشوهوك، ويشوهوا رسول الله ﷺ، ويذكروا أنه لم تكن له أي مكانة بين قومه على الرغم من كل الروايات التي تشيد به، وتذكر أن قومه جميعا كانوا يصفونه بأنه الصادق الأمين(2).

وهم يعلمون أن الخمر لم يكن يشربها في ذلك العصر إلا الصعاليك، أما أصحاب المروءات، فلم يكونوا يقربونها، بل كانوا يعتبرونها من الرجس الذي يسيء إليهم، وقد رووا أن العباس بن مرداس السلمي، والذي لم يكن أكثر مرؤة من والدك، قال: (لا أشرب شرابا أصبح سيد قومي، وأمسي سفيههم)(3)

---

(1) المغازي النبوية لابن شهاب الزهري ص 43..

(2) وقد كانت هذه الروايات التي لفقوها سببا في طعون المستشرقين، فقد قال دورمنغم: (ولم يتم لخديجة ما عزمت عليه بغير مقاومة، فلم يرق أسرتها وهي غنية حليفة لبني مخزوم، أن تتزوج يتيما فقيرا غامض الأمر دون بني مخزوم قدرا) [حياة محمد، ص43]، وهذا غريب، فلم يكن بنو أسد حلفاء لبني مخزوم، وهكذا علق بودلي على هذا الأمر فقال: (لو أن محمدا كان من علية القوم الأربعمائة، ولو أنه كان من أعضاء الندوة الأغنياء أو بني المطلب، الذين عاشوا حول الكعبة..بل كان نقيض ذلك) [الرسول، ص46]، وقال: (وقامت خديجة في نفس الوقت، تمسح رأس عمها بالزعفران والعنبر، ودوت في أركان بيت خديجة أصوات التهليل، وصار زواج محمد من خديجة أمرا واقعا، وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة فقد تعلم فعل الخمر في النفوس، وحين كان كل يربت على كتف صاحبه ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون، جاء من يكتب العقد وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء، أتفق على الصداق وتم عقد القران وانتهى الأمر، وصار محمد يعد بعلا لخديجة بحسب شريعة مكة) [الرسول، ص35]

(3) أبو علي القالي، الأمالي، 1/205.

وهكـذا يـذكرون أن الشـاعر المعـروف طرفـة بن العبـد تحاشـاه قومـه بسـبب معاقرتـه الخمـر، كمـا يفعلـون بـالبعير الأجرب، فراح يعبر عن ذلك بقوله[1]:

ومازال تشرابي ... وبيعي وإنفاقي طريفي
الى أن تحامتني ... وأفردت أفراد البعير
ألا أيهذا الزاجري ... وإن أشهد اللذات هل
فإن كنت لا تستطيع ... فدعني أبادرها بما

والعجيب أن هؤلاء الذين يذكرون هـذا، هم أنفسـهم الـذين يذكرون أنك كبيرة السن، وسبق لك الزواج قبل رسول الله ﷺ، وأنك لم تكتف قبله بزوج واحـد، وإنمـا تـزوجت بـزوجين، وكـل ذلك، حتى يثبتـوا أنـك لسـت أكـثر شـأنا من غـيرك، ولا أفضـل منهم.. وكل ذلك كذب وزور وبهتان ينفيه العقل والنقل.

أما العقل، فالكل، وفي جميع العالم يعلم أن الـزواج الأول لأي شخص، وخاصة في مرحلة الشباب، يكون من البكر، لا من الثيب، ويكون من المرأة الـتي تدانيـه في السـن، لا الـتي تكـبر عليه.. وهذا من المتفق عليه بين طباع البشر جميعا، وخصوصـا بين العرب الذين كان رسول الله ﷺ واحدا منهم.

ولم يدر هؤلاء أن ذلك التبرير الخطير الـذي وضـعوه، وهـو كونك غنية مع فقر رسـول اللـه ﷺ، يسـيء لا لـك فقـط، وإنمـا يسيء إليه أيضا، لأن العـادة جاريـة على أن الشـخص لا يـتزوج المـرأة الـتي تكـبره سـنا إلا لطمعـه في مالهـا، أو في بعض المصالح التي يقضيها من وراء زواجه منها.

---

[1] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص86 .

ولو أن هؤلاء الذين أشاعوا هذا راحوا يستعملون عقولهم في الروايات التي تؤرخ لعمرك، لعرفوا أنك لم تكوني إلا تربا لرسول الله ﷺ، وفي نفس عمره، وقد ذكر البيهقي ذلك، وصححه، وأورد غيره الأدلة عليه(1).

لكنهم أبوا إلا أن يجعلوك ــ حين تقدم رسول الله ﷺ لخطبتك ـ بنت ست وأربعين سنة، أو في سنّ الأربعين(2)، ومن العجيب أنهم يذكرون أن أهلك مع ذلك كانوا مترددين في زواجك من رسول الله ﷺ الذي كان حينها لا يزال شابا يافعا لا يجاوز الإحدى وعشرين سنة (3).

ولو أنهم رجعوا لما ذكروه في تاريخ وفاتك، وعمرك حينها، لعرفوا ذلك، فقد ذكر البيهقي في دلائل النبوة أن عمرك حين الوفاة كان خمسين سنة، فقال: (لقد بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال خمسين وهو أصح)(4)، وهكذا اعتمد ابن كثير على رواية البيهقي، فذهب إلى أن عمرك حين الوفاة كان

---

1() انظر: دلائل النبوة للبيهقي ج2 ص71 والبداية والنهاية ج2 ص294 و295، السيرة النبوية لابن كثير ج1 ص265.

2() انظر: ابن اثير، الكامل، ج2، ص39؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج8،ص174؛ ابن اثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص23.

3() هكذا روى الزهري، فقد روي عنه أنه قال: كان عمر رسول الله ﷺ إحدى وعشرين سنة، وهو يتناسب مع عمر الزواج في ذلك الوقت، وقيل: خمساًوعشرين سنة، زمان بنيت الكعبة، وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنّ عمر النبي ﷺ عند الزواج بخديجة خمس وعشرون سنة، ونقل ابن الأثير أقوالاً مختلفة في ذلك وهي: (٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٧)سنة[انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص314، ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١، ص٣5].

4() دلائل النبوة: ج2، ص71.

خمسين سنة (1).

وهم يتفقـون على أن زواجـك برسـول اللـه ﷺ كـان قبـل البعثة بخمس عشرة سنة، وأنك مكثت معه في بيتـه زوجـة لـه خمسا وعشرين سنة.. وهذه الحسابات وحـدها كافيـة لـرد تلـك الأباطيل الـتي يشـيعونها عنـك قصـد تشـويهك، وتشـويه النبـوة معك.

ولم يكتفوا بذلك، بل راحـوا يـذكرون زواجـك قبـل رسـول الله ﷺ، حتى يهونوا من شأنك، وقد كان الكذب واضحا في تلك الروايات، فبينما هم يذكرون تنافس أشراف قـريش على طلب يدك، بل يذكرون تردد أهلك في رسول الله ﷺ حين طلبــك، إذا بهم يذكرون أن الذي تزوجك لم يكن سوى شخصين عاديين لم يكن لهما أي قيمة اجتماعية، وقد تناقضـوا فيهمـا كمـا تناقضـوا في كـل مـا يدلسـونه عليك(2)، لأنهم يعرفـون أن هنـاك الكثـير ممن لا يقرأ، ولا يحقق، بل يكتفي فقط بأن يسـتمع، ويـردد مـا يقال له.

لم تقتصر إساءاتهم إليك على ذلك فقـط، بـل إنهم راحـوا يتلاعبـون بتلـك النصـوص المقدسـة الكثـيرة الـتي وردت في فضلك، يؤولونها ليصرفوا عنك الأفضلية لتصـبح لغـيرك، مـع أن رسول الله ﷺ كان يخبر كل حين أنك أنت الأفضل، لا باعتبـارك جسدا، وإنما باعتبارك ممثلة لكل القيم النبيلـة الـتي لم تجتمـع إلا في النساء الأربع.

---

(1) سيرة ابن كثير: ج1 ص264.

(2) بعض المصادر تسمي أحدهما أبا شهاب عمرو الكندي، وتسميه أُخري مالـك بن النبـاش بن زرارة التميمي، وأُخـري تسـميه هنـد بن النبـاش، وأُخـري تسـميه النبـاش بن زرارة، وأما من دعي بعتيق بن عائذ المخزومي، وهو الزوج الثاني المفترض، فقـد سـمته بعض المصادر عتيق بن عابد التميمي إلي غيرذلک..

ومن ذلك ما حدثت به عائشة قالت: كان رسول اللـه ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجـة؛ فيحسـن الثنـاء عليهـا، فذكرها يوماً من الأيام فـأدركتني الغـيرة، فقلت: هـل كـانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، ثم قال: (لا والله مـا أبدلني اللـه خـيراً منهـا، آمنت بي إذ كفـر النـاس، وصـدقتني إذ كذبني الناس، وواسـتني في مالهـا إذ حرمـني النـاس، ورزقـني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النسـاء)، قـالت عائشـة: (فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً )(3)

فـذكر رسـول اللـه ﷺ لـك بين النـاس يـدل على أنـك من أولئـك الـذين أمرنـا بـذكرهم والثنـاء عليهم، لا لـذواتهم، وإنمـا لتحولهم إلى قيم نبيلة، يمكن أن يتخـذها النـاس أسـوة لهم في حياتهم.

وكيف لا يفعل ذلك، وقد أمـره اللـه تعـالى بـذكر صـاحبتك مريم عندما قال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16]، فأنت ومريم في مرتبة واحدة، وفي محل واحد، ولذلك كان ذكـرك مطلوبـا مثـل ذكرهـا.. ذلـك أنـه بذكركما تذكر المعاني الطاهرة.

ولذلك كان ﷺ يذكرك أمام النساء، لا باعتبـارك زوجـة لـه، وإنما باعتبارك رمزا عمليا لكل القيم النبيلة الـتي تمثلت فيـك.. وكيف لا تتمثلينها، وأنت التي أخرت زواجك حـتى تلتقي بـه ﷺ، وبقيت أشواق قلبك معلقة إلى أن وصلت إليه، ثم ضـحيت بعـد ذلك بكل ما تملكين، وآثـرت الحصـار والجـوع والآلام على تلـك العزة التي كان يمكن لأموالك أن توفرها لك.

ولكن مع ذلك كله نظر الباغون إليك نظرة أخرى، غير تلك

(3) رواه أحمد وإسناده حسن (مجمع الزوائد 224 / 9)

التي كنت عليها، والتي رسمها ﷺ عنك.. حيث تصوروا أن الأمـر مرتبط بالأهواء لا بالدين.. فلذلك راحـوا يسـتعملون كـل الحيـل التي تجعلهم يصورون أن الله تعالى أبدلك بمن هو خـير منـك.. مع أن رسول الله ﷺ كان يـردد كـل حين: (لا واللـه مـا أبـدلني اللـه خـيراً منهـا)، وهي كلمـة عظيمـة من الـذي لا ينطـق عن الهوى، ومشفوعة بقسم.. وما كـان رسـول اللـه ﷺ يقسـم عن هوى، أو يتحدث عن هوى.

والعاقلون يـدركون ذلـك، ولا يحتـاجون لقسـم من رسـول الله ﷺ .. فالفطرة السليمة تدل على ذلك، فكيف يوضـع معـك غيرك، وأنت التي قدمت من الخدمات للإسلام في تلـك الفـترة الحرجـة مـا تنـوء بـه الجبـال.. ويكفي من ذلـك أنـك كنت أول النساء إسلاما، وبذلت كل مالك في سبيل اللـه إلى أن مت في الشعب فقيرة محاصرة لا تجدين شيئا تأكلينه.

وقـد ذكـر رسـول اللـه ﷺ بركـات مالـك على الـدعوة الإسلامية في مهدها، ففي الحديث، قـال ﷺ: (مـا نفعـني مـالٌ قطُّ، ما نفعني مالُ خديجة)(1)، وقد كنت تساهمين به في عتـق الرقيق، وأداء الديون عن الغارمين، ومساعدة الفقراء، ومدّ يـد العون إلى المحتاجين، وكنت أنت وأبو طالب مصدر الإنفاق في ذلك الحصار الجائر.

ومما روي في ذلـك أن أبـا جهـل بن هشـام كـان قـد لقي حكيم بن حـزام بن خويلـد بن أسـد، ومعـه غلام يحمـل قمحـاً، فتعلّق به وقال: أ تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تـبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة؛ فجاءه أبو البختري ابن هاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى

(1) بحارالانوار، ج19، ص 63..

بني هاشـم، فقـال لـه أبـو البخـتري: (طعـام كـان لعمّتـه ــ أي خديجة ـ عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعـه أن يأتيهـا بطعامهـا! خـل سبيل الرجل)(1)

وكيـف يوضـع غـيرك معـك، وقـد روي بالأسـانيد الكثـيرة المتواترة ما يدل على الصبر الذي أبديته في حياتك مـع رسـول الله ﷺ في مكة المكرمة، وفي أوقـات الشـدة العظيمـة، وأنت التي كنت غنية عن ذلك.. في نفس الوقت الـذي يـذكر القـرآن الكريم والسنة الصحيحة أن نساء النبي ﷺ في المدينة اشـتكين حياة الشظف التي يعشنها مع رسول الله ﷺ إلى الدرجـة الـتي نـزل القـرآن الكـريم يخـيرن فيهـا بين صـحبة رسـول اللـه ﷺ والصبر على حياته، أو أن يملكن أمـرهن بـالافتراق عن رسـول الله ﷺ، كما قال تعالى يذكر ذلك: ﴿ يَاأَيُّهَـا النَّبِيُّ قُـلْ لِأَزْوَاجِـكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَـا فَتَعَـالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَـرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالـدَّارَ الْآخِـرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْـرًا عَظِيمًـا ﴾ [الأحـزاب: 28، 29]

وقد أورد المحدثون في سـبب نزولهـا أن عائشـة أخـبرت: أن رسول الله ﷺجاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسـول اللـه ﷺ، فقـال: (إني ذاكـر لـك أمـرا، فلا عليـك أن لا تستعجلي حتى تسـتأمري أبويـك)، وقـد علم أن أبـوي لم يكونـا يأمراني بفراقه. قالت: ثم قـال: (وإن اللـه قـال: ﴿ يَاأَيُّهَـا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هـذا أسـتأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)(2)

---

(1) سيرة ابن هشام (2/ 5).

(2) رواه البخاري برقم (4785)

نعم هذا موقـف طيب من عائشـة، والبـاغون يفخـرون بـه كثيرا، وينسون أن يذكروا معه في غمرة فخرهم واستعلائهم أن كل ذلـك لم يخطـر على بالـك أصـلا.. وهـل يمكن لمن هـو في مرتبتك من الزهد والتقوى أن يطالب رسول الله ﷺ بمثـل هـذا أو غيره؟

لقد كنت ترين رسول الله ﷺ كـل شـيء.. فلم يكن يهمـك سواه.. فلذلك ضحيت بمالك كله في سبيل اللــه.. ولم تشــتكي أي شكوى.. بل بذلت ذلك برضا وطمأنينة وسعادة.

لكن البغاة يأبون إلا أن يتلاعبون بكل ما ورد في حقك من فضـل، باعتبـارك المثـال الأعلى للمـرأة المسـلمة، ليسـتبدلوا غيرك بصنوف الحيل التي تعلموها في تمييع النصوص المقدسة والتلاعب بها.

ومن الأمثلـة على ذلـك إيـراد الخلاف في التفاضـل بينـك وبين عائشـة، فقـد قـال بعضـهم: (وفاطمـة أفضـل بناتـه على الإطلاق، وقيل إنها أفضل نساء العالمين، وقيل بل أمها خديجة، وقيل بل عائشة، وقيل بل بالوقف في ذلك)[1]

ولست أدري كيف يطرح هذا ورسول الله ﷺ ذكرك وابنتك فاطمـة، ولم يـذكر معـك عائشـة، ولكنهم أبـوا إلا أن يـدخلوها، وأبـوا إلا أن يزيـدوا فيفضـلوها.. من غـير دليـل إلا الأهـواء، ولم يعلموا أن الأمر مرتبط بالدين، لا بالأشخاص، وأن الله هو الـذي يختار، لا رسوله، ولا غيره من البشر، وقد قـال تعـالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَـرَةُ سُـبْحَانَ اللـه وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]، فقد اعتبر الله في الآية الكريمة الاختيار مـع اختيـار اللـه شـرك، لأن المشـرك هـو الـذي يجعـل

---

[1] () زاد المعاد ج: 1 ص: 104.

نفسه أو غيره ندا لله.

وهكذا قال آخر، لاشك أنك تعرفينه، إنه من يطلقون عليه كذبا وزورا [شيخ الإسلام]، ذلك الذي امتلأ نصبا وعداوة لكل من يمت لأهل النبوة بصلة، فقد قال تلميذه النجيب يذكر ذلك: (ومنها أنها خير نساء الأمة واختلف في تفضيلها على عائشة على ثلاثة أقوال، ثالثها الوقف، وسألت شيخنا ابن تيمية فقال: اختص كل واحدة منها بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مالها فأدركت عزة الإسلام، واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها، وعائشة تأثيرها في آخر الإسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع نبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا معنى كلامه)[1]

ولو قرأ هذا الذي يسمونه شيخ الإسلام القرآن الكريم، وسلم لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: 10]، لعرف أن الفضل لا يرتبط بالرواية، وإنما يرتبط بالمواقف، وفي الأوقات الحرجة.

ولو كان الأمر مرتبطا بالرواية، لكان أبو هريرة أفضل الصحابة، فهم يروون عنه ما لا يروون عن غيره، مع العلم أنه أسلم بعد الفتح.. وهم لا يقولون بذلك.

ولو كان الأمر مرتبطا بالرواية، فإن جميع أمهات المؤمنين بلغن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وأدين ما رأينه واجبا عليهن، فلم تخص بذلك زوجة دون زوجة.

---

1() جلاء الأفهام ج: 1 ص: 234.

ولم يكتفوا بذلك حتى يصرفوا النظر عنك، وإنما راحوا يدرجون في النصوص المقدسة ما ليس منها، ثم يجعلون المدرج أصلا، ليلغوا به متن الحديث.. فقد زادوا في الحديث الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ النسوة الأربع التي تمثلن بجميع القيم النبيلة حتى صرن نماذج صالحة للاقتداء هذه الزيادة: (وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1]

وقد رووا ذلك، وهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أكرم من أن يشبه البشر بالطعام، ويشبه زوجته بالثريد.. وهذا لا يكون إلا من أولئك الذين يحتقرون المرأة، ويتصورون أنها مجرد متعة من المتع مثل الطعام الذي يستمتعون به، وليست إنسانا محترما له رسالته في الحياة الدنيا مثله مثل الرجل تماما.

ورووه، وهم يعلمون أن الثريد لم يكن في يوم من الأيام سيد الطعام، بل قد ورد في النصوص ما يبين فضل اللبن والتمر والعسل، وغيرها، والتي لا يساوي الثريد أمامها شيئا، حتى أن بعض المحدثين راح يبرر الحديث بطريقته الخاصة في التبرير الذي يتنافى مع جلال النبوة، فقال: (والظاهر أن فضل الثريد على سائر الطعام إنما كان في زمنهم لأنهم قلما كانوا يجدون الطبيخ، ولا سيما إذا كان باللحم، وأما في هذا الزمان فأطعمة معمولة من أشياء كثيرة متنوعة فيها من أنواع اللحوم ومعها أنواع من الخبز الحواري، فلا يقال: إن مجرد اللحم مع الخبز المكسور أفضل من هذه الأطعمة المختلفة الأجناس والأنواع، وهذا ظاهر لا يخفى)[2]، ولو أنه رفض الحديث لتنافيه

---

[1] رواه البخاري (3411) ، ومسلم (2431)

[2] عمدة القاري ج 16 ص 251.

مع بلاغة النبوة، لكان أسهل عليه وأجمل من ذلك التعليل.

وهكذا راح آخر يحتال لذلك بقوله: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.. ضرب به مثلا ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق والخلق وحلاوة النطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب إلى البعل، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وحسبك أنها عقلت عن النبي ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال)[1]

وكل ذلك تكلف ممقوت تأباه لغة العرب، فالكريم لا يوصف بكونه ثريدا، ولا أي طعام من الأطعمة، بل يوصف بما يتناسب مع إنسانيته وكرامتها.

ولذلك أنكر ابن حجر كل هذه التعليلات التي لم تكتف بتفضيل عائشة على النساء، وإنما راحت تفضل الثريد على سائر الطعام، فقال: (وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى)[2]

لكن من يسمونه شيخ الإسلام.. راح يستعمل ذلك النص ليلغي كل تلك الأحاديث التي وردت في فضلك.. وليكون ذلك مقدمة لتنساك الأمة.. ولهذا صرنا إذا سألنا أي عامي عن زوجة رسول الله ﷺ يذكر عائشة، ولا يذكرك.. وكأن كل تلك المناقب التي وردت في حقك لم تصدر من رسول الله ﷺ.

لقد قال ابن تيمية عند بيانه لتفضيل عائشة في كتابه

---

[1] تحفة الأحوذي ج10 ص260.

[2] فتح الباري ج 6 ص 321.

(منهاج السنة النبوية)، الـذي حشـاه بكـل ألـوان التعصـب على أهل بيت النبوة: (والجواب أولا أن يقـال إن أهـل السـنة ليسـوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسـائه، بـل قـد ذهب إلى ذلـك كثـير من أهـل السـنة، واحتجـوا بمـا في الصـحيحين عن أبي موسى وعن أنس أن النبي ﷺقال: (فضل عائشـة على النسـاء كفضل الثريد على سائر الطعام)، والثريـد هـو أفضـل الأطعمـة لأنه خبز ولحم.. وذلـك أن الـبر أفضـل الأقـوات، واللحم أفضـل الإدام.. فـإذا كـان اللحم سـيد الإدام، والـبر سـيد الأقـوات، ومجموعهما الثريد، كان الثريد أفضل الطعام. وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال: (فضل عائشة على النسـاء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1]

وقـد تبعـه على هـذا الاسـتدلالات العجيبـة تلاميـذه من المعاصرين لنا، والذين أنسوا الأجيال ذكرك، وكلما ذكـرت ذكـر معك الثريد، وبما أنك لست ثريدا فأنت لست سيدة النساء، ولا النموذج المثالي للمرأة المسلمة.

وكـل ذلـك إعـراض عن النصـوص الواضـحة الكثـيرة الـتي تحـدد مكانتـك ومنزلتـك وفضـلك على نسـاء العـالمين.. وهي نصـوص صـريحة لا تحتـاج أي تأويـل أو تكلـف في الشـرح والتوضـيح، وتتناسـب فـوق ذلـك مـع بلاغـة النبـوة، وكرامـة الإنسان.. فلم يكن رسول الله ﷺ ليثبت فضل شـيء أن يـدخل أي واسطة لذلك الفضل.

بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر رسول الله ﷺ لعائشـة عنـدما ذكرت له أن الله أبدله خيرا من خديجة: (لا والله ما أبدلني الله خيرا منها؟)، وهو دليـل واضـح قطعي في فضـل خديجـة.. لكن

---

[1] منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 301.

مع ذلك ما أسهل أن تؤول النصوص ويتلاعب بها، وقد سمعت بعضهم يقول في هذا الحديث بعد محاولة التشكيك في سنده: (حتى لو صحت فهي ليست نصاً، لأن من الممكن أن يكون المعنى: أن الله ما أبدلني خيراً منها، لكن أبدلني مثلها)

وهكذا الأمر في الاحتيال على الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على فضل ابنتك فاطمة الزهراء على نساء العالمين، ففي كتب أولئك الذين يحاولون تغييبك وتغييبها نجد تفضيلا لعائشة على فاطمة مع أن البخاري روى في صحيحه قوله ﷺ في حق فاطمة الزهراء: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين)[1]، وروى قوله ﷺ: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) [2]، وروى في باب مناقب فاطمة قوله ﷺ: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)[3]، وروى عن رسول الله ﷺقوله: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) [4]

لكن أولئك الذين يقدسون البخاري ويجلونه يشترطون عليه ألا يعارض الأصول التي يعتمدون عليها، فهم يقيمون الدنيا ولا يقعدوها لمن نقد حديثا في البخاري.. لكنهم يعطون لأنفسهم الحرية المطلقة في إنكار ما يشاءون إذا تعارض ذلك مع الأصول التي تعتمد عليها سنتهم.

اعذريني أيتها الأم الطاهرة، والزوجة الوفية أن ذكرت لك

---

1() البخاري (4/183)

2() البخاري (4/209)

3() البخاري (4/219)

4() البخاري (7/142)

كيف يتعاملون معك.. فهم لم يقصدوا فقط إنزالك من مرتبتك التي أنزلك فيها ربك، وإنما يقصدون إلغاءك تماما، لهذا لا نراهم يذكرونك إلا قليلا، مع أن رسول الله ﷺ كان يذكرك كثيرا.

ولذلك كانت السنة أن نذكرك ونشيد بك، لتكوني النموذج المثالي أنت والنساء الأربع.. هكذا ورد النص المقدس، وما كان لنا أن نختار مع النص المقدس، أو نذكر آراءنا أو نحتال بما نشاء من حيل.

بعد هذا اسمحي لي أن أردد على مسامعك في ختام هذه الرسالة تلك الكلمات العذبة التي قيلت لك، وقلتها في خاتمة حياتك المملوءة بالتضحية والوفاء وكل قيم الجمال..

لقد ورد في الحديث أن الملاك العظيم روح الله جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب) (1)

وقد روى المحدثون أن رسول الله ﷺ عندما بلغ هذه التحيات الزكيات الطاهرات، قلت كلمات تنبئ عما في قلبك من معان نبيلة رقيقة: (هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته)

لله ما أجمل هذه الكلمات وأعظمها.. إنها تختصر حياتك اختصارا .. فأنت وفي ظل تلك الظروف الشديدة القاسية، وبعد ثلاث سنوات من الجوع والحصار.. لم تتأثر علاقتك بربك، ولا اهتزت، ولا بلغ قلبك الحناجر، مع أن الكل كان يتربص بك

(1) رواه البخاري 7 / 104 ، ومسلم رقم (2433).

وبزوجك العظيم.. ولكنك مع كل تلك الزلازل التي عشـت فيهـا واقعة الأحزاب كل يوم، كنت تشعرين بالسلام.. السلام الذي لا يشعر به إلا القديسون.. وأنت سيدة القديسين.

ولذلك حزن رسول الله ﷺ على فراقك حزنـا شـديدا، بـل سمى العام الذي فارقتـه فيـه عـام الحـزن، وبقي ذلـك الحـزن يتابعه إلى أن لحق بك.. وقد كان من محبته لـك في اللـه.. أنـه كان يكرم كل من له صلة بك، وقد ورد في الحديث عن عائشة قالت: ما غـرت على نسـاء النـبي ﷺ، إلا على خديجـة، وإني لم أدركها.. وكان رسول الله ﷺ، إذا ذبح الشاة يقول: (أرسـلوا بهـا إلى صدائق خديجة)، قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: (إني رزقت حبها)(1)

وقالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجـة وتـذكره، فارتـاع لـذلك، فقـال: (اللهم هالة بنت خويلد)، فغرت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قـريش حمـراء الشـدقين(2) هلكت في الـدهر، فأبـدلك الله خيرا منها، فغضب النبي ﷺ حتى قالت له: لا أذكرها بعد هذا إلا بخير (3) .

وفي حديث آخـر روتـه عائشـة، قـالت: جـاءت عجـوز إلى النبي ﷺ، وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟ قـالت: أنا جثامة المزنية فقـال: بـل أنت حسـانة المزنيـة، كيـف كنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنتم بعـدنا؟ قـالت: بخـير بـأبي أنت وأمي يـا

---

1() رواه مسلم: 6431..

2() حمراء الشدقين: أي سقطت أسنانها وبقيت حمرة اللثاث.

3() رواه البخاري: 3821، ومسلم: 6435.

رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسـول اللـه تقبـل على هـذه العجوز هذا الإقبال فقال:( إنهـا كـانت تأتينـا زمن خديجـة، وإن حسن العهد من الإيمان)(1)

هل رأيت وفاء رسول الله ﷺ لـك أيتهـا الصـديقة الوفيـة.. فرسول ﷺ يعبر بكل رقة عن حبه لك، وأنت ميتة.. ولا ينسـى ـ وفاء لك ـ أن يحسن لكل من له علاقـة بـك، بـل يغضـب زوجـه لأجلك.

هذه كلماتي لك سيدتي مضمخة بدموعي الـتي لا أسـتطيع كفكفتها، وكيف أسـتطيع وأنـا أراك كـل حين في تلـك الشـعاب محاصرة جائعـة ظمآنـة.. لم تشـهدي ذلـك العـز الـذي آل إليـه المسلمون، ولا تلك الذلة التي نزلت بمن ناوأك..

لكن حسبي أن أعلم أنك لم تغادري رسول الله ﷺ لحظــة واحدة.. فأنت كنت معـه في كـل المحـال.. واللـه تعـالى الـذي أكرم الشهداء بالحياة، وبمعرفة إخـوانهم من المؤمـنين أكرمـك أنت أيضا.. فأنت كنت رمزا للتضـحية والفـداء.. ولـذلك لم تكن خاتمتك المباركة أقل من خاتمة الشهداء، يـا من ارتـوت الأرض بدم أحفادها من الشهداء.

---

1() رواه أحمــد: 1/134، المعجم الكبــير:23/14، شــعب الإيمــان:6/517، وقــال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين على الاحتجاج برواتـه في أحـاديث كثـيرة وليس له علة، الحاكم:1/62.

## إلى رمال الطفوف

يا رمال الطفوف الطاهرة ..

جئت إليك من بلاد بعيدة لأسألك عن أولئك الذين اختلطت دماؤهم الزكية بذراتك؛ فحولوها إلى مغناطيس تنجذب إليه الأفئدة، وتحن إليه القلوب.. فهلا حدثتني عنهم..

هلا حدثتني .. وأجريت من مآقي الدموع التي تغسل عن قلبي تلك القسوة التي بثها قومي في قلبي حين جعلوني أتوهّم أن الحديث عنك وعن تلك الدماء الطاهرة التي سقت أرضك بدعة وهرطقة وزندقة ورفضا وفتنة..

حدثيني لأمتلأ بغضا وحربا لأولئك المجرمين المستبدين الذين راح قومي يضعون كل ألوان الطلاء ليزينوهم، ويمسحوا عنهم تلك الجرائم العظيمة.. وكان من جملة ذلك الطلاء تحريم الحديث عنك، وعن الطاهرين الذين سقوا أرضك.

حدثيني، فأنا أصبحت لا أبالي أن يسموني مهرطقا أو زنديقا أو مبتدعا.. فما أجمل أن أكون في أعينهم بتلك الصورة، ما دام المجرمون عندهم أولياء، والمستبدون عندهم صالحين، والمفسدون مصلحين.. وما دامت قد انتكست في أعينهم الأشياء، فصار الباطل عندهم حقا، والحق عندهم باطلا.

حدثيني، حتى أخرج من حزب يزيد ومعاوية والفئة الباغية، وأنضم إلى حزب رسول الله ﷺ الذي خاطب أهل بيته، عليا وفاطمة والحسن والحسين، وقال: (أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم)[1] ، وقال: (أنا حرب لمن حاربكم، سلم

---

[1] () رواه الترمذي ج 2 ص 319، الحاكم فى المستدرك: 3/149.

لمن سالمكم) (2)

حدثيني.. فنحن الآن في زمنك أيتها الرمال الطـاهرة، بعـد أن كشفت الحقائق، وظهر المستور، وبرز ما حاول كل الطغـاة ستره.

حدثيني فأحفاد يزيد وعمر بن سعد وحرملة والشـمر كلهم قد عادوا من جديد، وصاروا علماء ومفـتين، ومحـدثين وفقهـاء، وأرسلوا بكل سراياهم وكتائبهم ليعثوا في الأرض فسـادا باسـم الإسلام.. ولم يعـد الإسـلام بسـببهم ذلـك الـدين الجميـل الـذي ضحى الإمام الحسين من أجله، وإنما صار دينـا للقتـل والسـلب والنهب وكل أنواع الجرائم.

حدثيني ليسمع قومي الدين الصحيح الذي لم تمسـه أيـدي المجـرمين الظـالمين.. فلا يمكن لهم أن يمـيزوا بين دين اللـه ودين البشر قبل أن يميزوا بين أولياء الله، وأعدائه.

حـدثيني .. فأنـا لا أحب أن أخـرج من هـذه الـدنيا قبـل أن أشم عطر أولئك الصادقين المخلصين الذين أخبر عنهم رسـول الله ﷺ .. بل أخـبرت عنهم كـل المصـادر المقدسـة.. واعتـبرت حبهم ولاية، وبغضهم فجورا.

حدثيني .. حتى أعيش بكل كياني ذلك المشهد الذي صوره أنس بن مالك، فقال: (استأذن مَلَكُ القَطْرِ ربـه أن يـزور النـبي ﷺ، فأذن له، فكان في يوم أم سلمة، فقال النـبي ﷺ: (احْفَظِي علينا البـابَ لا يَـدْخُلُ علينـا أحَـدٌ)، فبينـا هي على البـاب إذ جـاء الحسـين بن علي، فظفـر فـاقتحم ففتح البـاب فـدخل فجعـل يتوثب على ظهر النبي ﷺ، وجعل النبي يتلثَّمه ويقبِّله، فقـال لـه

(2) قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 169): رواه أحمد والطبراني، وفيه تليد بن سليمان، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

المَلَك: أتحبه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه. قال: نعم. فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه فأراه إياه فجاءه بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها. قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء)[1]

ورسمته أم سلمة، فقالت: (كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك. فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ، وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: (وديعة عندك هذه التربة)، فشمها رسول الله ﷺ وقال: (ويح كرب وبلاء) قالت: وقال رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة، إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل)، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: (إن يوما تحولين دما ليوم عظيم)[2]

وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي كنا نقرؤها في مصادر الحديث، ثم لا يُسمح لنا بالتفكير في معانيها.. ويحذروننا أننا إذا فكرنا في معانيها، فسنقع في الزندقة.. لذلك كنا نفعل مثلما كان يفعل اليهود، حين يرون وصف رسول الله ﷺ في كتبهم، لكنهم يسارعون إلى طمسه وتأويله خشية أن يتسرب إليهم اعتقاد نبوته.

حدثيني عن الإمام الحسين سيد شباب الأهل الجنة وبضعة

---

1() ابن حبان في صحيحه (6742)، وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، أحمد في مسنده (13539)، أبو يعلى (363).

2() المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 3/108.

رسـول اللـه ﷺ وسـبطه وريحانتـه .. ذلـك الـذي نكثت ذمتـه، وهتكت حرمته، وأريق بالظلم دمه..

حدثيني عن ذلك الشيب الخضيب، والخـد الـتريب، والبـدن السليب، والثغر المقروع بالقضيب، والودج المقطـوع، والـرأس المرفوع (1).

حدثيني عن ذلك الذي قتلوا بقتله الإسلام، وعطلوا الصـلاة والصـيام، ونقضـوا السـنن والأحكـام، وهـدموا قواعـد الإيمـان، وهملجوا في البغي والعدوان.. حتى أصبح رسول اللـه ﷺ بقتلـه موتورا، وعاد كتاب الله مهجورا، وغودر الحـق مقهـورا.. وظهـر بعـــده التغيـــير والتبـــديل، والإلحـــاد والتعطيـــل، والأهـــواء والأضاليل(2).

حدثيني عن الصبر والثبات حين تجلى في شخصه الكـريم، فصار مثالـه الصـادق، وأسـوته الحسـنة.. فكـان يـردد في يـوم عاشوراء بعد أن صبت عليه كل أنواع المآسي، وكل ألوان البلاء مخاطبا ربه عز وجل، قائلا له: (صبرا على قضائك يا رب، لاإلــه سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غـيرك، صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائما لا نفاد له، يـا محيى الموتى، يا قائمـا على كـل نفس بمـا كسـبت احكم بيـنى وبينهم وأنت خير الحاكمين)(3)

حدثيني عن تلك الليلة التي جمع فيها الإمام الحسين أهلـه وأصحابه، فقال لهم: (إني لا أعلم أصحابا أصـح منكم ولا أعـدل

---

(1) المزار الكبير، أبو عبدالله محمد بن جعفر بن المشهدي، ص 221.

(2) المرجع السابق.

(3) مقتل الحسين للمقرم: 357، ينابيع المودة: 418 .

ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيرا، فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوا جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهـؤلاء القـوم، فإنهم لا يطلبـون غـيري، ولـو أصـابوني وقـدروا على قتلي لمـا طلبوكم)[1]

حينها قام أخوه العباس وغيره من أقاربه ليعبروا عن ذلـك الصدق والثبات الذي نتج عن ولائهم لأهـل بيت النبـوة، فقـالوا: (لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا)

فقـال لهم الإمـام الحسـين : (يـا بـني عقيـل حسـبكم من القتل بمسلم بن عقيل فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم)

فقالوا: (سبحان الله.. ما نقـول للنـاس؟ نقـول: إنـا تركنـا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا نـدري مـا صنعوا، لا والله مـا نفعـل ذلـك، ولكن نفـديك بأنفسـنا وأموالنـا وأهلنا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح اللـه العيش بعـدك)[2]

حينها قام مسلم بن عوسجة، فقال: (أنحن نخلي عنـك، بم نعتــذر إلى اللــه في أداء حقــك ؟ لا واللــه حــتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سـلاح أقـاتلهم بـه لقـذفتهم بالحجـارة، لا واللـه لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، أما

---

[1] () الفتوح 5:ـ 105، تاريخ الطـبري 3:ـ 315، الكامـل في التـاريخ 2:ـ 559، اعيـان الشيعة 1: 600، وقعة الطف: 197.

[2] () الارشاد: 231، تاريخ الطبري 3: 315، الكامل في التاريخ 2: 559، العوالم 17: 244، وقعة الطف: 198..

والله لـو علمت أني أقتـل ثم أحيـا ثم أحـرق ثم أحيـا ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة الــتي لا انقضاء لها أبدا)[1]

وقام زهـير بن القين، وقـال: (واللــه لـوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)[2]

لقد سمعت كل هذه الكلمات الطاهرة يا رمال الطفـوف.. وستشهدين بها عند الله.. وتشهدين معهـا على تلـك التضـحيات التي قدمها ذلك الإمام العظيم وأهل بيتـه الطـاهرين، وأصـحابه الأوفياء الصادقين.

لكنك لم تسمعي ما يردده قومي الذي تتلمـذوا على عمـر بن ســعد وابن زيــاد وشــمر بن ذي الجوشــن.. والــذي راحــوا يتناسـون كـل تلـك الأحـاديث النبويـة الـتي تشـير إلى الحركـة الحسينية وأهميتها ودورها في حفظ الدين.. ويذكرون بـدلها مـا ردده ابن تيميـــة من أن تلـــك الحركـــة لم تكن ســـوى حركـــة عشوائية فوضوية لا قيمة لها..

لم تسمعي لابن خلدون الـذي راح يـرمي الإمـام الحسـين بعدم قبول النصيحة، وبالجهل بالواقع؛ فيردد بكل جرأة: (فتـبين بذلك غلط الحسين، إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلـط فيـه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلـط فيـه، لأنـه منـوط بظنـه، وكـان ظنه القدرة على ذلك، وأما الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومصـر

---

[1] المراجع السابقة.

[2] المراجع السابقة.

والعراق والشام والذين لم يتابعوا الحسين، فلم ينكروا عليه ولا أثمّوه، لأنه مجتهد وهو أسوة للمجتهدين به)(1)

ولم تسمعي له وهو يصور الأمر مثل غيره بحسابات الربح والخسارة، لا بحساب التكاليف الشرعية، وما تحمله من معان قد لا يمكن فهمها، مثلما حصل مع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام؛ فيقول: (إنّ هزيمة الحُسين كانت أمراً محتّماً؛ لأنّ الحُسين لمْ تكن له الشوكة التي تمكّنه مِنْ هزيمة الأُمويِّين؛ لأنّ عصبية مضر في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف في بني أُميّة، فعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه)(2)

ولم تسمعي لكل أولئك المتأثرين بابن تيمية وابن خلدون وغيرهما من أصحاب الهوى والأموي، والذين راحوا يرددون مقالتهما، ويهونون من شأن الإمام الحسين الذي يصورونه بصور لا تليق بأبسط الناس وأجهلهم؛ فكيف بسيد شباب أهل الجنة؟

لم تسمعي للشيخ محمد الخضري بك الذي تجرأ على أن يقول: (إن الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جرّ للأمة وبال الفرقة والاختلاف: وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا)(3)

---

1() ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 1/270.

2() المرجع السابق، 1 /152.

3() محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري بك، المحقق: محمد العثماني،

ولم تسمعي للدكتور أحمد شبلي الذي راح يردد من غير أن يعقل ما يقول: (نجيء إلى الحسين لنقر ـ مع الأسف ـ أن تصرفاته كانت في بعض نواحي هذه المشكلة غير مقبولة فهو ـ أولا ـ لم يقبل نصح الناصحين وخاصة عبد الله بن عباس، واستبد برأيه، وثانيا ـ نسي أو تجاهل خلق أهل الكوفة وما فعلوه مع أبيه وأخيه وهو ـ ثالثا ـ يخرج بنسائه وأطفاله كأنه ذاهب إلى نزهة خاوية أو زيارة قريب ويعرف في الطريق غدر أهل الكوفة ومع هذا يواصل السير إليهم وينقاد لرأي بني عقيل ويذهب بجماعة من الأطفال والنساء وقليل من الرجال ليأخذ بثأر مسلم يا لله قد تكون ولاية يزيد العهد عملا خاطئا، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة إلى الصواب؟)(1)

ولم تسمعي لمحمد النجار، وهو يردد: (أما أحقية الحسين بالخلافة فهي فكرة تنطوي عليها قلوب الغالبية من الناس، ولكن ما قيمة هذه القلوب اذا لم تؤيدها السيوف وهي مع ذلك لا تقتضي الخروج، فان امامة المفضول مع وجود الأفضل جائزة، وقد كان علي بن أبي طالب يعتقد أحقيته بالخلافة ولم يخرج على أحد)(2)

ولم تسمعي لكل تلك الخطب والدروس التي تعج بها مساجد قومي ومدارسهم، والتي تنهل من أمثال أولئك الأساتذة والمشايخ، والتي تلوم الإمام الحسين ، وتعتب عليه، لكونه لم يسمع نصيحة ابن عمر.

دار القلم، 1406 – 1986، 1 / 517.

1() موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،أحمد شلبي، مكتبة النهضة ، 2 / 201.

2() الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، محمد الطيب النجار، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، 1977، ص 102 .

ويا لله .. منذ متى صار ابن عمر أستاذا للإمام الحسين؟.. وهل يمكن لابن عمر أو غيره أن يدعي ذلك؟.. وهل يمكن أن يوازى أو يساوى أحد مع ذلك الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه الإمام القدوة الذي جعله الله رمزا للحق، ولأهل الحق؟

ويا لله .. ألم يقرؤوا تلك الأحاديث الكثيرة التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن الإمام الحسين، ومكانته في الدين؟

ألم يقرؤوا قوله ﷺ، وهو يخبر عن الدور الكبير الذي أنيط بالإمام الحسين، والذي لا يمكن فهم الدين فهما صحيحا من دون التعرف عليه، فقد قال في الحديث الذي اتفق على روايته الأمة جميعا: (حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)[1]

أيوجد في اللغة حروف أبلغ من هذه الحروف في الدلالة على مكانة الإمام الحسين.. إنها تعبر بصراحة لا صراحة بعدها بأن الإمام الحسين لم يكن سوى تجسيد لرسول الله ﷺ.. فهو من رسول الله ﷺ .. ورسول الله منه.. ولذلك فإن المجرمين لم يقتلوا فقط الإمام الحسين، وإنما قتلوا رسول الله ﷺ نفسه.

---

1() رواه جمع كبير من المحدثين، منهم: 15- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256ه)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 - 1989، (ص133، رقم 364)، وسنن الترمذي، محمّد بن سورة الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ( 5/658، رقم 3775) وقال : حسن، وابن ماجه (1/51، رقم 144)، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الفكر، 1398 ه، بيروت (3/194، رقم 4820)، وقال: صحيح الإسناد، مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، (4/172، رقم 17597)، المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تقديم كمال يوسف الحوت، 7 مجلدات، دار التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت (6/380، رقم 32196)، وانظر: بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسيّ، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403ق:( 43 / 261 / 1 وص 264 / 16)

هل تجدون في جميع مصادركم حـديثا مثـل ذلـك الحـديث في حق ابن عمر أو غيره، وهل تـرون أن رسـول اللـه ﷺ قـال ذلـك من بـاب المجاملـة، وكيـف يقولـه وهـو من لا ينطـق عن الهوى، ولا يجري عليه ما يجري علينا من العواطف الأهواء؟

ولم يكتف رسول الله ﷺ بذلك، بل كان يردد كل حين تلـك المكانة العظيمة للإمام الحسـين عنـد اللـه.. وأنـه الإمـام.. وأن على ابن عمر وغيره.. بل على جميع الأمة أن تسير خلفه.

لقد كان يقول لهم: (الحسن والحسـين سـيدا شـباب أهـل الجنـة)[1].. ولـو أنهم تـأملوا في هـذا الحـديث، وتجـاوزوا بـه البشارة الغيبية المرتبطـة بـالآخرة، لعرفـوا أن الإمـام الحسـين وأخاه سيدان أي مُتبعان، يتبعهما شباب أهل الجنة.. وهو دعــوة من رسـول اللـه ﷺ لمن يريـد الجنـة أن يتخـذ هـذين الإمـامين الجليلين إمامين له، يسير خلفهما مسلما لكـل مـا يفعلونـه، فلا يصح للمأموم أن يقترح على الإمام.

وقـد كـان من واجب ابن عمـر وغـيره، أن يسـيروا خلـف الإمـام الحسـين، وأن يشـجعوا الأمـة جميعـا على ذلـك السـير لتحصل الانتفاضة العظمى التي تحمي الأمة من أن تتحـول إلى كسروية وقيصرية.. لكن الأمة لم تفعل.. لأن ابن عمـر وأمثالـه بدل أن يتحركوا مع إمـام زمـانهم صـاروا ينصـحونه، ويوجهونـه، ويقترحون عليه.

والعجب العجاب أن هؤلاء الـذين قعـدوا عن نصـرته.. كمـا قعدوا عن نصرة أبيه، حتى تمكن الطلقاء من أن يستلموا زمام

---

1() رواه أحمـد في المسـند، (3/62،ـ 82) وفي (3/64) وفي (3/80) والترمـذي (3768)، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبـد الرحمن المزي، المحقق: عبـد الصـمد شـرف الـدين، طبعـة: المكتب الإسـلامي، والـدار القيّمة، الطبعة2، 1403هـ، 1983م، (4134)

الأمــة.. هم أنفســهم الــذين راحــوا يبــايعون أصــحاب الملــك العضوض، ويدعون إلى بيعتهم..

لقد ذكر المؤرخون أنه عندما ثار ابن الزبير، واستقرت لــه السيطرة على العراق عـدا الكوفـة والحجـاز والمشـرق توقـف ابن عمر عن بيعة ابن الزبير، وكان يحرض الناس على الوقوف إلى جانب بني أميـة، فقـد روى البخـاري عن نـافع قـال : ( لمـا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمـع ابن عمـر حشـمه وولـده فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : (ينصب لكل غادر لواء يـوم القيامة، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسـوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبـايع رجـل على بيـع اللـه ورسـوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هـذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه)[1]

لقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، وأصـحاب الملـك العضــوض يســتدلون بــه على صــحة بيعــة أولئــك الفســقة والمجرمين والمحرفين للـدين، في نفس الـوقت الـذي يـروون فيه أحاديث عن مناقب أهل الـبيت، وعن ظلم الأمـة لهم، ومـع ذلك يعتبرونها من الفضائل التي لا ينجر عنها أي عمل.

وهكـذا عنـدما قـامت دولـة بـني مـروان والـتي كـان على رأسها عبد الملك بن مروان كان ابن عمـر من المسـارعين إلى بيعتهم، ومد يد الطاعة لهم، وقد روى البخاري بإسناده عن عبد الله بن دينار قال : ( لما بايع الناس عبـد الملـك كتب إليـه عبـد الله بن عمر : إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمـنين، إني أقـر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمـنين على سـنة

---

1() صحيح البخاري (9/ 57)

الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقـروا بمثـل ذلـك)
(1)

وقد بقي ملتزما بتلك البيعة والطاعة المطلقة لبني مروان حتى بعد تلك الجرائم العظيمة التي قاموا بها، من رمي الكعبـة الشريفة بالمنجنيق وغيرها، ولذلك كـان مقربـا من عبـد الملـك بن مروان، وأمر الحجاج بأن يصلي خلفه(2).

اعذريني أيتها الرمال الطـاهرة.. فقـد جعلـني التعجب من تلك العقول أغفل عنك وعن تلك الدماء الزكية التي روت ترابك الطاهر.. فنحن صرنا كلما ذكـرت وذكـرت معـك تلـك المأسـاة العظيمة نغفل عن كل تلك التضحيات بالجدل.

ولهـذا كلمـا حلت عاشـوراء راح قـومي يسـتعملون كـل الوسـائل ليسـدوا الآذان عن ذكـرك.. وذكـر كـل مـا جـرى على حباتك الطاهرة، ويفعلون ما كان يفعله المشركون عندما كـانوا يرددون : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَـذَا الْقُـرْآنِ وَالْغَـوْا فِيـهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُـونَ﴾ [فصلت: 26]

مـا عسـاي أقـول لـك.. وأنـا الـذي أعيش كـل حين تلـك المشـاهد المأسـاوية الـتي لم يـر التـاريخ مثلهـا مرسـومة على مرائي حباتك الطاهرة.

وهـل رأى التـاريخ مثـل أبي الفضـل العبـاس.. قمـر بـني هاشم.. ذلك الأخ البطل المواسي لأخيـه في أحلـك الظـروف.. ذلـك الـذي جـاءه شـمر بن ذي الجوشـن بكتـاب الأمـان عصـر التاسع من المحرم، فقال له العباس: (تبت يداك ولعن ما جئت

1() المرجع السابق (9/ 77)

2() البداية والنهاية: 8/334.

به من أمانك يا عدو الله! أتامرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة ، ونـدخل في طاعـة اللعنـاء وأولاد اللعنـاء؟! أتؤمننـا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له؟!)(1)

وقبل ذلك، وعندما نفذ ما عندهم من المـاء، ذهب ليسـقي لهم، فحمل عليه الجبناء، وحمل عليهم حتى ضعف بدنـه، فكمن له بعضهم، فضربه على يمينـه، فأخـذ السـيف بشـماله، وحمـل وهو يرتجز:

| | |
|---|---|
| يا نفس لا تخشي من | وأبشري برحمة |
| مع النبي السيد | قد قطعوا ببغيهم |

فأصلهم يا رب حر النار

فضربه اللعين بعمود من حديد فقتله(2).

حـدثيني عنـه أيتهـا الرمـال الطـاهرة.. فقـد صـار سـاقيا للعطاشى.. ونحن كلما عطشنا تذكرناه.. وطلبنا منه أن يسـقينا من بحر الإيثار والتضحية والبذل وجميـع القيم الرفيعـة.. وهـو لا يزال يسقينا منها جميعا.. ولا نـزال نحنّ كـل يـوم لشـرب ذلـك الماء الطاهر الذي اختلط بدمائه.

حدثينا عنه.. ولا تنسـي أن تحـدثينا عن علي الأكـبر .. ذلـك الذي تحول إلى إسماعيل المذبوح، بعد أن أحيا الإمـام الحسـين

---

1() كتـاب الفتـوح، الكـوفي، أحمـد بن أعثم، تحقيـق: علي شـيري، بـيروت ، لبنـان، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيـع، 1411 هــ، ج5، ص94. الحـائري، معـالي السبطين، محمّد مهديّ الحائريّ المازندرانيّ، قم، منشـورات الشـريف الرضـيّ، ج1، ص 433. أبي مخنف، وقعة الطفّ، لوط بن يحيى الأزديّ، (أبو مخنف) تحقيـق محمّـد هـادي اليوسفيّ، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، 1367ش، ص 219-220.

2() ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 4، ص 108..

قيم التضيحة والتسليم لله.. ذلك الذي كان أشـبه النـاس بجـدّه المصطفى ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً.. ذلك الذي قـال عنـه الإمـام الحسين عندما خـرج للقتـال يـوم عاشـوراء: (اللهم اشـهد على هـؤلاء، فقـد بـرز إليهم أشـبه النّـاس برسـولك محمّـدٍ ﷺ خَلقـاً وخُلقاً ومنطقاً، وكنّا إذا اشتقنا إلي رُؤيةِ نَبيك نَظرنا اِليه)(1)

ذلك الذي خرج يوم عاشوراء بسيفه يردد مرتجزا(2) :

أنا علي بن الحسين    نحن وربّ البيت أولى
تالله لا يحكم فينا    أضرب بالسيف
ضرب غلام هاشمي قرشي

ذلك الذي رجع إلى أبيه بعد أن قاتل الأعداء بكل ما تعلمـه من أبيه وجـده من بطولـة، وقـال: (يـا أبت العطش قـد قتلـني وثقل الحديـد قـد أجهـدني، فهـل إلى شـربة مـاءٍ من سـبيل؟)، فقال له الإمام الحسين : (قاتل قليلاً فما أسرع مـا تلقى جـدّك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها)(3)

ذلك الذي قال قبل استشهاده مخاطبا أبـاه: (يـا أبتـاهُ هـذا جَدّي رسول الله ﷺ قـد سَـقاني بكأسـه الأوفى شِـرْبةً لا أظمـأ بعدها أبداً وهو يقولُ العَجَل العَجَل فإنّ لك كأسـاً مـذخورة)، ثم فاضت روحه الطاهرة (4).

---

1() اللهوف، ابن طاووس، ص 139، مثير الأحزان، ابن نما الحلي، ص 68..

2() مقتل الحسين، المقرم، ص 321.؛ الإرشاد، ج 2، ص 106..

3() مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص 35..

4() مقاتل الطـالبين، أبـو الفـرج الأصـفهاني، ص 115.؛ ابن طـاووس، اللهـوف، ص 49؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 44..

حدثيني عنـه.. فهـو لا يـزال حيـا بيننـا.. وكلمـا اشـتقنا إلى رسول الله ﷺ نظرنا إليه.. فهو رمز الشجاعة والبذل والتضحية والصدق.. وكل الشهداء الذين ارتقوا وهم يواجهون الباطـل، لم يكن لهم من معز ولا مواس مثل ذلك الأكـبر الـذي ملأ القلـوب بمحبته.

حدثينا عنـه.. وحـدثينا عن أولئـك الصـحب الطيـبين الـذين آثـروا الآخـرة على الـدنيا.. وامتلأوا محبـة لأهـل بيت النبـوة.. فلـذلك اختلطت دمـاؤهم بـدمائهم.. ونـالوا شـرف أن يـذكروا معهم، كما نال سلمان الفارسي شرف أن يصـبح من أهـل بيت النبوة في الوقت الذي أُبعد فيه أبـو لهب .. وكـل أولئـك الـذين باعوا قرابتهم من رسول الله ﷺ بحظوظ الدنيا..

حـــدثينا عن حـــبيب بن مظـــاهر.. ذلـــك العابـــد المجاهـــد الصـادق.. الـذي اختـاره اللـه ليكـون من السـبعين رجلا الـذين نصروا الإمام الحسين في كربلاء، وصبروا على البلاء حتى قتلوا معه، وكان عابداً ورعا تقيا ومراعيا لحـدود اللـه تعـالى، حافظـا للقرآن الكريم، يختمه في كل ليلـة من بعـد صـلاة العشـاء إلى طلوع الفجر[1].

ذلك الذي أرسل إليه الإمـام الحسـين رسـالة يقـول فيهـا: (إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر: أما بعد، يـا حـبيب! فـأنت تعلم قرابتنـا من رسـول اللـه ﷺ، وأنت أعـرف بنـا من غـيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة، فلا تبخـل علينـا بنفسـك، يجازيـك جـدي رسول الله ﷺ يوم القيامة)[2]

---

[1] الشيخ عباس القمي، نفس المهموم، ص١٢٤..

[2] ابن جرير، الطبري، ج٥، ص٣٥٢، ٣٥٥، ٤١٦..

وما أسرع ما أجاب الرسـالة، ومـا أسـرع مـا وفى بالعهـد، فلم ينكث، وعندما وصل إلى الإمام الحسين ، ورأى قلة أنصاره وكثرة محاربيه، قال له: إن هاهنا حيّا من بني أسد فلو أذنت لي لسـرت إليهم ودعـوتهم إلى نصـرتك لعـل اللـه أن يهـديهم وأن يدفع بهم عنـك! فـأذن لـه الحسـين؛ فسـار إليهم حـتى وافـاهم فجلس في ناديهم ووعظهم وقال لهم: (يا بـني أسـد قـد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمـنين وابن فاطمة بنت رسول اللـه ﷺ، وقـد نـزل بين ظهـرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت بـه أعـداؤه ليقتلـوه، فـأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمـة رسـول اللـه ﷺ فيـه)، فخرجـوا معـه، فعارضهم عمر بن سعد ليلا ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلمـا علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل وتحملوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين فأخبره بما كان، فقال : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [التكوير: 29]، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله)(3)

هذا هو الموقف الطبيعي الذي كـان على جميـع الصـحابة والتـابعين.. وجميـع المعاصـرين لـه أن يقفـوه.. لا أن يقفـوا متفرجين يكتفون بالنصائح، وهم يعلمون أن الإمـام الحسـين لم يتحرك أي حركة من عنده، بل حركته من الله وباللـه، وبتوجيـه من رسول الله ﷺ.

ألا تزالين أيتها الرمال الطاهرين تذكرين ذلك النـداء الـذي نادى به الإمام الحسين في صبيحة العاشر من المحرم، بعـد أن جعـل زهـير بن القين على الميمنـة، وحـبيب بن مظـاهر على الميسرة، ووقف في القلب وأعطى الراية لأخيه العبـاس: (أيهـا الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حـتى أعظكم بمـا هـو حـق لكم

---

(3) الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص٥٥٤ ..

عليّ.. أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!)، فرد عليه الشمر قائلا: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: (والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك)(1)

في ذلك اليوم قاتل حبيب بن مظاهر قتالا شديدا، إلى أن من الله عليه بالشهادة، واجتز رأسه الشريف، حينها خاطبه الإمام الحسين قائلا: (لله دَرُّكَ يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة)(2)

وهكذا حدثينا عن مسلم بن عوسجة، ذلك الشيخ الذي لم يمنعه كبر سنه، ولا مكانته من قومه من نصر إمامه، وقد شرفه الله تعالى بأن يكون أول شهيد من أنصار الحسين بعد الحملة الأولى، على الرغم من كونه كان شيخاً كبير السن، وشخصية بارزة في قومه، بل شخصية بارزة في الكوفة، وكان فوق ذلك من صحابة رسول الله ﷺ، ومن رواة حديثه(3).

ذلك الذي شهد التاريخ له أنه كان شجاعاً وجريئاً، وشهد مع الإمام علي كلّ غزواته.. ذلك الذي شهد له الإمام الحسين بالصدق والثبات على العهد، فقال مخاطبا له بعد استشهاده: (رحمك الله يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: 23])(4)

---

1() المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 98..

2() محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى، ج 2، ص 442..

3() أنصار الحسين:93.

4() الكامل في التاريخ، ج4، ص 76-86 ، تاريخ الأمم والملوك، ج 76 ص 643-

وقد روي أنه بعد إصابته، وفي آخر لحظات حياته قدم إليه الحسين ومعه حبيب، فقال حبيب: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أَبشر بالجنّة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير. فقال حبيب: لولا أنّي أعلمُ أنّي في إثرك لاحقٌ بك من ساعتي هذه لأحببتُ أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك حتّى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت له أهل من الدين والقرابة؛ فقال له: بلى، أوصيك بهذا رحمك الله! وأومأ بيديه إلى الحسين أنْ تموت دونه! فقال حبيب: أفعل وربّ الكعبة (1).

وهكذا حدثينا عن زهير بن القين، ذلك التائب الصادق في توبته، والذي روى المؤرخون أنه عندما بعث الإمام الحسين إليه رسولا يستدعيه، كره الذهاب إليه، فقالت له زوجته دلهم بنت عمرو: يا سبحان الله أيبعث اليك الحسين بن فاطمة ثم لا تأتيه، ما ضرك لو أتيته فسمعت كلامه ورجعت، فذهب زهير على كره، فما لبث أن عاد مستبشرا ضاحكا وقد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه فقلع، وضم فسطاطه بركب الإمام الحسين ، ثم ودع زوجته، وقيل أنه قال لها: (أنت طالق، فتقدمي مع أخيك حتى تصلي إلى منزلك، فإني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين )(2)

وقال لمن كان معه من أصحابه: (من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فانه آخر العهد)، ثم قال: (إني سأحدثكم حديثا: غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: (أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟)،

---

363 ؛ الإرشاد، ص 237؛ إعلام الوري، ص 142.

1() بحار الأنوار20:45، ابن طاووس، اللهوف، ص 64.

2() تاريخ الطبري، ج 4، ص 396 والشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 72 - 73.

فقلنا: نعم، فقال لنا: (إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشــد فرحــا بقتــالكم معــه بمــا أصــبتم من الغنــائم)، فأمــا أنــا فــإني أستودعكم الله(1).

وروي أنه قال بعـد سـماعه خطابـا للإمـام الحسـين : (قـد سمعنا ـ هداك الله ـ يا ابن رسول الله مقالتك، واللـه لـو كـانت الــدنيا باقيــة وكنــا فيهــا مخلــدين، إلا أن فراقهــا في نصــرك ومواساتك، لآثرنا النهـوض معـك على الإقامـة فيهـا)؛ فـدعا لـه الحسين ، وقال له خيرا (2).

وروي أنه قـال لعـزرة بن قيس(3) : (اتـق اللـه يـا عـزرة؛ فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يـا عـزرة أن لا تكـون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية)، فقال له عزرة: يـا زهير، ما كنت عندنا من شـيعة أهـل هـذا الـبيت إنمـا كنت على غير رأيهم؟)، فقـال زهـير: (أفلســت تسـتدل بمـوقفي هـذا أني

---

1() أنســاب الأشــراف ج3، ص167–ــ 168. وتــاريخ الطــبري ج4، ص 298، تنقيح المقال ج1، ص452-453.

2() أنساب الأشراف ج3، ص171. وتاريخ الطبري، المجلد 4، ص 305، والملهـوف، ص 138.

3() عزرة بن قيس بن غزية الأحمسي البجلي الدهني الكوفي، ورد باســم عــروة بن قيس في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (الإرشاد 2/ــ 38 و84 و95 و104)، وهو أحد قــادة جيش عمر بن سعد، الذي قاتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ولد قبـل الهجـرة النبويـة الشريفة، وقد بعثه أبو بكر إلى أرض العـراق، ثم اسـتعمله عمـر بن الخطـاب واليـاً على حلوان، وحاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها، وكان أحد الذين كـاتبوا الإمـام الحسـين عليه السلام وطلبوا منه القدوم إلى الكوفة، وبعثه عمر بن سعد رسولاً إلى الإمام الحسـين، وهـو في نينوى – من أرض كربلاء – فاستحيا أن يأتيه، لأنه كـان ممن كاتبـه، وقـد جعلـه ابن سـعد قائداً على خيل أهل الكوفة التي سارت لقتال الإمام الحسين، وكان أحد الاشخاص الذين حملوا رأس الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وقدموا بها إلى عبيد الله بن زياد في الكوفــة، انظر: مختصر تاريخ دمشق 17/ 33، تاريخ الطبري 3/ 317 و325، والكامل في التاريخ 3/ 38..

منهم، أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليـه رسـولا، ولا وعدته نصرتي، ولكن الطريق جمع بيـني وبينـه، فلمـا رأيتـه ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانـه منـه، وعـرفت مـا يقـدم عليـه عدوه، فرأيت أن أنصره، وأن أكـون من حزبـه، وأجعـل نفسـي دون نفسه لما ضيعتم من حق رسوله)[1]

وهكذا استمر يناضل عن الإمام الحسين إلى آخـر لحظـات حياته، وقد أجاب الإمام الحسين عندما طلب من أصحابه الفرار بأنفسهم بقوله: (والله لوددت أني قتلت، ثم نشـرت، ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)[2]

وهكذا حدثنا عن سعيد بن عبد الله الحنفي، صـاحب ذلـك الشعار العظيم الذي لا يزال الحسينيون يرددونه، فقد قال ليلـة عاشوراء جوابـا لطلب الإمـام الحسـين من أصـحابه الانصـراف عنه، والفرار بأنفسهم: (لا والله لا نخلّيك حتى يعلم الله إنّـا قـد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ وذرّيته فيك، والله لـو قتلت ثم أُبعث حيّاً، ثم أحرق، ويفعل بي ذلك سـبعين مـرة مـا تركتـك وحـدك، وكيف أفعل ذلك وإنّما هي موتة وقتلة واحدة ثم بعدها الكرامـة التي لا انقضاء لها أبدا)[3]

حدثنا عنهم جميعا.. فلا يمكن أن نسير في طريق الكمـال والتضـحية، ونحن لا نشـنف آذاننـا بسـماع أحـاديثهم، أو نعطـر قلوبنا بشم روائحهم الزكية.

---

1() الفتوح ج 5، ص 177 -178 . أنساب الأشراف ج 3، ص 184 . مقتل الحسـين الخوارزمي ج 1، ص 353 - 354 . تاريخ الطبري، المجلد 4، صص 315-316.

2() تاريخ الطبري، المجلد 4، ص 318. الأرشاد ج2 ص92. الملهوف، ص 153.

3() أعيان الشيعة 7: 241.

ولا تنسي يا رمال الطفوف أن تحدثينا عن ذلك الذي لم يدع لأحد من الناس وصف تضحيته وشهادته.. بل تولاها بنفسه.. لتبقى عبرة للأجيال.. فهو يعلم من صباه الباكر المصير الذي سيصير إليه، والتضحية التي ندب لها.. والوظيفية التي وكلت إليه.

لقد قال حين عزم على مغادرة الحجاز والتوجه الى العراق: (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشا جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقربهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى)[1]

وهذا كاف للعقول التي تسلم لربها، لتعلم أن الإمام الحسين لم يتحرك أي حركة بإملاء من اجتهاد أو رأي .. بل حركاته كلها مضبوطة بموازين النبوة ووصاياها، كما عبر عن ذلك بقوله: (لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته)

ولذلك كانت حركته ليست مرتبطة بعصره فقط، بل هي مرتبطة بجميع العصور.. والإمام الحسين بتلك التضحيات أراد أن يعيد للأمة وعيها، لتنهض من جديد، وباستعمال كل الطرق لإحياء الدين الصحيح، ومقاومة الدين المحرف.. ولذلك كانت صرخته: (هل من ناصر ينصرنا، هل من معين يعيننا، هل من

---

[1]() الحدائق الورديّة، حسام الدين المحلّى، صنعاء، جامع النهرين: 1 / 117، مفتاح الافكار (ص 148) كشف الغمة 2 / 241.

ذاب عن حرم رسـول اللـه ﷺ)[2] ممتـدة في الأجيـال يسـمعها كـل المخلصـين الصـادقين الـذين نـذروا أنفسـهم ليكونـوا من أصحاب الحسين، حتى لو حالت بينه وبينهم الأزمان.

حدثينا يا رمـال الطفـوف بأمثـال هـذه الأحـاديث لنسـتعيد وعينـا، وننهض من رقـدتنا.. فلا يمكن لنـا أن ننتصـر على يزيـد الأحقاد، وشمر الكراهية، وحرملة الضغائن، مـا لم نحتضـن كـل أولئك الطاهرين الذين تشرفت أيتها الرمال باحتضانهم.

---

2() اللهوف لإبن طاووس ص:50، اعيان الشيعة للسـيد الأمين ج:1 ص:609، نفس المهموم للقمي ص:349.

## إلى الأقارب المبعدين

يـا آل بيت النبـوة، ومحـط الرسـالة، ومختلَـف الملائكـة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم.. اسمحوا لي ـ أنا المـتيم بحبكم ـ أن أبث لكم بعض حزني وشكاواي.

أنا لم يهمني في يـوم من الأيـام أن تتولـوا أي منصـب.. لا خلافة.. ولا إمارة.. ولا وزارة.. ولا قضاء.. ولا قيادة جيش.. كـل ذلك لم أفكر فيه.. ولم أحزن على إبعادكم عنه، فأنـا أعلم أنكم أعلى من المناصب، وأرفع منهـا.. والشـرف لمن تـوليتم عليـه، وليس لكم.. فـأنتم شـرفكم باللـه، وبرسـول اللـه ﷺ وليس بالحكم بين الغوغاء والعوام.

ولكن الـذي أهمـني وأقلقـني وأحزنـني هـو ذلـك الإقصـاء المتعمد الذي حصل لكم طيلة تلك الفـترة الحرجـة الـتي كـانت يفسر فيها القـرآن، ويـدون فيهـا الحـديث، وتُعلم فيهـا الأحكـام الشرعية..

في تلـك الفـترة الحرجـة هب النـاس إلى اليهـود، وأبنـاء اليهود، والطلقاء، وأبناء الطلقاء.. وتركـوكم، وهم يعلمـون أنكم معدن الرسالة، وأن العلوم الصحيحة السليمة الـتي لم تمسـهم أيادي التحريف والتغيـير والتبـديل خـرجت من بيتكم، وأن الـذي معكم هو المحجة البيضاء التي لم تكدر ولم تشـوه، ولم يصـبها أي أذى.

هذا الذي أهمني وأحزنني.. وهذا الذي لا تزال آثاره نعيشها إلى اليوم.. بل إن آثاره لا يمكن أن تنسى في يـوم من الأيـام.. فلو أن الجيل الأول بسياسييه وعوامه التفت لكم، وحصـر نقـل الدين عنكم، لما وقع الاختلاف والاضـطراب.. ولمـا احتجنـا إلى

كل تلك المدونات التي كتبت في علوم الحديث والتفسير وغيرها، والتي شحنت بالغث والسمين.. والحق والباطل.

الذي يحزنني ـ يا ساداتي من آل بيت النبوة ـ ليس عزل الإمام علي عن تلك المناصب، ولا حرب صفين، ولا حرب الجمل، ولا حرب النهراوين.. ولا كل تلك الجحافل التي كانت ساكنة طيلة الدهر، فلما جاء دور الإمام الذي أوصى رسول الله ﷺ به، ودعا إليه، قاموا كلهم على بكرة أبيهم يحاربونه.

أنا لم يحزني كل ذلك بقدر ما أحزنني ذلك النداء العميق الذي كان ينادي به الإمام علي في كل مجلس صائحا في الأمة: (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الّذي نفسي! بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين السّاعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ومن يموت منهم موتا) (1)

وكان يقول لهم: (سلوني عن كتاب الله، فو الله! ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ونهار ولا مسير، ولا مقام إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلّمني تأويلها... )(2)

وكان يقول، وهو ممتلئ حزنا وأسفا: (هاه إن ههنا لعلما جما - وأشار بيده إلى صدره - لو أصبت له حملة)(3)

---

1() شرح الأخبار 1: 139، وقد روى الحاكم في المستدرك [رقم الحديث: (3394)] عن عامر بن واثلة، قال: سمعت علياً قام، فقال: سلوني قبلأن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: من الذين بدلوانعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار؟، قال: منافقو قريش، قال: فمنالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟، قال: منهم أهل حروراء)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح عال.

2() الطبقات الكبرى 2 / 338..

لكن تلك النداءات لم تجـد آذانـا صـاغية.. حيث تُـرك ذلـك الذي تتملذ في جميع حياته على رسول اللـه ﷺ.. وذهب النـاس إلى غيره.. واختلط الأمر عليهم.. وأصبح الـدين بعـدها بالشـكل الـذي نـراه من الاختلاف والصـراع، وقـد كـان في إمكـانهم أن يجلسوا جميعـا بين يديـه، ومعهم الـدفاتر، ويسـجلوا كـل كلمـة يقولها.. وتصبح حينها جميع أحاديثه متـواترة، ولن يحتـاج النـاس بعدها إلى كتب الرجال، ولا الجرح والتعديل.. وحينها تصبح الأمة جميعا حفاظا.. ولن يحتاج الناس إلى أي حافظ أو محـدث.. بـل حتى كتب الفقه لن تكون بذلك الطول والعرض، لأنهـا سـتحوي الحق المجرد الذي جـاء من معـدن الرسـالة، ومهبـط الـوحي.. لكنهم لم يفعلوا.

ولـو أنهم تـأملوا قولـه ﷺ : (أنـا مدينـة العلم، وعلى بابهـا، فمن أراد العلم فليأت الباب)(1) ، لـتركوا كـل الأبـواب، وراحـوا يطرقون باب الإمـام علي.. فهـو بـاب الهدايـة الـتي لم تـدنس، والحقيقة التي لم تختلط .. لكنهم لم يفعلوا.

ولو أنهم راجعوا تفسير قولـه تعـالى:﴿لِنَجْعَلَهَـا لَكُمْ تَـذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:12]، لعرفـوا أن النـبي ﷺ قـال لـك عند نزولها: (سألت اللـه أن يجعلهـا أذنـك يـا عليّ)(2)، وعلمـوا أيضا أن الله استجاب دعاء نبيه ﷺ، فقد كان الإمـام علي يـردد: ( فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنسـى) .. لكنهم مـع روايتهم للحديث لم يفعلوا.. لأنهم لم ينظروا إلى الأمر باعتبـاره

---

3() نهج البلاغة (4/ 36)

1() الترمذى (5/637، رقم 3723)، والحاكم (3/138، رقم 4639)، وغيرهما.

2() انظـر: تفاسـير: الطـبري، والسـيوطي، والـرازي، وابن كثـير، والقرطـبي، والشوكاني، وغيرهم عند تفسيرهم للآية.

دينا، وإنمـا نظـروا إليـه باعتبـاره دنيـا.. ولم يريـدوا أن يسـلموا الدين والدنيا لبني هاشم.

وهكذا كان في إمكانهم أن يراجعوا ما حصل عنـدما نـزلت الآيات العشر من سورة براءة على النبى ﷺ ، حينها دعـا النـبى ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكـة، لكن الـوحي الإلهي أمره أن يبعث بها مع الإمام علي.. ولـذلك دعـاه ﷺ، وقـال لـه: (أدرك أبا بكر فحيثما لحقته، فخذ الكتاب منه، فاذهب إلى أهــل مكة فاقرأه عليهم)، وعندما رجع أبـو بكـر إلى النـبى ﷺ خائفـا، وهو يقول: يا رسول اللـه نـزل فى شـيء، فقـال ﷺ: (لا، ولكن جبريل جاءنى، فقال: لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجـل منـك)[1].. كـان في إمكـانهم أن يعممـوا تطـبيق هـذه الروايـة في جميـع مناحي الدين.. وجميع مجالاتـه.. بحيث لا يأخـذون الـدين إلا من المصدر الذي لم يكدر ولم يختلط.. لكنهم لم يفعلوا.

وهكـذا كـان في إمكـانهم أن يراجعـوا مـا ورد في القـرآن الكريم من أمر المباهلة التي ذكرها اللـه تعـالى، فقـال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَـاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُـلْ تَعَـالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَـا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِـلْ فَنَجْعَـلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]، ولعرفـوا حينهـا أن النبي ﷺ غدا حينها، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسـين، وقد قال جابر في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَـكُمْ﴾، رسـول اللـه ﷺ وعلي بن أبي طـالب ﴿ نَـدْعُ أَبْنَاءَنَـا﴾ الحسـن والحسين ﴿ وَنِسَاءَنَا ﴾ فاطمة[2].

وهكذا قال يوم سار ﷺ إلى تبوك، حينهـا تـرك الإمـام علي

---

[1] () رواه أحمد (1/151، رقم 1296)، وعبد الله فى زوائده على المسند، وأبو الشيخ، وابن مردويه، [كنز العمال 4400]

[2] () مسلم 97/119 (6295و6296)، والنسائي في الكبرى: 8381، وغيرهم كثير.

في المدينة.. ثم ذكـر لجميـع من حضـر تبـوك أنـه منـه بمنزلـة هارون من موسى.. ولا فـارق بينهمـا إلا في النبـوة، لأن النبـوة ختمت برسول الله ﷺ (1).

كان في إمكانهم أن يُعملـوا هـذه الأحـاديث جميعـا.. لا في المجال السياسـي.. فأنـا أعلم حـرص البشـر على الـدنيا.. وهم يربطـون الحكم بالـدنيا.. ولكن على الـدين.. فالـدين هـو الـذي يهمنا..

لكنهم للأسف لم يفعلوا مع أنهم كانوا يسمعون نداء الإمام علي، وهو يخبرهم كل حين عن علومه، وأنه لم يتلـق شـيئا من مصدر خارجي غير مصدر النبوة.. ومـع أنـه عمّـر طـويلا بينهم.. وأنه كان معه ﷺفي كل حياتـه، لم يفارقـه أبـدا.. وقـد روي أن بعض الجـاهلين بقـدره، أراد أن يحرجـه، فقـال لـه: يـا أمـير المؤمنين، فما كان ينزل عليه، وأنت غائب عنه؟ فأجابـه الإمـام علي بقوله: (كان يحفظ عليّ رسول الله ﷺ ما كان يـنزل عليـه من القرآن، وأنا غائب عنه، حتّى أقدم عليه فيقرأنيه، ويقول: يا عليّ، أنزل الله بعدك عليّ كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلّمني تنزيله وتأويله)(2)

بـل إن سـعيد بن المسـيّب، وفي الـزمن الـذي تـولى فيـه الطلقاء، شهد له بذلك، وكان يقول: (لم يكن أحـد من الصـحابة يقول: سلوني، إلاّ عليّ بن أبي طالب)(3)

لكن الأمة للأسف عزلته.. وفارقته.. وراحت للطلقاء وأبناء

1() مسلم 97/119 (6295و6296)، والنسائي في الكبرى: 8381، وغيرهم كثير.

2() الاحتجاج: 139.

3() تاريخ دمشق 42 / 399، أُسد الغابة 4 / 22، الرياض النضرة 3 / 166.

الطلقاء.. واليهود وتلاميذ اليهود تأخـذ عنهم التجسـيم والخرافـة وكل القيم التي لا علاقة لها بالدين..

وكان الإمام علي ينظر إليهم متأسـفا حزينـا، مثلمـا يحـزن الطـبيب الـذي يجـد النـاس يلجـؤون إلى المشـعوذين والرقـاة، ويتركون الأطباء والمتخصصين..

وكان يـردد محـذرا من المصـير الـذي ستصـير إليـه الأمـة بسبب ذلك الإبعاد: (لو تعلمون ما أعلم ممّـا طـوي عنكم غيبـه، إذا لخرجتم إلى الصّعدات تبكون على أعمالكم، وتلتـدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمّت كلّ امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرهـا.. ولكنّكم نسـيتم مـا ذكّـرتم، وأمنتم مـا حـذّرتم، فتـاه عنكم رأيكم، وتشـتّت عليكم أمركم، ولوددت أنّ اللـه فـرّق بيـني وبينكم، وألحقـني بمن هـو أحقّ بي منكم: قوم واللّه ميامين الرّأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي، مضوا قدما على الطّريقة، وأوجفـوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة، والكرامة الباردة)[1]

لم يكتف الجاحـدون بعـزل الإمـام علي في حياتـه.. وإنمـا راحوا يعزلونـه بعـد وفاتـه.. حيث أنهم قبلـوا كـل روايـات كعب الأحبـار ووهب بن المنبـه، وتلاميـذهما الكثـيرون من الصـحابة والتـابعين، وملأوا بهـا كتب التفسـير والعقيـدة والحـديث.. أمـا أحاديث الإمام علي، والتي جُمع الكثـير منهـا في [نهج البلاغـة]؛ فقـد راحـوا يحـذرون منـه.. ويعتبرونـه كتـاب بدعـة، ويعتـبرون دعوته لتنزيه الله وتوحيده تجهما وزندقة وضلالا.

وإلى الآن لا زال النـــاس يقبلـــون أحـــاديث كعب ووهب وغيرهمـا كثـير.. ويـتركون أحـاديث الإمـام علي.. ويكتفـون من

[1] () نهج البلاغة: الخطبة رقم(116)

رواياته بما رواه النواصب الذين لم يريدوا إلا لم يتركوا وسـيلته لتشويهه إلا مارسوها.

ومن عجـائب الأحـاديث الـتي يـذكرونها ويـدافعون عنهـا توهمهم أن الإمـام علي خطب بنت أبي جهـل في عهـد رسـول الله ﷺ.. حيث يروون عن المسور بن مخرمـة أن (علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ، فقـالت لـه: إن قومـك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحـا ابنـة أبي جهـل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: (أما بعـد فـإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصـدقني، ووعـدني فـوفى لي، وإنما فاطمة بضـعة مـني يؤذيـني مـا آذاهـا، وإنهـا واللـه لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عـدو اللـه عنـد رجـل واحـد أبـدا)، قال: فترك علي الخطبة)[1]

وقد قال ابن القيم تعليقا على هذه الرواية: (وفى ذكره ﷺ صِهره الآخر، وثناءَه عليه بأنه حدَّثه فصدقه، ووعـده فـوفى لـه، تعريضٌ بعلي رضي الله عنه، وتهييجٌ له على الاقتـداء بـه، وهـذا يُشعر بأنه جرى منه وعد له بأنه لا يَريبها ولا يُؤذيها، فهيَّجه على الوفاء له، كما وفى له صهرُه الآخر)[2]

وهكذا أصبح الإمـام علي، ذلـك الـذي وردت فيـه كـل تلـك الروايات، بل كل تلك النصوص المقدسة، بهذه الصورة المزيفة الـتي سـرت لعامـة النـاس، فـنزلت بـه من كـل تلـك المـراتب الرفيعة التي حولته إلى أدنى الصحابة.. بل إلى من دونهم.

---

1() رواه البخاري (3110) ، ومسلم (2449)

2() زاد المعاد: (5/118)

وهم لأجـل تشـويه الإمـام علي، يجعلـون رسـول اللـه ﷺ يخالف الأحكام الشرعية، ولا يرضى لابنته ـ بحسب ما يـدعون ـ ما يرضاه لبنات الناس، ويمكن لمن شـك في هـذا أن يقـرأ لأي امرأة في الدنيا ـ تكون صادقة مع نفسها ـ هذا الحـديث لتمتلئ عجبا منه؛ فالذي لا يرضـي فاطمـة لن يرضـي النسـاء جميعـا.. والذي لا يرضي والد فاطمة لن يرضي الآباء جميعا..

وقد قال السيد المرتضـى في (تنزيـه الأنبيـاء) تعليقـا على ذلك الحديث، وما يتضمنه من تشويهات للنبوة: (هذا خبر باطل، موضوع، غير معروف، ولا ثابت عند أهل النقل.. وقد تضمن مـا يشهد ببطلانه، ويقضي على كذبه من حيث ادّعى فيـه أن النّـبيَّ ﷺ ذمَّ هذا الفعل، وخطب بإنكاره على المنابر، ومعلوم أن أمير المؤمـنين لـو كـان فعـل ذلـك على مـا حكي، لمـا كـان فاعــلا لمحظور في الشـريعة، لأن نكـاح الأربـع حلال على لسـان نبينـا محمد ﷺ، والمباح لا يُنكره الرسول ﷺ، ولا يصـرح بذمّـه، وبأنـه متأذّيه، وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه عن كل منقصــة ومذمة. ولو كـان عليـه السـلام نـافراً من الجمـع بين بنتـه وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحَسَن والقبيح، لما جاز أن يُنكــره بلسانه، ثم ما جاز أن يبالغ في الإنكـار، ويُعلن بـه على المنـابر، وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ من إيلامه لقلبه كل مبلغ، فما هو اختص في الحلم والكظم، ووصـفه اللـه بـه من جميـل الأخلاق وكــريم الآداب ينــافي ذلــك، ويحيلــه، ويمنــع من إضــافته إليــه وتصديقه عليه، وأكثر ما يفعله مثله في هذا الأمر إذا ثقل عليه، أن يعاقب عليه سـراً، ويتكلم في العـدول عنـه خفيـاً على وجـه جميل.. فواللّه إن الطعن على النبي ﷺ بمـا تضـمّنه هـذا الخـبر الخبيث، أعظم من الطعن على أمير المؤمـنين، ومـا صـنع هـذا الخبر إلا ملحد قاصد للطعن عليهما، أو ناصب معاند لا يبالي أن

يشفي غيظه بما يرجع على أصوله بالقدح والهدم)(1)

ولم يكتفوا بـذلك، فهم إلى الآن لا زالـوا يـذكرون بـأن من انتقد الصحابة، أو تكلم عنهم بسوء كافر، ويُرد حديثـه، ويقتـل.. إلا الإمام علي.. فإنهم يعتبرون لعنه وسبه وبغضـه شـيئا طبيعيـا وعاديا ولا ضرر فيه، ولا يُجرح الراوي إن وقع فيه، بل قـد يزيـد في وثاقته، لأنه يبعده عن تهمة التشيع.

وكيف لا يفعلون ذلك، وهم يستنون بسنة ذلك الذي أبغضه وسبه وحاربه سيدهم وخالهم وكاتب وحيهم معاويـة الـذي سـن سـنة سـب الإمـام عليّ على المنـابر في جميـع بلاد العـالم الإسلامي في ذلك الحين(2)، وقد روي أنه كـان يقـول في آخـر خطبة كل جمعة: (اللهم إن أبا تراب ألحـد في دينـك، وصـدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلا، وعذبـه عـذاباً أليمـا).. وكتب بـذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بهـا على المنـابر، إلى خلافـة عمر بن عبد العزيز(3)..

وقد أقر بذلك كـل المـؤرخين والمحـدثين المعتـبرين لـدى الفئة الباغية، فقد قال ابن حجر: (ثم اشـتد الخطب فتنقصّـوه ـ أي الإمـام علي ــ واتخـذوا لعنـه على المنـابر سـنّة، ووافقتهم الخوارج على بغضه)(4)

وقـد روي أن خالـد بن عبـد اللـه القسـري والي العـراق

(1) تنزيه الانبياء : 173 ـ 171.

(2) انظـر: صـحيح مسـلم 7:ـ 120 ، سـنن الترمـذي 5:ـ 301، المسـتدرك على الصحيحين 3: 109، مسند أحمد 4: 369.

(3) شرح نهج البلاغة: 4/ 56ـ 57.

(4) فتح الباري: 7: 57

لهشام بن عبد الملك والمحبب كثيرا لدى السلفية قديما وحديثا كان يقول في خطبته: (اللهم العن عليّ بن أبي طـالب بن عبـد المطلب بن هاشم، صهر رسـول اللـه على ابنتـه، وأبـا الحسـن والحسين! ثمّ يقبل على الناس ويقول: هل كنيت!)[1]

وروي أن معاوية ومن معه من الفئة الباغية بالغوا في ذلك مبالغة شـديدة إلى الدرجـة الـتي جعلت جماعـة من بـني أميـة تعارضه بسبب ذلك، وتقول له بعد سـنين من حكمـه: (إنـك قـد بلغت ما أملّت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقـال: لا واللـه حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليـه الكبـير، ولا يـذكر لـه ذاكـر فضلا)[2]

وقـد أشـار الجاحـظ إلى الـدوافع السياسـية الـتي جعلت معاوية ومن بعده من بني أمية يفعلون ذلـك، فقـال: (ومـا كـان عبد الملـك بن مـروان ممّن يخفى عليـه فضـل عليّ، وأن لعنـه على رؤوس الأشــهاد، وفي أعطــاف الخطب، وعلى صــهوات المنابر ممّا يعود عليه نقصه، ويرجع إليه وهنه، لأنَّهما جميعاً من بني عبد مناف، والأصل واحد، والجرثومـة منبت لهمـا، وشـرف عليّ وفضله عائد عليه، ومحسوب له. ولكنه أراد تشـييد الملـك وتأكيد ما فعلـه الأسـلاف، وأن يقـرر في أنفس النـاس إن بـني هاشم لا حظ لهم في هذا الأمر، وأن سيدهم الّذي به يصـولون، وبفخره يفخرون، هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمي إليه ويدلي به عن الأمر أبعد، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح) [3]

---

1() الكامل في اللغة والأدب، المبرد:: 414، وشرح نهج البلاغة: 4/ 57.

2() شرح نهج البلاغة: 4/ 57.

3() شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 4/ 57ـ 58.

وقد أشار الإمام عليّ إلى هـذا، لأنـه يعلم أن بنيـان الفئـة الباغيـة من أصـحاب الملـك العضـوض لا يمكن أن يقـوم وفي الناس من يحب الإمام علي، أو يرتبط بأهل بيت النبوة، فلـذلك كان يعلم أصحابة التقية في دينهم، حتى لا يبيـدهم الظلمـة، ولا يجد النـاس من يلجـؤون إليـه، ومن أقوالـه في ذلـك: (أمّـا أنّـه سيظهر عليّكم بعدي رجل رحب البلعوم، منـدحق البطن، يأكـل مـا يجـد، ويطلب مـا لا يجـد، فـأقتلوه، ولن تقتلـوه، ألاّ أنّـه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأمّا السـب فسـبوني، فانّـه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرؤا مني، فـاني ولـدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة) (1)

ولم يكتف المجرمون بذلك، بل وصل الأمر بهم إلى اعتبار التسمية بعليّ محظورة إلاّ لبني هاشم، فكان بعضهم يخاف من اسمه، فيصغّره، ويقول: انـا عُلَيّ ولسـت بعلي.. قـال قتيبـة بن سـعيد سـمعت الليث بن سـعد يقـول: قـال عليُّ بن ربـاح: (لا أجعل في حلٍّ من سمّاني عُلَيّاً فإن اسمي عَلِيّ)، وقـال سـلمة بن شبيب: (سمعت أبا عبد الرحمن المقرىء يقـول: كـانت بنـو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه عَلِيّ قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عُلَيّ، وكان يغضب من (عَلِيٍّ) ويُحرّج على من سمّاه به)(2)

وحتى لا يتركوا أي أثر للإمام علي في دين المسـلمين، ولا حياتهم، راحوا يُقصـون كـل محب لـه بتهمـة التشـيع، في نفس الوقت الذي يُوثقون فيه كل معاد له، قال ابن حجر العسقلاني: (والتشيع محبـة علي وتقديمـه على الصـحابة، فمن قدمـه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويُطلق عليـه رافضـي، فـإنْ

1() أنساب الأشراف، البلاذري: 2/32، نهج البلاغة ، الشريف الرضي ، 92.

2() تهذيب الكمال ج 20 : 429، تهذيب التهذيب 7 : 280.

انضاف إلى ذلك السب والتصريح بالبغض فغال في الرفض، وإنْ اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو)(1)

وقال: (وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالبا، وتوهينهم الشيعة مطلقا، ولا سيما أن عليا ورد في حقه: (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)، ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺ، لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا والخير في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو إله، تعالى الله عن أفكهم والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاق وبالعكس. فكذا يقال في حق علي. وأيضا فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار، والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن عليا قتل عثمان أو كان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم. ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي)(2)

ولهذا نجد في الثقاة أمثال حريز بن عثمان الناصبي الذي وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم وغيرهم، مع أنهم يروون أنه سئل بعضهم عن سر عدم الرواية عنه، فقال: (كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليا

---

1() هدي الساري ص 640.

2() تهذيب التهذيب (8/ 458)

سبعين لعنة كل يوم)[1]

ولو أنه بدل الإمام علي لعن غيره من الصحابة، لكفروه واتهموه بالزندقة.. ولكن عرض الإمام علي عندهم مباح، وكأن رسول الله ﷺ لم يحكم بالنفاق على مبغضيه، وإنما حكم لهم بالوثاقة والدين والصلاح.

مع أن الصحابة أنفسهم، والذين تصوروا أنفسهم حماة لهم ومدافعين عنهم، حكموا بالنفاق على من أبغض عليا، فكيف بمن لعنه أو حاربه أو سبه، وقد قال ابن عمر: (ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم علياً)، وقال جابر: (ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم لعلي)[2]، وقال أبو سعيد الخدري: (إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم عليا)[3]

ولهذا كان الصادقون منهم يفتخرون بحبهم لعلي، باعتباره علامة على الإيمان، وعلى محبة اللهن وقد روي أن رجلا قال لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ فرد عليه سلمان بقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل) [4]

---

1() تاريخ بغداد: ج8/ص269.

2() البزار (كشف الأستار 3/169)، وعبد الله في زيادات الفضائل (1086)

3() أحمد في فضائل الصحابة بإسناده على شرط البخاري.

4() انظر: المستدرك (3/130) الطبراني في المعجم الكبير(23/380/901) عن أم سلمة، وقال الهيثمي في المجمع (9/132): (وإسناده حسن)، وقد علق عليه الشيخ ممدوح بقوله: (فهذا طريقان للحديث كلاهما حسن لذاته، فالحديث: صحيح بهما)

ولو أنهم تأملوا هذه الأحاديث لعرفوا أن الإمــام علي ليس مجرد صحابي عادي، أو فرد عادي من آل بيت النبوة، وإنما هــو الممثل الحقيقي للدين بعد رسول الله ﷺ.. ذلك أنه يستحيل أن يـترك الـدين من غـير أن يكـون هنـاك من يمثلـه.. هكـذا جـرى العرف في كل الأديـان.. بـل في كـل بلاد المسـلمين الآن نجـد مجالس للإفتاء، ويتربع على رأسها المفـتى أو الشـيخ الأكـبر أو شـيخ الإسـلام.. والـذي يمثـل المرجـع الأعلى عنـد الخلاف، ولا يعطى له هذا المنصب إلا بسبب علمه الوفير.

وكان أحق الناس بـذلك المنصـب الإمـام علي.. فهـو أكـثر الصحابة تلمذة لرسول الله ﷺ.. بل إنه ربي في حجرة، وعـاش في بيته، وبقي معه إلى آخر يوم في حياته.. ولم يـترك موضـعا إلا كان معه فيه.. وعندما تخلف أكـثر الصـحابة عنـه في شـعب أبي طالب كان معه.. وهكذا لم تنزل آية من القرآن الكـريم، إلا وكان عالما أين نزلت، ومتى نزلت، وما قال رسول الله ﷺ في تأويلها.

وفي الأخير، وبعد ذلـك كلـه، يوضـع مـع الـذين اكتفـوا من صـحبتهم لرسـول اللـه ﷺ بمجـرد رؤيتـه، أو الجلـوس معـه في مجلس واحد، ولهذا نجد المتـأخرين في إسـلامهم من الصـحابة أكثر روايـة منـه.. لا لقلـة علمـه، أو ضـعف ذاكرتـه.. وإنمـا لأن القوم لم يريـدوا أن يجمعـوا لبـني هاشـم بين النبـوة ووراثتهـا، وذلـك لأنهم تصـوروا أن الأمـر مرتبـط بالعشـائر والأنسـاب، لا بالدين.

بل إنهم وإمعانا في عزله راحوا يقصونه من ذلك المجلس الذي كلف بتدوين القرآن الكريم، مع أنه كـان أحـق النـاس بـه، وهل هنـاك عـزل أكـبر من ذلـك؟.. وهـل هنـاك جحـود للـوريث الشرعي لعلم النبوة أكبر من ذلك؟

ومع ذلك كان الإمـام علي أوسـع النـاس صـدرا، وأكـثرهم رفقا بالأمة، فلم يجد إلا أن يفعل ما فعله هارون عليـه السـلام، عنـدما رأى بـني إسـرائيل يعبـدون العجـل، فخشـي أن يفـرق بينهم.. فآثر الدعوة الهادئة..

وقد رأى الإمام علي بعينيه كعب الأحبار وغيره وهم يبثـون تلـك الروايـات التجسـيمية، فلم يملـك إلا أن يتخـذ لـه أصـحابا صـادقين يبث فيهم علم النبـوة، وحقـائق الـدين.. وهـو يعلم أن نور الله لن تطفئه أيدي البشـر، وأن تلـك الكلمـات سـتحيا من جديد في الأمة، وستنطفئ كل ظلمات الفئة الباغية.

ولم يكتفوا بذلك، بل راحـوا إلى أبنائـه وأحفـاده يتعـاملون معهم بنفس المعاملة.. وفي كل فترات التاريخ.. لأنهم يعلمــون أنهم أول من بث فيهم علمـــه، فلـــذلك راحـــوا يحـــذرون من صحبتهم، ويتعاملون معهم بقسـوة لا نظـير لهـا، وكـأنهم ليسـوا من أهـل بيت النبـوة، ولا ورثـة العلم الحقيقي الـذي لم يختلـط ولم يدنس.

ففي العهد الـذي كـان فيـه الحسـنان.. سـيدا شـباب أهـل الجنة..ذانك اللذان ورد في فضلهما من الأحاديث ما لم يرد في فضل غيرهما.. تركهما الناس، بل حاربوهما، وقتلوهما، ثم ذهبوا إلى أولئـك الـذين رضـي عنهم الطلقـاء، وجلسـوا بين أيـديهم يكتبون الفقه والعقيدة والتفسير والحديث.. وكل معارف الدين.

ومن العجيب أنه في الوقت الذي تروى فيه آلاف الأحاديث عن أبي هريـرة وغـيره من الصـحابة.. لا يـروى عن الإمـامين الحسن والحسين مجتمعين سوى عشرين حـديثا.. بـل إن أكـثر الأمة يتصور أن الإمامين لم يتجاوزا مرحلة الصـبا.. ولم يعرفـوا أنهما لم ينالا ذلك الفضل العظيم الذي نطق به رسـول اللـه ﷺ

إلا نتيجة ما آتاهما اللـه من علم وتقـوى كـان للأمـة أن تسـتفيد منه، لكنها ضيعته.. ولم تكتف بالتضـييع .. بـل راحت تحاربهمـا.. إلى أن قتلتهما.

وبعـد أن فعلت ذلـك، راحت تحـذر من كـل روايـة تـروى عنهما، بحجة أن الـذي رواهـا شـيعة.. وهم يعلمـون أن كـل من كان ملتفا بهما، صُنف في خانة الشـيعة.. وهـل يمكن أن يـروي عن العالم غير تلاميذه؟

وهكذا كان الأمر مع كل من عداهما..

فالإمام السجاد زين العابـدين.. ذلـك الـذي تـرك لنـا ثـروة ضخمة من الأدعية العظيمـة الـتي كـان يمكن أن تسـتفيد منهـا الأمـة، في الحفـاظ على أصـالتها ودينهـا وقيمهـا.. راح يُعـزل ويحـذر منـه ومن أدعيتـه.. ويكتفى فقـط بـذلك الثنـاء الـذي لا جدوى منه، وبتلك الـدعاوى الـتي تكتفي بالمحبـة المجـردة عن أي أثر.. وكأن رسول الله ﷺ طلب منا أن نحبهم حبا فارغـا من أي معنى في نفس الوقت الذي نتبع فيه أعداءهم.

ولذلك إن سألت أي شخص عن الإمام السجاد، فسـيذكر لك ما قاله الفرزدق عنه، وقـد يـذكر لـك صـلاته وتقـواه وكـثرة سجوده، لكنـك إن سـألته عن المناجَيـات الخمسَ عشـرةَ، فلن يجيبك بشيء.. فإن ذكرت له مناجاة التـائبين، أو الشـاكرين، أو الخـائفين، أو الـراجين، أو الراغـبين، أو المطيعين للـهِ، أو المريـدين، أو المحبّين، أو المتوسّـلين، أو المفتقـرين، أو العارفين، أو الذاكرين، أو المعتصمين، أو الزاهدين.. فلن يجيبك بشيء.. لأنه لم يسمع بها في حياته.

ولو أنه كان صوفيا فسيذكر لـك عشـرات الأوراد والأدعيـة والصـلوات والمناجيـات، للشـاذلي والجيلاني والنقشـبندي

والبدوي.. وغيرهم كثير.. ثم تراه يجهل كل مــا ورد عن آل بيت النبوة من أدعية ومناجيات لا يمكن أن يــوازى بهـا أي دعـاء، ولا أي مناجاة.

ومن العجب أن هـؤلاء يـذكرون أن من قـال لشـيخه لم لا يفلح أبدا، بينما هم يترضون ويقدسون كل من قتل وقاتل ولعن وسب أولئك الذين يدّعون حبهم.

وكل ذلك من سوء فهم معنى المحبة، وتصـور أنهـا مجـرد عاطفة قلبية خالية من أي أثر عملي، مع أن الله تعـالى يقــول: ﴿قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللـه فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمـران: 31]

وهكذا فعلوا مع الإمام والباقر والصـادق والكـاظم والرضـا وكل الأئمة.. الذين شهد لهم التاريخ بالعلم والتقـوى والصـلاح.. لكنهم أُبعدوا من كل شـيء في نفس الـوقت الـذي قـرب فيـه الجهلة والفسقة والمنحرفون.

وعندما سقطت الدولة الأمويـة، وولـدت الدولـة العباسـية، والـتي رفعت شـعار الانتصـار لأهـل بيت النبـوة، راحت بسـبب تصورها الخاطئ للدين والممثلين له، تمعن في إبعـاد أهـل بيت النبــوة، وبكـــل قســوة، ولا تكتفي بـــذلك، بـــل كـــان الخلفـــاء العباســيون يتنافســون في قتلهم وتشـــريدهم والتحـــذير من اتباعهم، والسخرية بهم.

وكـانوا يكرمـون كـل شـاعر هجـاهم، كمـا فعـل المهـدي العباس مع الشاعر مروان بن أبي حفصـة حين أعطـاه سـبعين ألف درهم، أي عشرات الكيلوغرامات من الذهب، بسبب قوله:

يا ابن الذي ورِثَ ... دون الأقاربِ من ذوى

الوحي بين بني قطعُ الخصامِ فلاتَ
ما للنساءِ مع الرجالِ نزلَتْ بذلك سورةُ
أنى يكون وليس ذاك لبني البناتِ وراثة

حتى قال الشاعر في حقهم:

تالله ما فعلت معشار ما فعلت

وهكذا استعمل كل أصحاب الملك العضوض ما لــديهم من وسائل لحرمان الأمــة من تــراث أهــل بيت النبــوة.. ولم يكتفــوا بذلك، بل ضــموا إلى صــفهم العلمــاء والمحــدثين، الــذين راحــوا ينافسون أصحاب الملك العضوض في إقصاء أئمة أهــل الــبيت، وكل من يرتبط بهم.

وقــد بلــغ بهم الأمــر إلى أنهم كــانوا يوثقــون النواصــب في نفس الوقت الذي يجرحون فيه أئمة أهل البيت..

ومن العجيب أن البخــاري الــذي تــرك الروايــة عن الإمــام الصادق يعتبر عمــران بن حطّــان السدوســي البصــري (ت 84) من الثقاة الذين يروي عنهم في صحيحه، وله باتفاق المــؤرخين شعر في مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمــنين علي، منه قوله:

لله در المرادي الّــذي كفّاه مهجة شر الخلق
أمســى عشــية غشــاه معطى مناه من الآثــام
يا ضــربة من تقي مــا إلاّ ليبلـــــــــغ من ذي
إنّي لأذكــــره حينـــــاً أوفى البريّة عنــد اللــه

وليس هذا خاصا بفرد أو فردين، بل كان هذا منهجهم الذي

اعتمدوا عليه في الجرح والتعديل، وقد كتب المحدث المعروف (محمد بن عقيل العلـوي) كتابـه في (العتب الجميـل على أهـل الجرح والتعديل) في الرد على هذا المنهج الذي يضاد ما أمر به رسـول اللـه ﷺ من اعتبـار مـولاة الإمـام علي علامـة للإيمـان، وبغضه علامة للنفاق.

وقد قال في مقدمـة كتابـه، بعـد نقلـه لكلام ابن حجـر في سبب توثيق المحدثين للنواصب وتوهينهم للمحبين للإمـام علي: (ولا يخفى أن معنى كلامه هذا أن جميـع محـبي علي المقـدمين لـه على الشـيخين روافض، وأن محبيـه المقـدمين لـه على من سوى الشيخين شـيعة، وكلا الطـائفتين مجـروح العدالـة. وعلى هذا فجملة كبيرة من الصـحابة الكـرام كالمقـداد وزيـد بن أرقم وسلمان وأبي ذر وخباب وجـابر وعثمـان بن حـنيف وأبي الهيثم بن التيهـان وخزيمـة بن ثـابت وقيس بن سـعد وأبي ذر وخبـاب وجـابر وعثمـان بن حـنيف وأبي الهيثم بن التيهـان وخزيمـة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي الطفيل عامر بن واثلـة والعبـاس بن عبد المطلب وبنيه وبني هاشم كافة وبني المطلب كافـة وكثـير غيرهم كلهم روافض لتفضيلهم عليا على الشيخين ومحبتهم لـه ويلحـق بهـؤلاء من التـابعين وتـابعي التـابعين من أكـابر الأئمـة وصفوة الأمة من لا يحصى عددهم وفيهم قرناء الكتـاب، وجـرح عدالة هؤلاء هو والله قاصمة الظهر) [1]

وقـد ضـرب الأمثلـة الكثـيرة عن جـرج المحـدثين للـرواة بسبب حبهم للإمام علي، ومن ذلـك مـا نقلـه عن ابن حجـر في (تهذيب التهذيب) في ترجمة مصدع المعرقب مـا لفظـه: (قلت

---

1() انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب 8 / 113 ـ 114 برقم 223.

1() العتب الجميل، ص15.

إنما قيل له (المعرقب) لأن الحجـاج أو بشـر بن مـروان عـرض عليه سـب علي فـأبى فقطـع عرقويـه. قـال ابن المـديني قلت لسفيان: في أي شيء عرقب؟ قال: في التشيع انتهى. ثم قـال ذكره الجوزجـاني في الضـعفاء - يعـني المعـرقب - فقـال زائـغ جـائر عن الطريــق، يريــد بــذلك مــا نســب إليــه من التشــيع. والجوزجـاني مشـهور بالنصـب والانحـراف فلا يقـدح فيـه قولـه انتهى. ومن هـذا تعـرف أن التشـيع الـذي يعـرقب المتصـف بـه ويكـون زائغـا جـائزا عن الطريــق عنـد أمثـال الجوزجـاني هـو الامتناع عن سب مولى المؤمنين عليه السلام)[1]

بل إن إبعادهم لأهل بيت النبـوة، وعـزلهم لهم راح يسـري إلى المناطق الجغرافية التي انتشروا فيها.. ولهذا نجـد الأحكـام المشـددة على الكوفـة باعتبارهـا كـانت عاصـمة للإمـام علي، وللفئة المؤمنة معه من الصحابة والتابعين.. فقد ألصقوا بها كل تهمة، وحولوها إلى بؤرة من بؤر البدع، بل اتهموها بأنها هي ـ لا الفئـة الباغيـة ــ من سـاهم في قتـل الإمـام علي وأهـل بيتـه الطاهرين.

وقد قـال ابن المعـتز العباسـي مشـيرا إلى ذلـك الموقـف الذي اتخذه الساسة ومن شايعهم من العلماء:

واستمع الآن حديث ... مدينة بعينها
كَثيرةُ الأديان ... وهمُّها تشتيتُ أمر
وأخذوا وقتلوا عليا ... العادل ، البر ،
وقتلوا الحسين ، ... فأهلكوا أنفسهم

[1] () العتب الجميل، ص19.

وجحدوا كتابهم إليه وحرفوا قرآنهم

ثم بكوا من بعده هلا ، كذاك يفعل

فقد بقوا في دينهم لا يهودٌ همْ ولا

والمسلمون منهمُ رافضةٌ ودينهم

فبعضهم قد جَحَدَ وغلَّطوا في فعله

وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك الموقف السلبي من الكوفة، فقال: (وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم؛ ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب لا سيما الشيعة فإنهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم؛ ولأجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق؛ لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب فأما إذا علموا صدق الحديث فإنهم يحتجون به كما روى مالك عن أيوب السختياني وهو عراقي فقيل له في ذلك فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه أو نحو هذا. وهذا القول هو القول القديم للشافعي حتى روي أنه قيل له: إذا روى سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله حديثا لا يحتج به فقال: إن لم يكن له أصل بالحجاز وإلا فلا ثم إن الشافعي رجع عن ذلك وقال لأحمد بن حنبل: أنتم أعلم بالحديث منا فإذا صح الحديث فأخبرني به حتى أذهب إليه شاميا كان أو بصريا أو كوفيا ولم يقل مكيا أو مدنيا لأنه كان يحتج بهذا قبل. وأما علماء أهل الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد وأصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم فيعلمون من بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لا ريب فيهم وأن فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز ولا يستريب عالم في

مثل أصحاب عبـد اللـه بن مسـعود كعلقمـة؛ والأسـود؛ وعبيـدة السلماني؛ والحارث الـتيمي وشـريح القاضـي ثم مثـل إبـراهيم النخعي؛ والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أوثـق النـاس وأحفظهم فلهذا صار علماء أهل الإسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه أهـــل العلم بالحـــديث من أي مصـــر كـــان وصـــنف أبـــو داود السجستاني مفاريد أهل الأمصار يذكر فيـه مـا انفـرد أهـل كـل مصر من المسلمين من أهل العلم بالسنة) (1)

وهكـذا ــ يـا آل بيت النبـوة ــ أُبعـدت الأمـة عن محـط الرسـالة، ومختلَـف الملائكـة، ومعـادن العلم، وينـابيع الحكم.. ولذلك لا نعجب أن يختلط عليهـا أمـر دينهـا، وأن يـدب الصـراع بينها، وأن تنتقل إليها كل تلك الأدواء التي أصـابت مـا قبلهـا من الأمم.. فمن عـــزل الأســـتاذ، يســـتحيل أن يتعلم، ومن عـــزل الطبيب يستحيل أن يشفى .. هذه سنة الله، و﴿لَنْ تَجِدَ لِسُـنَّتِ الله تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43]

---

(1) مجموع الفتاوى (20/ 314)

## إلى الأبطال المنسيين

يا أبطال الإسلام المنسيين..

يا أبا طالب.. ويا علي.. ويـا جعفـر.. ويـا حمـزة.. ويـا بـني هاشم الذين وقفوا مـع رسـول اللـه ﷺ في الشـعب محاصـرين جوعى، ولم يسلموه، ولم يبيعوه بأموال الدنيا.

أيها الأبطال الذين وقفوا مع الإسـلام في أحلـك الظـروف، وكـان لهم الفضـل الأكـبر في الحفـاظ عليـه، والانتصـار على أعدائه.. كل أعدائه.

اسـمحوا لي أن أسـتعيد ذكـركم؛ فقـد نسـيكم الكثـير من قومي، وراحوا يهونون من شـأنكم.. منشـغلين بغـيركم.. فهم لا يريدون أن يذكروا بذكركم تلك الجـرائم الـتي ارتكبهـا الطلقـاء، الــذين تحولــوا وفي لمح البصــر إلى صــحابة أجلاء، ســابقين صادقين، والويل لمن تكلم عنهم بما تذكره الحقائق.

اسمحوا لي أن أستعيد تلك الآلام التي تنبأ فيها رسول الله ﷺ بما سيحصل لكم ولذريتكم من بعده، فقـد حـدث أبـو سـعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ان أهل بيتي سـيلقون من بعـدي من أمـتي قتلا وتشـريدا، وان أشـد قومنـا لنـا بغضـا بنـو أميـة وبنـو المغيرة وبنو مخزوم)[1]

ولذلك كان كلما رآكم راحت عيناه تغرورقان بالدموع، فقد حدث ابن مسعود قال: بينـا نحن عنـد رسـول اللـه ﷺ إذا أقبـل

---

[1] رواه ابن عساكر ونعيم بن حماد في الفتن، والحاكم، سـبل الهـدى والرشـاد في سيرة خير العباد (10/ 152)

فئـة من بـني هاشـم، فلمـا رآهم رسـول اللـه ﷺ اغـرورقت عينه[2].

ونحن نريد أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في بكائه عليكم، وتأثره لحالكم.. وكيف لا نفعل ذلك، وأنتم أبطال الإسلام الـذين سارع الناس إلى تغييبهم وهجرهم وتناسي كل التضـحيات الـتي بذلوها، والبطولات التي قدموها.

## بطولات أبي طالب:

وأول الأبطال المنسيين المحتقرين أنت يـا أبـا طـالب.. يـا حصـن الإسـلام الأكـبر.. وهم إلى الآن يهونـون من شـأنك ومن دورك في حفظ الإسلام، وحفظ رسول الله ﷺ ونصرته مـع أنـه لم يقف أحد مع رسول الله ﷺ في تلك الفترة الحرجة غيرك.

فأنت الذي ضحيت بكل شـيء، وتلقيت كـل ألـوان البلاء.. لتنصره.. لا لكونه ابن أخيك، ولكن لكونك من العـارفين بنبوتـه، والمؤمنين بها، بل من أوائل السابقين لذلك، فأنت آمنت بنبوتـه من صباه الباكر، بـل قبـل أن يولـد؛ فقـد كـانت الأحـاديث كلهـا تشير إليه.

لكن قومي لم يكتفوا بعزلك وإبعادك وظلمـك.. بـل راحـوا يشيعون ما كذبه الطلقاء الممتلئون بالنفاق عليـك.. لقـد راحـوا يصـدقونهم، ويكـذبونك، ويجلـونهم، ويحقرونـك.. ولم يكتفـوا بذلك.. بل راحوا يتهمونك بالشرك، وأنـك لم تـؤمن حرصـا على إرضـاء أبي سـفيان وأبي جهـل وأميـة بن خلـف والوليـد بن المغيرة..

ولست أدري هل كان رسول الله ﷺ أحب إليـك، أم أولئـك

[2]() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (10/ 152)

الملأ الذين استعملت كل الوسائل لمواجهتهم، وفرطت في كل المصالح من أجل الحفاظ على ابن أخيك الذي كنت تؤثره على نفسك وعلى كل شيء.

لذلك امتد حقدهم إليك.. وصاروا يصـورون الفـترة المكيـة التي كنت السند الأعظم فيها لرسـول اللـه ﷺ.. وكأنـك لم تكن موجودا فيهـا.. ولـو أنهم تخلـوا عن كبريـائهم، وراحـوا يقـرؤون السيرة من المصادر التي يعتمـدونها، لوجـدوا أنـك أنت الناصـر الأكبر للإسلام، وأنه لا يقاس بك أحد في ذلك..

وهكـذا الكثـير من الأقـارب الـذين جمعهم رسـول اللـه ﷺ عنـدما أنـزل عليـه قولـه تعـالى: ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْـرَبِينَ﴾ [الشـعراء: 214]، والـذين أسـلموا، وكتمـوا إسـلامهم، حـتى يقوموا بدورهم في حفظ الإسلام، وحفظ رسول الله ﷺ.

ولم يشذ عنهم في ذلك إلا ذلك الخائن البليد أبا لهب الذي أثرت فيه زوجـه أم جميـل أروى بنت حـرب بن أميـة، أخت أبي سفيان، وعمة معاويـة، تلـك الـتي ورد ذكرهـا مـع أبي لهب في القرآن الكريم، والـتي آثرهـا وآثـر قومهـا على رسـول اللـه ﷺ، فنزل فيه وفيهـا قولـه تعـالى: ﴿تَبَّتْ يَـدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَـا أَغْنَى عَنْـهُ مَالُـهُ وَمَـا كَسَـبَ (2) سَيَصْـلَى نَـارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيـدِهَا حَبْـلٌ مِنْ مَسَـدٍ (5)﴾ [المسد: 1 - 5]

وهي آيـات كريمـة تـبين أن السـبب الـذي جعـل أولئـك الأقارب الـذين تشـرفوا بحمايـة رسـول اللـه ﷺ لم يكن مجـرد الحميـة القبليـة، ولا القرابـة، ولا العشـائرية.. ولكنـه الاقتنـاع بالإسـلام.. ذلـك أن عبـد المطلب وبـني هاشـم كـانوا يعلمـون بالخير المدخر لهم من عند الله.

وقد ذكر المؤرخون العدول الذين لم تـؤثر فيهم تدليسـات الفئـة الباغيـة أن عبـد المطلب كـان وعشـيرته من المؤمـنين الموحدين، ومن الحنفاء الذين يتبعون ملة إبراهيم عليه السلام، ويذكرون أنه كان يمنع من طواف العراة، ويوفي بالنذر، ويؤمن بالمعاد، ويحرم الزنى، والخمر، ونكاح المحارم، وكان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكـارم الأخلاق، وينهـاهم عن دنيات الأمور، وكان مجاب الدعوة [1].

وهم يـروون عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (يـا علي، إن عبـد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل مـا ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام)[2]

ويـروون عن الأصـبغ بن نباتـة أنـه قـال: سـمعت أمـير المؤمنين يقول: (واللـه مـا عبـد أبي ولا جـدي عبـد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط)، قيل: فما كانوا يعبـدون؟ قـال: (كـانوا يعبـدون - يصـلون إلى - الـبيت على دين إبـراهيم (عليـه السلام) متمسكين به)[3]

ويدل لهذا أن النبي ﷺ كان يذكر نسبه إليـه، ويعـتز بـذلك، وما كان ليتعز بالانتساب لمشـرك، فقـد كـان يقـول يـوم حـنين عنـدما تفـرق عنـه النـاس: (أنـا النـبي لا كـذب أنـا ابن عبـد المطلب.. اللهم أنزل نصرك)[4]

---

1() السيرة الحلبيـة ج 1 ص 4، والسـيرة النبويـة لـدحلان (مطبـوع بهـامش السـيرة الحلبية) ج 1 ص 21.

2() بحار الأنوار: ج 77 ص 56..

3() كمال الدين للصدوق: ١٧٤ ،بحار الأنوار:  ١٥: ١٤٤.

4() البخاري ج 7 ص 622 (4317)، ومسلم ج 3 ص 1400.

ويدل لهذا ما ذكره علماء السيرة جميعا من أن عبد المطلب ـ عندما جاء جيش أبرهة لهدم الكعبة ـ أخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :(1)

| | |
|---|---|
| لا هم إن المرء | نع رحله فامنع |
| لا يغلبنّ | ومحالهم عدواً |
| انصر على آل | ب وعابديه |
| إن كنت | بتنا فأمر ما بدا |

ورووا أن عبد المطلب قام يدعو على الحبشة فقال (2):

| | |
|---|---|
| يا رب لا أرجو لهم | يا ربّ فامنع |
| امنعهم أن يخربوا | إنّ عدوّ البيت |

ويدل لهذا ذلك التعظيم الذي كان يبديه لرسول الله ﷺ، ومن ذلك ما رواه المؤرخون من أن حليمة السعدية لمّا قدمت برسول الله ﷺ إلى مكة ضاع من بين يديها، فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فقالت: إني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلّني، فو الله ما أدري أين هو، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى أن يردّه عليه، ورووا أنه قال حينها:

| | |
|---|---|
| يا رب إن محمّداً | فجمع قومي كلّهم |

---

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 219).

2() رواه البيهقي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 219)

لا همّ ردّ راكبي اردده لي ثمّ اتّخذ

أنت الذي جعلته لا يبعد الدّهر به

أنت الذي سمّيته محمدا

ورووا أنه حينها سمع هاتفاً من السماء يقول: (أيها الناس لا تضجّوا إن لمحمد ﷺ ربّا لن يخذله ولن يضيعه)، فقال عبد المطلب: من لنا به؟ فقال: (إنه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى)، فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسار فإذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب غصناً من أغصانها فقال له جده: من أنت يا غلام؟ قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: وأنا جدّك فدتك نفسي. واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع إلى مكة وهو قدّامه على قربوس فرسه فاطمأنت قريش، ونحر عبد المطلب عشرين جزوراً وذبح الشّياه والبقر وأطعم أهل مكة من ذلك.

وروي أن أمه آمنة قالت حينها: (أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، والله إنه لكائن لا بني هذا شأن.. حملت به فما حملت حملاً قط أخفّ منه، فأريت في النوم حين حملت به خرج منّي نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، ثم وقع حين ولدته وقعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء)

وحينها قال عبد المطلب ــ والذي كان عارفا بالشأن العظيم لرسول الله ﷺ ـ: (يا حليمة إن لابني هذا شأناً.. وددت أني أدرك ذلك الزمان)[1]

وهكذا وردت الروايات الكثيرة التي تؤكد إيمان عبد

---

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 390)

المطلب، وأن بني هاشم لم يتدنسوا بـذلك الشـرك الـذي وقـع فيه من عداهم من أهل الجاهلية.

لكن أولئك المتطرفين من قومي الـذين ورثـوا الجفـاء من الفئة الباغية راحوا يغالطون في ذلـك، لا لـدليل أو حجـة، وإنمـا لأن هذا ـ كما يذكرون ــ قـول الرافضة[1] مـع أنهم يعلمـون أن الكثير ممن ينسبونهم لأهل السـنة يقـول بـذلك.. كالمسـعودي، واليعقــوبي، والمــاوردي، والسنوســي، والتلمســاني محشــي الشفاء، والسيوطي، والذي ألف عدة رسائل لإثبات ذلـك، منهـا مسالك الحنفا، والـدرج المنيفـة في الآبـاء الشـريفة، والمقامـة السندسـية في النسـبة المصـطفوية، والتعظيم والمنـة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة، والسبل الجلية في الآباء العليـة، ونشر العلمين المنيفين في إثبات عدم وضع حديث إحيـاء أبويـه ﷺ وإسلامهما على يديه ﷺ.

ولو أن أولئك الجفاة تأملوا قوله ﷺ: (لم يزل ينقلـني اللـه من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجـني في عالمكم، ولم يدنسني بـدنس الجاهليـة)[2]، وقولـه: وقولـه ﷺ: (ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني الا نكـاح كنكـاح الإسلام)[3]

ولو جمعوا هـذا الحـديث وغـيره مـع قولـه تعـالى: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْـرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُـوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ

---

[1] كمـا قـال أبـو حيـان الأندلسـي: (ذهبت الرافضـة إلى أن آبـاء النـبي ﷺ كـانوا مؤمنين)، تفسير البحر المحيط ج 7 ص 47.

[2] مروي في مصادر سنية وشيعية كثيرة منها: السيرة الحلبية ج 1 ص 30، والبحار ج 15 ص 117 .

[3] رواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 214)

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا [التوبة: 28] لعرفوا الحق الذي تدل عليـه كـل الدلائل.

والعجيب أنهم يقبلـــون أن يكـــون في قـــريش حنفـــاء وموحدين.. من أمثال زيد بن عمـرو بن نفيـل، ابن عم عمـر بن الخطاب.. بل يروون عنـه من الـورع والتقـوى الشـيء الكثـير.. ولو كان من بني هاشم ما قبلوا منه ذلك.

بل إن الغلو وصل بهم إلى درجـة تفضـيله في الـورع على رسول الله ﷺ.. فقد روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمـر أن رسول الله ﷺ لقي زيـد بن عمـرو بن نفيـل بأسـفل بلـدح ـ وذاك قبل أن يـنزل على رسـول اللـه ﷺ الـوحي ـ فقـدم إليـه رسول الله ﷺ سفرة فيهـا لحم، فـأبى أن يأكـل منهـا، ثم قـال: (إني لاآكل مما تذبحون على أنصابكم، ولاآكل إلا مما ذكر اسـم الله عليه)[1]

والعجب الأكبر من هذا أنهم يروون أن رسول الله ﷺ كـان يأكل من تلك السفرة التي تـورع عنهـا زيـد.. وقـد صـرح بـذلك أحمد بن حنبل وأبو يعلى والبزار وغـيرهم، وقـد قـال ابن حجـر العسقلاني معلقا على الحديث السـابق: (وقـد وقـع في حـديث سعيد بن زيد الذي قهر منه وهو عنـد أحمـد، فكـان زيـد يقـول: عذت بما عـاذ بـه ابـراهيم ثم يخـر سـاجدا للكعبـة، قـال: فمـر بالنبي ﷺ وزيد بن حارثة وهما يأكلان من سـفرة لهمـا فـدعياه، قال: (يابن أخي لا آكل ممـا ذبح على النصـب)، قـال: فمـا رؤي النبي ﷺ يأكل مما ذبح على النصب من يومه ذلك)، وفي حديث زيد بن حارثة عند أبي يعلى والبزار وغيرهما، قـال: خـرجت مـع رسول الله ﷺ يومـا من مكـة وهـو مـرد في مـذبحنا شـاة على

---

1() صحيح البخاري 6 : 225.

بعض الأصـنام فاذبحناهـا فلقينـا زيـد بن عمـرو، فـذكر الحـديث مطولا، فقال زيد: اني لا أكل مما لم يذكر اسم الله عليه)[1]

وهم يروون في هذا بفرح عظيم أنـه كـان يقـول لقـريش: (إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكـل إلا مـا ذكـر اسم الله عليه).. ويقول: (الشاة خلقها اللـه تعـالى، وأنـزل لهـا من السماء الماء، وأنبت لهـا من الارض ثم تـذبحونها على غـير اسم الله)[2]

لكنهم إن جاءوا لآباء رسول الله ﷺ راحوا يـروون: أن رجلا سأل النبي ﷺ: أين أبي؟، فقال: في النار، فلما قفا دعاه، وقال له: (إن أبي وأباك في النار)[3]

وهكذا قبلوا إيمان زيد بن عمـرو بن نفيـل ــ ابن عم عمـر بن الخطاب ـ وذكروا أنـه في الجنـة يسـحب ذيـولا [4].. وقبلـوا إيمـان ورقـة بن نوفـل.. وذكـروا أن أميـة بن أبي الصـلت كـاد يسلم في شعره.. وهكذا قُبل الجميع ما عدا بـني هاشـم الـذين صوروهم بصورة الجفاة الغلاظ المسدودة قلوبهم عن الإيمــان، مع أنهم يرون رسول الله ﷺ غدوة وعشية وهـو بين أظهـرهم.. ومع ذلك لم يؤثر فيهم، وأثر في الأبعدين.

ولم يكن ذلـك إلا وليـد الحقـد الأمـوي عليهم، والـذي تـدل عليه الروايات الكثـيرة، ومنهـا مـا رواه عبداللـه بن عمـر قـال:

1() فتح الباري 9 : 518 ..

2() صحيح البخاري، رقم 3826 ..

3() رواه مسلم وغيره، انظر: الإصابة ج 1 ص 337.

4() السـيرة النبويـة لـدحلان ج 1 ص 39 و168 والبدايـة والنهايـة ج 2 ص 237 ـ 241..

بينما نحن جلوس بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال أبو سفيان: إن مثل محمد في بـني هاشـم مثـل الريحانـة في وسـط النتن، فـانطلقت المـرأة فأخبرت النـبي ﷺ فخـرج النـبي ﷺ يعـرف الغضـب في وجهـه، فقال: (ما بال أقوال تبلغني عن أقوام! إن اللـه تبـارك وتعـالى خلق السموات فاختـار العليـا فأسـكنها من شـاء من خلقـه، ثم خلـق الخلـق فاختـار من الخلـق بـني آدم، واختـار من بـني آدم العـرب، واختـار من العـرب مضـر، واختـار من مضـر قريشـا، واختار من قريش بني هاشم، فأنا من بني هاشم من خيـار إلى خيار)(1)

وهم يروون هذا الحديث، ويروون ما يدل عليـه من اختيـار الله لرسول الله ﷺ البيئة المناسبة، وفي نفس الـوقت يقبلـون الإيمان من كل الناس إلا من بني هاشـم.. وكـأن اللـه اختـارهم لجمال وجوههم، لا لطهارة قلوبهم.

## بطولات حمزة:

اعــذروني ســادتي .. لأني تــركت الحــديث عنكم، ورحت أتحدث عن أولئك الذين ظلموكم، ولا يزالون يظلمونكم..

أما أنت يا عم رسـول اللـه ﷺ الثـاني.. حمـزة.. فقـد كنت حقا أسد الله، وأسد رسوله، وسيد الشهداء، وكنت البطل الذي أرغم المشركين عن كف أذاهم عن رسول الله ﷺ.

ولم تصبر على كتم إيمانـك؛ فـرحت تجهـر بـه في الـوقت الـذي رأيت فيـه أن الكتمـان جعـل المشـركين أكـثر عنجهيـة وكبرياء..

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 73)

لقد روى المؤرخـون وأصـحاب السـير أنـك بعـد أن رجعت من الصيد، أخبرك بعضهم بما فعله أبو جهل تجـاه الرسـول ﷺ، فرحت تسرع إليه، لتنتقم منه، ثم ضربته على رأسـه بـالقوس، ضربة شججته بها شجة منكـرة، ثم قلت لـه: أتشـتمه وأنـا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد عليّ ذلك إن استطعت.

لقد قلت لـه ذلـك، بكـل قـوة، بعـد أن تضـرع إليـك، وراح يعتـذر، لعلمـه بشـجاعتك وبأسـك.. حينهـا قـام رجـال من بـني مخزوم لينصروا أبا جهل، وقالوا لك: ما نراك إلا قد صبأت؟

فقلت لهم: وما يمنعني، وقـد اسـتبان لي منـه أنـه رسـول الله، والذي يقـول حـق؟! فـو اللـه لا أنـزع، فـامنعوني إن كنتم صادقين.

حينها لم يملـك أبـو جهـل إلا أن يقـول: (دعـوا أبـا عمـارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا)(1)

وحين سـمعت قـريش نبـأ إسـلامك الـذي أعلنتـه في تلـك الظروف الصعبة، صارت أكثر خوفا من إيذاء رسول الله ﷺ بعد أن اجتمـــع على حمايتـــه كلا العمين الصـــادقين المخلصـــين المؤمنين: حمزة وأبي طالب.. بالإضافة لأكثر بني هاشم.

ولم تكتف بـذلك، بـل رحت تطلب من رسـول اللـه ﷺ أن يعلن دينه، وألا تأخذه في الله لومـة لائم.. وقلت لـه: (أظهـر يـا ابن أخي دينك)(2)

وهكذا عندما هاجرت إلى المدينة المنورة كـان سـيفك من

(1) تـاريخ الأمم والملـوك ج 2 ص 72 و73 والسـيرة النبويـة لابن هشـام ج 1 ص 312..

(2) تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 72..

تلـك السـيوف الـتي نصـرت الإسـلام، وبثت الـرعب في قلـوب المشـركين إلى أن حرضـت هنـد زوج أبي سـفيان، وأم معاويـة وحشـيا على قتلـك.. وقـد بلـغ بهـا الحقـد إلى أن راحت تلـوك كبدك.

فقد روى المؤرخون والمحدثون عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: غزونا الشـام في زمن عثمـان فمررنـا بحمص بعـد العصر، فقلنا: وحشي! فقالوا: لا تقدرون عليه، هو الآن يشــرب الخمر حتى يصبح. فبتنا من أجله وإنا لثمانون رجلا، فلمـا صـلينا الصبح جئنا إلى منزله، فإذا شيخ كبير، قد طرحت له زربية قـدر مجلسه، فقلنا له: أخبرنا عن قتل حمـزة، فكـره ذلـك وأعـرض عنه، فقلنا له: ما بتنا هذه الليلـة إلا من أجلـك. فقـال: إني كنت عبـدا لجبـير بن مطعم بن عـدى، فلمـا خـرج النـاس إلى أحـد دعاني فقال: قد رأيت مقتل طعيمـة بن عـدي، قتلـه حمـزة بن عبد المطلب يـوم بـدر، فلم تـزل نسـاؤنا في حـزن شـديد إلى يومي هذا، فإن قتلت حمزة فأنت حر. قال: فخرجت مع النـاس ولي مزاريق، وكنت أمر بهند بنت عتبة فتقـول: إيـه أبـا دسـمة، اشف واشتف! فلما وردنا أحدا نظرت إلى حمـزة يقـدم النـاس يهدهم هدا فرآني وأنا قد كمنت له تحت شـجرة، فأقبـل نحـوي ويعترض له سباع الخزاعي، فأقبل إليه فقـال: وأنت أيضـا ممن يكثر علينـا، هلم إلي! قـال: وأقبـل حمـزة فاحتملـه حـتى رأيت برقان رجليه، ثم ضرب به الأرض ثم قتله. وأقبل نحـوي سـريعا حتى يعترض له جرف فيقع فيه، وأزرقه بمزراقي فيقع في ثنته حتى خرج من بين رجليه، فقتلته، وأمر بهند بنت عتبة فأعطتني حليها وثيابها)[1]

---

[1]() مغازي الواقدي (1/ـ 286)، وانظر: والبخاري في صحيحه: (4072)، وأحمـد في مسنده: (16077)

ورووا أنهم (وجدوا حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قد بقر بطنه، وحملت كبده احتملها وحشي، يذهب بكبـده إلى هنـد بنت عتبة في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر)(1)

وهم إلى الآن يعظمون هنـدا ووحشـيا، ويترضـون عليهمـا، ويعتبرونهما من الصحابة الأجلاء الذين لا يجوز الحديث عنهم، أو الحط من شـأنهم، بـل يعتـبرونهم من العـدول حـتى لـو شـربوا الخمر، مثلما كان يشربها وحشي، لأن الخمر عندهم لا تؤثر في العدالة، وإنما يؤثر فيها محبة أهـل الـبيت أو الـولاء لهم.. حينهـا لن يبقى لأحد حرمة حتى لو كان صحابيا.

وقد حزن رسول الله ﷺ عليك ــ يـا حمـزة ــ مثلمـا حـزن على عمـه أبي طـالب.. بـل طلب أن يقـام عليـك العـزاء حـتى يعـرف المسـلمون فضـلك وقيمتـك ودورك في خدمـة الإسـلام ونصرته.

وقد قال ابن إسحاق: (ومر رسول الله ﷺ ـ حين رجـع إلى المدينة ــ بـدور من الأنصـار؛ فسـمع بكـاء النـوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: (لكن حمزة لا بـواكي لـه)، فأمر سعد بن معاذ، أو أسيد بن حضير نساء بني عبـد الأشـهل: أن يـذهبن ويبكين حمـزة أولا، ثم يبكين قتلاهن. فلمـا سـمع ﷺ بكـاءهن، وهن على بـاب مسـجده أمـرهن بـالرجوع، ونهى ﷺ حينئـذ عن النـوح، فبكـرت إليـه نسـاء الأنصـار، وقلن: بلغنـا يـا رسـول اللـه، أنـك نهيت عن النـوح، وإنمـا هـو شـيء ننـدب بـه موتانا، ونجد بعض الراحـة؛ فـأذن لنـا فيـه. فقـال: إن فعلتن فلا تلطمن، ولا تخمشن، ولا تحلقن شعرا، ولا تشققن جيبـا، قـالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا امرأة قط إلا بـدأت بحمـزة إلى

(1) دلائل النبوة للبيهقي (3/ 214)

يومنا هذا)(1)

وما قالته أم سعد ـ سيدي أبا عمارة ـ رد بليغ على أولئك الذين يمنعون المحبين لك ولأهل البيت الطاهرين من إقامة العزاء لكم أو ذكركم أو الإشادة بكم.. لأنهم يعلمون أنكم لا يمكن أن تذكروا إلا ويذكر معكم أولئك البغاة الذين حرفوا الإسلام وشوهوه، وملأوه بكل الدنس الذي أصاب الأديان من قبله.

## بطولات علي:

أما أنت يا علي.. فما عساي أقول عنك.. وهل يمكن أن تسعفني الألفاظ في شرح تفاصيل أدوارك في نصرة الإسلام في كل مراحله..

فأنت من شهدت له كل الدواوين، وكل المؤرخين بأنك بطل الإسلام الأكبر.. فأكثر الغزوات، كنت أنت بطلها، ومبتدأها وخبرها، وأولها وخاتمتها..

حتى قال فيك أسيد بن أبي أناس الكناني(2) قبل إسلامه يخاطب قريشا (3):

| | |
|---|---|
| في كلّ مجمع غاية | جذع يفوق على |
| هذا ابن فاطمة | ذبحا وقتلا بغضه لم |

(1) السيرة الحلبية ج 2 ص 254.

(2) وهو أسيد بن إياس بن وثيم الكناني. وقد قال هذه الأبيات قبل إسلامه. (ابن حجر، الإصابة 2 / 508 ).

(3) الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 231).

للَّه درّكم ألمّا قد يذكر الحرّ الكريم

ولهذا كان رسول الله ﷺ يضع الراية في يدك في كل الغزوات، ومن المعلوم أن أول ما يفعله الأعداء هو قتل صاحب الراية، حتى يتمكنوا من إسقاطها، ومن تحقيق النصر المعنوي الذي يريدون، ولذلك كان رسول الله ﷺ يسلمها لك، لعلمه بشجاعتك وثباتك.

وقد قال ابن عباس يذكر ذلك: (لعلي بن أبي طالب أربع ما هنّ لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ﷺ،وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس (أي يوم أحد)؛ وفرّ الناس، وهو الذي أدخله قبره)[1]

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟ قالوا: كان حاملها علي)[2]

وقد ورد في الروايات أن الفئة الباغية كانت تنهى عن أمثال هذه الروايات، وقد روي أنه لما سأل بعضهم سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه إلى إخوانه من القرّاء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج، فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي، هكذا سمعت من عبد الله بن عباس[3].

وفي رواية: (كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال؛ أخذها علي بن أبي طالب)

---

1() مستدرك الحاكم ج 3 ص 111 ، ومناقب الخوارزمي ص 21 و22 وإرشاد المفيد ص 48.

2() ذخائر العقبى ص 75 وينابيع المودة ج 2 ص 167.

3() مستدرك الحاكم ج 3 ص 137 وصححه.

ولم يكن حمل الراية ليشغلك عن القتال، بـل كنت البطـل الأكبر في كل المعارك، وقد ذكر المؤرخون أنك في بدر وحـدها قتلت اثنين وعشرين من المشركين[1]، في نفس الوقت الـذي قتل فيه حمزة بن عبد المطلب تسعة، وقتل عمار بن ياسـر بن ياسر خمسة، وقتـل أبـو دجانـة أربعـة، وقتـل الزبـير ين العـوام اثنين، وقتل عبدالرحمن بن عوف اثنين..

ولكن مـع ذلـك لا يُـذكر هـذا، ولا تـذكر بطولتـك في هـذه المعركة التي كانت فرقانا بين الحق والباطـل، ولا يـذكر كونـك سيف الله المسلول فيها وفي غيرها على أعدائه، بل ينقل هــذا اللقب إلى غـيرك [2]، رغم أنـف التـاريخ، وكـل الأحـداث الـتي نقلها المؤرخون الذين يعتمدونهم.

وهكذا كنت في تلـك المعركـة المفصـلية الفارقـة بين الحـق والباطل ـ أنت وابن عمك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[3] الهاشمي الذي لا يكـاد يعرفـه أحـد، وحمـزة بن عبـد المطلب ـ

---

1() ذكرهم ابن هشام في السيرة بأسمائهم، فقد بلـغ من قتلهم علي بن أبي طـالب أو شارك في قتلهم ـ عنـده ــ واحـد وعشـرون رجلًا، وعنـد الواقـدي بلـغ من قتلهم علي أوشرك في قتلهم، اثنان وعشرون رجلًا، انظر: ابن هشام، السيرة النبويـة 1/708-715، المغازي 1 / 152.

2() الرواية التي تقول: إن رسول الله ﷺ هو الذي أطلـق هـذه التسـمية على خالـد، وفي مناسبة حرب مؤتة، حينما أمَّر خالـد نفسـه على النـاس، بعـد قتـل جعفـر، وزيـد بن حارثة، وابن رواحـة، حيث يزعمـون: أنـه ﷺ قـال: «اللهم إنـه سـيف من سـيوفك، فـأنت تنصره».. فمنذ يومئذ سمي خالد: سيف الله، رواية غير صحيحة، لأن خالداً انهزم بالناس في مؤتة، فكيف يعطي النبي ﷺ الأوسمة للمهزوم، وحينما عاد الجيش إلى المدينة جعـل الناس يحثون التراب في وجوههم، ويقولون: يا فرار في سبيل اللـه.. ودخـل أفـراد ذلـك الجيش إلى بيوتهم، ولم يعد يمكنهم الخروج منها، لأنهم كلما خرجوا صاح الناس: أفـررتم في سبيل الله.. انظر: تاريخ الطبري ج 3 ص 42.

3() وقيل ابن الحرث بن عبد المطلب القرشي المطلبي، ابن عم النبي ﷺ أسلم قديمًا، وكان رأس بني عبد مناف حينئـذٍ، كـان مـع النـبي ﷺ في مكة ثم هاجر وشهد بدرًا وقتل فيها. (انظر : ابن سعد في الطبقات الكبرى 3 / 50 - 52. وابن حجر، الإصابة 2 / 449).

كان ثلاثتكم أول من قابل المشركين في المبارزة، وذلك عندما خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة، وابنه الوليد من المشركين.

وذلك حين نادى مناديهم: يا محمد ! أخرج إلينا أكفاءنـا من قومنا، وكان رسول الله ﷺ يعرف شجاعتك على الرغم من أنها أول معركة في الإسلام، لذلك قـال: (قم يـا عبيـدة بن الحـرث، وقم يا حمزة، وقم يا علي)

فلما قمتم، بارز عبيدة ــ وكـان أسـنكم ــ عتبـة بن ربيعـة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارزت أنت الوليـد بن عتبـة؛ فأمـا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأمـا أنت فلم تمهـل الوليـد أن قتلته، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما جرح صاحبه، وكررت أنت وحمزة بأسيافكما على عتبة فقتلتماه[1].

وبــذلك كـانت أول مبـارزة في الإسـلام مبـارزة هاشـمية، وأول شـهيد في أخطـر معركـة رجـل من بـني هاشـم، لا يكـاد يعرفه النـاس، لأن عقـولهم ملأوهـا بالطلقـاء، وقلـوبهم ملأوهـا بحب البغاة.

وفيك وفي أصحابك من المتبارزين نزل قول اللـه سـبحانه وتعـالى ﴿ هَـذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَـرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَـارٍ يُصَـبُّ مِنْ فَـوْقِ رُءُوسِـهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: 19]، وقد روى المحدثون في ذلك عنك أنـك قلت: (أنـا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصـومة يـوم القيامـة)، وقـال قيس بن عبادة: (وفيهم أنزلت ﴿ هَـذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19] قـال: هم الـذين تبـارزوا يـوم بـدر، حمـزة وعلي وعبيدة ــ أو أبـو عبيـدة ــ بن الحـارث، وشـيبة بن ربيعـة

[1] انظر : ابن هشام، السيرة النبوية 1 / 625. والمقريزي، امتاع الأسماع 1 / 85.

وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[1].

وهكذا كانت شجاعتك في معركة أحد التي فر فيها الكثير عن رسول الله ﷺ، في نفس الوقت الذي ثبت فيه ثباتا عظيما، لا يكاد يذكره أحد[2].

وفي هذه المعركة أيضا قتلت الكثير من المشركين، وكنت أنت الذي أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع في الحفرة[3].. ولما جرح النبي ﷺ كنت أنت الذي سكب الماء عليه، وفاطمة تغسل الدم عن وجهه ﷺ [4].

وهكذا كانت شجاعتك يوم الخندق.. ذلك اليوم الذي اجتمع فيها الشرك والنفاق واليهودية لضرب الإسلام، ووصف الله فيه كيف تزلزلت القلوب بقوله: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]

في ذلك اليوم الذي ارتعدت فيه القلوب، وبلغت الحناجر، وقال ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الأحزاب:12] كان قلبك ـ مولاي وسيدي ـ ثابتا ممتلئا قوة وإيمانا.

في ذلك اليوم خرج عمرو بن عبد ود، ونادى بكل كبرياء: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد من المسلمين، فاستأذنت حينها

---

1() رواه البخاري، 3 / 84.

2() انظر : تاريخ خليفة بن خياط ص 67. وابن كثير، البداية والنهاية 7/224.

3() ابن هشام، السيرة النبوية 2/80.

4() انظر االحديث في ذلك في صحيح البخاري، كتاب المغازي 3/109.

رسول الله ﷺ، فقـال لـك: (إنّـه عمـرو).. ثم كـرّر النـداء ثانيـة وثالثة، وأنت في كل حين تستأذن رسول الله ﷺ، فيجيبك بمثـل ذلك، إلى أن اكتشف من كان حاضـرا في تلـك المعركـة أنـه لا يمكن لأحـد أن يـبرز لـه، حينهـا أذن لـك رسـول اللـه ﷺ.. ولم يؤخرك حرصا عليك، وإنما أخرك ليعرف الجمع مقامك.

وعندما برزت له، ونظر رسول الله ﷺ إليـك، وإلى الأنـوار التي تشع منك، قال: (برز الايمان كلّه إلى الشرك كلّه)(1)

وعندما دنوت من عدوك اللدود صاحب القوة والبطش، لم تستعجل بضـربه، وإنمـا رحت تـدعوه إلى اللـه،وتقـول لـه: (يـا عمـرو إنّـك كنت تقـول: لا يـدعوني أحـد إلى ثلاث إلاّ قبلتهـا أو واحدة منها)، قال: أجـل، فقلت: (إنّي أدعـوك إلى شـهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأن تسلم لربّ العـالمين)، فقال: أخّر هذا عنّي، فقلت: (أما أنّهـا خـير لـك لـو أخـذتها)، ثمّ قلت له: هـا هنـا أخـرى، قـال: ومـا هي؟ قلت: ترجـع من حيث أتيت، قال: لا، تحدّث نساء قريش عنّي بذلك أبداً، فقلت: ها هنا أخرى، قال: وما هي؟ قلت: أبارزك وتبارزني.

حينها تعجب عمـرو من جرأتـك، وضـحك ضـحكة سـخرية، وقال: إنّ هـذه الخصـلة مـا كنت أظنّ أحـداً من العـرب يطلبهـا منّي، وأنا أكره أن أقتل الرجـل الكـريم مثلـك، وقـد كـان أبـوك نديماً لي، فقلت: وأنا كذلك، ولكنّي أحبّ أن أقتلك ما دمت أبيّاً للحق.

بعدها حصل ما عبر عنه جابر بن عبد الله بقولـه: (وتجـاولا وثارت بينهما فـترة، وبقيـا سـاعة طويلـة لم أرهمـا ولا سـمعت

---

(1) كشف الغمة: 1/205، وإعلام الورى ص194 ، ومناقب آل أبي طالب: 3/136.

لهما صوتاً، ثمّ سمعنا التكبير فعلمنا أنّ علياً قد قتله)[1]

وهكذا كانت شجاعتك يوم خيبر.. ذلك الذي شهد لك فيه التاريخ، وحفظه الرواة، ونقلوه بالأسانيد الكثيرة التي لا مجال للشك فيها، منها ما حدث به عبد الرحمان بن أبي ليلى، قال: كان علي يخرج في الشتاء في إزار ورداء، ثوبين خفيفين، وفي الصيف في القباء المحشو، والثوب الثقيل، فقال: الناس لعبد الرحمان: لو قلت لأبيك فإنه يسهر معه، فسألت أبي، فقلت: إن الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئا استنكروه، قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحر الشديد في القباء المحشو، والثوب الثقيل، ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين، والملاءتين، لا يبالي ذلك، ولا يتقي بردا، فهل سمعت في ذلك شيئا؟ فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده، فسمر عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تفقدوا منك شيئا، قال: وما هو؟ قال: تخرج في الحر الشديد في القباء المحشو، والثوب الثقيل، وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين، وفي الملاءتين، لا تبالي ذلك ولا تتقي بردا، قال: وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟ قال: قلت: بلى، والله قد كنت معكم، قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر، فسار بالناس فانهزم، حتى رجع إليه، وبعث عمر، فانهزم بالناس، حتى انتهى إليه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرار، فأرسل إلي فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئا، فتفل في عيني، وقال: اللهم اكفه الحر والبرد، قال: فما آذاني بعد حر ولا برد[2].

لقد شهد الكثير من الصحابة ذلك الموقف، وكلهم تمنوا

---

1() انظر: البيهقي في دلائل النبوة، السيرة النبوية لابن كثير ج3 ص204.

أن يحصل لهم مثله.. لقد ورد في الحديث عن سـعد بن وقـاص قوله، وهو يذكر مناقبـك: (وسـمعته يقـول يـوم خيـبر: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا لها فقال: ادعو لى عليًـا، فـأتى بـه أرمـد، فبصـق فى عينـه، ودفـع الراية إليه، ففتح الله عليه)(1)

وقد ذكـر المؤرخـون مـا فعلت يومهـا، حيث كـان لقيادتـك للمعركة أثر النفسي الكبير على اليهود، فقد رووا أنـه (أشـرف على علي رجـل من اليهـود، فقـال من أنت؟ قـال: أنـا عليّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غُلِبتم يا معشـر اليهـود.. وكـان عليّ صاحب الراية والفاتح لحصون اليهود من بـني النضـير وقريظـة في المدينة وقاتِل أشرافهم وأشدّائهم)(2)

وقـال ابن هشـام: (قـال سـلمة: فخـرج [عليّ] واللـه بهـا [الراية] يؤجّ (يركض وله حفيف) أو يأنح (يعلـو بنفسـه)، يهـرول هرولة وإنّا خلفه نتبع أثره، حتى رَكَز رايته في رَضم من حجـارة تحت الحصن، فاطّلع إليـه يهـوديّ من رأس الحصـن، فقـال من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال اليهودي: عَلَوتم والذي أُنزِل على موسى! أو كمـا قـال. فمـا رجـع حـتى فتح اللـه على يديه)(3)

---

2() رواه أحمـد 1/99 (778) و1/133 (1117)، وابن ماجـة 117، ورواه البخـاري: 4/64 (2975) و5/23 (3702) وفي 5/171 (4209)، ومسلم: 7/122 (6303)

1() رواه الترمذى فى المناقب: مناقب على بن أبى طالب، وقال: هـذا حـديث حسـن صـحيح غـريب من هـذا الوجـه. صـحيح الترمـذى: 5/638؛ وأخرجه مسلم من الطريقين جميعًا فى فضائل الصحابة: من فضائل على بن أبى طالب: 5/268.

2() ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 220..

3() ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 798.

ومن أحداث تلك المعركـة مـا ذكـره الواقـدي قـال: (.. ثم دفع إليه اللواء، ودعا لـه ومن معـه من أصـحابه بالنصـر، فكـان أول من خرج إليهم الحارث أخو مـرحب في عاديتـه، فانكشـف المسـلمون وثبت علي، فاضـطربا ضـربات فقتلـه علي، ورجـع أصـحاب الحـارث إلى الحصـن فـدخلوه وأغلقـوا عليهم، فرجـع المسلمون إلى موضعهم، وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني      شاكي السلاح

أضرب أحيانا وحينا أضرّبُ

فحمل علي فقطره، على الباب وفتح الباب: وكان للحصن بابان)(1)

وقـال ابن الأثـير: (وخـرج مـرحب صـاحب الحصـن وعليـه مغفر (ما يُدرّع به الرأس) قد نقبه مثـل البيضـة (الخـوذة) على رأسه، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني      شاكي السلاح

فقال عليّ:

أنا الذي سمّتني      أكيلكم بالسيف كيل

ليث بغابات شديدٌ قسورة

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ، فضربه، فقدّ (شقّ) الحَجَفـة (الترس) والمغفر ورأسه حتى وقـع في الأرض، وأخـذ المدينـة)(2)

---

1() مغازي الواقدي (2/ 654).

2() ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 220..

وغيرها من الأحـداث الـتي اتفـق المؤرخـون على روايتهـا، وعلى اعتبارك بطل خيـبر الأكـبر، ويـروون أن حسـان بن ثـابت قال حينها، وبعد فتح خيبر على يديك [1]:

وكان عليّ أرمد العين      دواء، فلمّا لم
شفاه رسول الله منه      فبورّك مرقيّا،
وقال سأعطى الرّاية      مكيناً محبّاً للإله
يحبّ إلهى، والإله يحبّه      به يفتح الله
فخصّ لها دون البرية      عليا، وسمّاه الوليّ

وقال أيضا:

جبريل نادى      والنقع ليس
والمسلمون قد      حول النبي
لا سيف إلا      ولا فتى إلا

ومع ذلك كله لم تكن تنسـب لنفسـك شـيئا، وقـد روي أن بعضهم سألك: (يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعا، وأنت ثلاثة أيام خميصا، فهـل قلعتهـا بقـوة بشـرية؟)، فقلت: (مـا قلعتهـا بقـوة بشـرية، ولكن قلعتهـا بقـوة إلهيـة، ونفس بلقـاء ربهـا مطمئنـة رضية)[2]

وقد قلت في رسالتك لسهل بن حـنيف: (واللـه، مـا قلعت باب خيبر، ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعـا بقـوة جسـدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقـوة ملكوتيـة، ونفس بنـور ربهـا

---

[1] ابن حجر، نهج الايمان، ص 177.؛ سبط ابن الجوزي، التذكرة، ص 16..

[2] البحار ج 21 ص 40.

مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء)[1]

وهكـذا كـان حالـك في كـل المواقـف.. لقـد قـال ابن أبي الحديد يصف شجاعتك: (وأمّا الشجاعة فإنّه أنسى النـاس فيهـا ذكر من كـان قبلـه، ومحـا اسـم من يـأتي بعـده، ومقاماتـه في الحـرب مشـهورة تضـرب بهـا الأمثـال إلى يـوم القيامـة. وهـو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبـة، ولا بـارز أحـدا إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية)[2]

وقد شهد لك أعداؤك بتلك الشجاعة والبطولـة، فقـد روي أنه لمّا دعوت معاوية إلى المبارزة ليستريح النـاس من الحـرب بقتل أحدكما، قـال لـه عمـرو: لقـد أنصـفك، فقـال معاويـة: مـا غششتني منذ صحبتني إلاّ اليوم، أتـأمرني بمبـارزة أبي الحسـن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في امارة الشـام بعدي[3]..

بل إن أعداءك كانو يفتخرون بأنك أنت الذي قتلتهم.. فقــد روي أن أخت عمرو بن عبد ودّ قالت ترثيه[4]:

لو كان قاتل عمرو ... بكيته ما أقام الرّوح

لكنّ قاتله من لا ... وكان يدعى أبوه بيضة

وما تلك الشجاعة والبطولة التي وهبك الله إياهــا من دون كثـير من النـاس إلا لمـا كـان في قلبـك من قـوة الإيمـان الـتي

[1] أمالي الصدوق ص 307 والبحار ج 21 ص 26.

[2] شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد 1/ 20.

[3] شرح نهج البلاغة 1/20 و5/217، محاضرات الأُدباء للجاحظ 1/131.

[4] شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد 1/ 20.

زرعها فيك وتعهدها حبيك محمد ﷺ.. لذلك كنت تخرج في أيام صفّين وحدك بغير حماية، ولما قيل لك: تقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ قلت: (بالموت تخوّفوني؟ فو الله ما أبالي سقطت على الموت أم سقط عليّ!)(1)

## بطولات جعفر:

أما أنت يا جعفر.. أيها البطل الطيار .. يا أول سفير في الإسلام.. وأول من عرّف بقيمه النبيلة في إفريقيا.. ما عساي أقول عنك وعن بطولاتك، ونصرك للإسلام، ودعوتك إليه.. فأنت مثل أخيك الأصغر الإمام علي.. ومثل أبيك أبي طالب .. قدمت حياتك جميعا في سبيل الله.

لكنك مع ذلك كله لا تكاد تذكر.. فقد كتب قومي في فضائل معاوية وهند وعمرو بن العاص وبسر وسمرة ومسلم بن عقبة.. وكل من رمى أخاك عليا ولو بسهم واحد.. ونسوا أن يكتبوا عنك.. وكأنك نكرة، وكأنك لست من السابقين الأولين للإسلام.. والذين انتدبهم رسول الله ﷺ ليمثلوا الإسلام، ويعطوا أحسن النماذج عنه.

لقد ذكر الرواة مواقفك البطولية، وأشادوا بها، وبدورك العظيم في إقناع النجاشي والكثير من أهل الحبشة بالإسلام.. وكيف استطعت بقوة إيمانك، ورقة حديثك، وقوة حجتك، وجمال فصاحتك وبلاغتك أن توصل إليهم ذلك الإسلام الجميل الذي لم يدنسه البغاة وأصحاب الملك العضوض.

لقد حدثت أم سلمة عن ذلك الموقف التاريخي الذي

---

(1) العقد الفريد 1/ 102.

وقفته، والذي لا تزال الأجيال تنبهر به، فقالت: (لمـا نزلنـا أرض الحبشة جاورنا بها خير جـار النجاشـي، آمنـا على ديننـا، وعبـدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بعثت قريش عبـد اللـه بن أبي ربيعـة وعمـرو بن العـاص بهـداياهم إلى النجاشـي وإلى بطارقته، أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وســلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: مـا تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قـالوا: نقـول واللـه مـا علمنـا، ومـا أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فلمـا جـاءوه، وقـد دعـا النجاشي أساقفته فنشـروا مصـاحفهم حولـه، ثم سـألهم فقـال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تـدخلوا بـه في ديني ولا في دين أحد من هـذه الأمم؟ قـال: فكـان الـذي كلمـه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوما أهل جاهليــة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونـأتي الفـواحش، ونقطـع الأرحـام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، وكنا على ذلـك حـتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منـا، نعـرف نسـبه وصـدقه وأمانتـه وعفافه، فدعانا إلى الله تعـالى لنوحـده ونعبـده، ونخلـع مـا كنـا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنـا بصـدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقـول الـزور، وأكـل مـال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قـال: فعـدد عليـه أمـور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله عـز وجل، فعبدنا الله وحده فلم نشرك بـه شـيئا، وحرمنـا مـا حـرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينـا قومنـا فعـذبونا وفتنونـا عن ديننا ليردونا إلى عبـادة الأوثـان من عبـادة اللـه عـز وجـل، وأن نسـتحل مـا كنـا نسـتحل من الخبـائث، فلمـا قهرونـا وظلمونـا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك فاخترنـاك

على من سواك، ورغبنا في جـوارك، ورجونـا أن لا نظلم عنـدك أيها الملك)[1]

وعنــدما انتهيت من هــذه الخطبــة البليغــة الــتي جمعت الإســلام، وعــرفت بــه أحســن تعريــف انبهــر النجاشــي بــك وبشجاعتك وبالحق الذي تحمله، فقال لك: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

وكنت تحفظ حينها كل ما نزل على رسول الله ﷺ.. وكــان في إمكانــك أن تختــار أي ســورة، لكنــك كنت حكيمــا، تعــرف دينهم، فرحت تقـرأ عليـه أوائـل سـورة مـريم بصـوتك الشـجي الخاشع الجميل.

حينهــا حصــلت تــك الرجــة العظيمــة في القلــوب، والــتي وصفتها أم سلمة، فقالت: (فبكى النجاشـي واللـه حـتى أخضـل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصـاحفهم حين سـمعوا مـا تلي عليهم)

ثم قــال مخاطبــا لــك وللثلــة المؤمنــة معــك: (إن هــذا هــو والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة)

ثم قــال لعمــرو بن العــاص وصــاحبه: (انطلقــا فواللــه لا أسلمهم إليكما، ولا أكاد)

ثم قال: (اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من مسكم غرم، من مسكم غرم، من مسكم غرم، ما أحب أن لي دبــر ذهب وأني آذيت رجلا منكم - والــدبر بلســان الحبشــة الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فواللـه مـا أخـذ الله مني الرشـوة حين رد علي ملكي فآخـذ الرشـوة فيـه، ومـا

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 115).

أطاع الناس في فأطيعهم فيه)

ثم قـالت أم سـلمة معلقـة على نهايـة ذلـك المشـهد: ( فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جـاءا بـه. وأقمنـا عنده بخير دار مع خير جار)

هل تعلم سيدي أن قومي قد اسـتبدلوك بـذلك الـذي جـاء يطلبك والثلة المؤمنين معك.. والذي لم تدمع عيناه في الـوقت الـذي دمعت فيـه كـل تلـك العيـون.. لقـد صـاروا يثنـون عليـه، ويعتبرونه من كبار الصحابة.. أما أنت فقد ألقـوك في سـراديب الغفلة والنسيان.

لقد صاروا يطلقون عليه فاتحا لأنه ذهب إلى مصـر يحمـل سيفه، بينمـا أنت لم تكن تحمـل لنشـر الإسـلام سـوى لسـانك، وتلك القيم النبيلة التي مثلتها أحسن تمثيل..

لقد صار السـيف عنـدهم هـو المعـبر عن الإسـلام، لا تلـك الحجج البليغة التي كنت ترسلها؛ فتدمع العيون لسماعها، وترتج القلوب لهيبتها.

لقد استطعت بحجتك القوية، وتمثيلـك النمـوذجي للإسـلام أن تقنع النجاشي، وكبار أهل دولته بالإسلام، وهـو مـا أتـاح لـك التحرك بحرية لنشره، وإعطاء النموذج الحقيقي للفتح.. لا ذلـك الفتح الـذي راحـوا يسـتبعدون بـه الأحـرار، ويسـتولون على أمـوالهم وأراضـيهم، ويفرضـون عليهم الجزيـة، ويـذلونهم بهـا، ويهينـون الإسـلام أعظم إهانـة، ويحولـوه من دين هدايـة دين جباية، ومن دين سلام إلى دين صراع.

وهكـذا ورد في روايـة أخـرى تفصـيلا لبعض مواقفـك مـع النجاشـي، وفيهـا تقـول أم سـلمة: (أمرنـا رسـول اللـه ﷺ أن

ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشـي، فبلـغ ذلـك قريشـا فبعثـوا عمـرو بن العـاص وعمـارة بن الوليـد، فجمعـوا للنجاشـي هديـة، فقـدمنا وقـدما على النجاشـي فأتيـاه بالهديـة فقبلها وسجدا له، ثم قـال لـه عمـرو بن العـاص: إن أناسـا من أرضنا رغبوا عن ديننا، وهم في أرضك، قـال لهم النجاشـي: في أرضي؟ قالوا: نعم، فبعث إلينـا فقـال لنـا جعفـر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. فانتهينـا إلى النجاشـي وهـو جـالس في مجلسـه وعمـرو بن العـاص عن يمينـه، وعمـارة عن يسـاره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين. وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنـده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل، قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى بعث فينا رسولا، وهو الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام قال: من بعدي اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد اللـه ولا نشـرك بـه شيئا، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانـا عن المنكـر)، فـأعجب النجاشـي قولـه، فلمـا رأى ذلـك عمـرو بن العاص قال: أصـلح اللـه الملـك، إنهم يخالفونـك في ابن مـريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صـاحبكم في ابن مـريم؟ قـال: يقول فيه قول الله عز وجل: هو روح اللـه وكلمتـه، أخرجـه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر ولم يفترضـها ولـد)، فتنـاول النجاشي عودا من الأرض فرفعه فقال: (يـا معشـر القسيسـين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولـون في ابن مـريم مـا يـزن هذه، مرحبا بكم، وبمن جئتم من عنده، وأنـا أشـهد أنـه رسـول الله، وأنه الذي بشر به عيسى عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله، امكثوا في أرضي مـا شـئتم. وأمـر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما)[1]

[1] () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 114).

هذا هو التمثيل الحقيقي للإسلام، والذي كان على الأمة أن تأخذ به، وتجعله أسوة لها، لتكف عن تلك الكبرياء والعزة الآثمة في التعامل مع من أمرنا بالإحسان إليهم، وتأليف قلوبهم، واللين معهم.

ولم تكن تلك المواقف سيدي مواقف كلامية فقط، وإنما كانت مواقف عملية وسلوكية.. فقد أجمع الكل على كرم أخلاقك.. حتى أن رسول الله ﷺ شهد لك بذلك، ففي الحديث عن الإمام علي قال: (زرت النبي ﷺ مع جعفر وزيد بن حارثة ، فقال النبي ﷺ لزيد : ( أنت مولاي ) فبدأ زيد يحجل ويقفز على رجل واحدة حول النبي ﷺ، ثم قال لجعفر : ( أما أنت فتشبهني في خَلقي وخُلقي ) فحجل جعفر كذلك ، ثم قال لي : ( أنت مني وأنا منك ) فحجل خلف جعفر [1] .

وكيف لا تحجل سيدي طربا، ورسول الله ﷺ يثني عليك بكل ذلك الثناء العظيم، الذي لا يمكن تقديره، ولا وصفه؟

وقد شهد لك بتلك الشهادة كل من عرفك، وعرف فضلك، فقد قال أبو نعيم يذكر مكارمك: (الخطيب المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع جعفر بن أبي طالب عليه السلام. فارق الخلق، ورامق الحق) [2]

وكان أبو هريرة يشيد بفضلك عليه، وكثرة إحسانك له، ويعتبرك لذلك أفضل الصحابة، ويقول عنك: (ما احتذى النعال،

---

1() رواه أحمد (رقم 860 )

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 114).

ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب)(1)

ثم ذكر سبب ذلك، فقال: (كنت أستقرئ الرجل الآية - هي معى - كى ينقلب بى فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين - جعفر بن أبى طالب - كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته)(2) ، وقال: (وكنت إذا سألت جعفرا عن آية لم يجبنى حتى يذهب إلى منزله)(3)

ولذلك فرح رسول الله ﷺ بقدومك فرحا شديدا، وقد روي أنه عندما رآك أسرع يضمك إلى صدره، ويقبل ما بين عينيك، ويقول: (لا أدري بأيهما أنا أشد فرحا (أو أسرّ، أو أشد سرورا) بفتح خيبر؟.. أو بقدوم جعفر؟)(4)

لكنك سيدي بعد كل تلك الجهود والتضحيات آثرت الشهادة في سبيل الله، لذلك رحت تقود معركة كنت تعلم أنك ستستشهد فيها، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ من يخلفك في القيادة.

فقد ذكر المؤرخون أنك بعد استشهاد زيد بن حارثة أخذت الراية، كما عهد إليك رسول الله ﷺ بيمينك، فلما أصيبت أخذتها بشمالك، فلما أصيبت أخذتها بعضديك، ولم تزل ممسكاً لها مقبلاً غير مدبر حتى قبضك الله إليه.

1() رواه أحمد 2/413 (9342) والترمذي: 3764.

2() رواه البخاري.

3() رواه الترمذي..

4() السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 199 والسيرة الحلبية ج 3 ص 48 و49 والمقنع للصدوق ص 139.

وذكروا أنهم وجدوا فيما أقبل من جسدك بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية، وذكروا أنك كنت تردد في الوقت الـذي تتلقى فيه تلك الطعنات الشديدة الكثيرة:

يا حبذا الجنة     طيبة وبارد
والروم روم قد     عليّ إن لاقيتها

وقد عوضك الله عن تينك اليدين الطاهرتين جناحين تطـير بهما في الجنة مع الملائكة، كما أخبر عن ذلك رسـول اللـه ﷺ.. فقد حدث ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ جـالس وأسـماء بنت عميس قريبة منـه إذ رد السـلام، ثم قـال: (يـا أسـماء هـذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل وإسرافيل سلموا علينا فردي عليهم السلام، وقد أخبرني أنه لقي المشـركين يـوم كـذا وكذا قبل ممره على رسول الله ﷺ بثلاث أو أربع، فقـال: لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثـا وسـبعين بين رمية وطعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمـنى فقطعت، ثم أخذت بيدي اليسرى فقطعت، فعوضني اللـه من يـدي جنـاحين أطير بهمـا مـع جبريـل وميكائيـل أنـزل من الجنـة حيث شـئت، وآكل من ثمارها مـا شـئت)، فقـالت أسـماء: (هينئـاً لجعفـر مـا رزقه الله من الخـير، ولكن أخـاف أن لا يصـدق النـاس فاصـعد المنبر أخبر به)، فصعد المنبر فحمد الله وأثـنى عليـه، ثم قـال: (يا أيها الناس إن جعفرا مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضـه الله من يديه سلم علي، ثم أخبرهم كيـف كـان أمـره حيث لقي المشركين)، فاستبان للناس بعد اليوم الـذي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أن جعفر لقيهم، فلذلك سمي الطيار في الجنة)[1]

وهكذا ختم الله لـك بالشـهادة بعـد كـل ذلـك العطـاء، ولم

[1] () رواه الحاكم (3/ـ 209 ـ 210 و 212) ورواه الطبراني في الأوسط مختصـراً - كما في مجمع الزوائد (9/ 272)

يتجاوز عمرك حينها بضعا وثلاثين سنة، قضـيتها كلهـا ابتـداء من شبابك الباكر في سبيل الله، وعلى ملة رسول الله.

ونحن إلى الآن لا نزال نتخيلك بتلك الصـورة الـتي وصـفك بهـا رسـول اللـه ﷺ ، وأنت تطـير مـع الملائكـة .. لأنـك عشـت كالملائكة، وكان جزاؤك أن تصير معهم وفيهم ومنهم.

فالسلام عليك وعلى جميع المحيطين بـك من أهـل الـبيت الكرام الذين قدموا كل شيء في سبيل اللـه.. وكـانوا النمـوذج المثالي للمسلم في أخلاقه وبطولتـه وشـجاعته وتضـحيته وكـل القيم النبيلة التي مثلها رسول الله ﷺ أحسن تمثيل.

## إلى الثوار المضطهدين

إلى الثوار من أهل بيت النبوة، الذين ضيعت الأمة وصية رسول الله ﷺ فيهم، فقتلتهم، وشردتهم، وعلقتهم على الصلبان، وراحت تتمسح بأعدائهم، ومحاربيهم، تثني عليهم، وتتعبد الله بتقديسهم.

إلى أولئك الأبطال الشجان الذين سُجنوا وقتلوا وصلبوا، ووضعت رؤوسهم على الرماح، وحرّقت أجسادهم، وهم يطالبون بالعدالة، ويواجهون الملك العضوض والفئة الباغية، وكل أنواع التحريف والتبديل.

يا زيد بن علي.. ويا يحي بن زيد.. ويا صاحب النفس الزكية.. ويا إبراهيم.. ويا إدريس.. يا من سجلت أخباركم الدواوين، وأنتم تقفون بكل قوة في وجه أعظم موجة استبداد وتحريف عرفها التاريخ.

تحية لكم، ولبطولاتكم، وثوراتكم، ولكل الشهداء الذين سقطوا بين أيديكم، وهم يؤدون الرسالة، وينوبون عن الأمة في حمل الراية، ليبقى نور الله مشعا، لا تطفئه أيدي البشر.

فبدمائكم الزكية، وتضحياتكم العظيمة بقي الإسلام، ولم يستطع أصحاب الملك العضوض، ولا الفئة الباغية إطفاء نوره.. لأن أجسادكم التي علقت على الصلبان، لا تزال منارات نهتدي بها إلى التفريق بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أصحاب دين الله، وأصحاب دين البشر.

فأنتم لم تمارسوا ذلك الجهاد المزيف الذي راح يروع الآمنين، ويسبي النساء والأطفال، ويسلب الأموال، وينتهب

الثروات، ويمارس كل أنواع اللصوصية، ليقـدمها جميعـا عربونـا لأصحاب الملك العضوض، باسم الفتح ونشر الإسلام.

وإنما رحتم إلى مركز الشر نفسـه، تحاربونـه، وتواجهونـه بكل أنواع المواجهة، وتقدمون دماءكم رخيصة في سبيل ذلك..

ولم تذهب دماؤكم هدرا أيها الأبطال الشرفاء ـ كمـا يـذكر أعداؤكم ـ فلا زلنا إلى عصرنا هذا نتزود منها كل أنواع البطولـة والشجاعة والتضحية والإخلاص.

نعم.. جمـاهير النـاس، وتحت ضـغط أصـحاب الملـك العضـوض، وسـدنتهم من الـذين بـاعوا دينهم بـدنيا غـيرهم، نسـوكم، وغفلـوا عنكم، وشـوهوا ثـوراتكم، واعتـبروكم من الخوارج، وراحوا إلى أعدائكم يلمعونهم، ويترضون عنهم..

ولكن هيهـات، فلا يمكن للشـيطان أن يتحـول ملاكـا، ولـو تليت فيـه كـل قصـائد المـديح.. ولا يمكن للملاك أن يتحـول شيطانا، ولو كتبت فيـه كـل قصـائد الهجـاء، ورمي بكـل ألفـاظ البذاءة.

وهكـذا أنتم.. فـأنتم أنـوار صـرفة.. ووجـودات مقدسـة.. ومرائي للحقيقة لا يمكن تدنيسها.. فأنتم الـذين حفظتم رسـالة رسول الله ﷺ، ووصاياه في الوقت الذي ضيعها غيركم.

لقد كانت حركاتكم كلهـا تطبيقـا لتلـك التعليمـات النبويـة، التي حاول سدنة الطواغيت أن يتكتمـوا عليهـا، وأن يسـتبدلوها بالدعوة للركـون للسـلطان والخضـوع لـه، وتحريـف الـدين من أجله.

لقد كانت حركاتكم تنفيذا لما ورد في الحديث عنـه ﷺ أنـه

قال: (خذوا العطاء ما دام عطاء، فـإذا صـار رشـوة على الـدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقـر والحاجـة، ألا إن رحى بني مـرح قـد دارت، وقـد قتـل بنـو مـرح، ألا إن رحى الإسـلام دائرة، فدوروا مـع الكتـاب حيث دار، ألا إن الكتـاب والسـلطان سيفترقان فلا تفـارقوا الكتـاب، ألا إنـه سـيكون أمـراء يقضـون لكم، فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم) قـال: يـا رسول الله، فكيف نصنع؟ قال: (كما صـنع أصـحاب عيسـى ابن مريم، نشروا بالمناشير وحملوا على الخشـب مـوت في طاعـة خير من حياة في معصية الله عز وجل)(1)

ثم ذكـر ﷺ مـا حصـل للأمم الأخـرى، فقـال: (وإن أول مـا نقص من بـني إسـرائيل كـانوا يـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر شبه التعذير إذا لقي أحدهم صاحبه الذي كان يعيب آكله وشاربه كأنه لم يغب عليـه شـيئا، فلعنهم اللـه على لسـان داود وعيسـى ابن مـريم، ﴿ ذَٰلِـكَ بِمَـا عَصَـواْ وَّكَـانُواْ يَعْتَـدُونَ﴾ [سـورة البقـرة:61]،ـ والـذي نفس محمـد بيـده، لتـأمرن بـالمعروف ولتنهـون عن المنكـر، ولتأخـذن على يـد الظـالم، فتأطروه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض)

وفي حـديث آخـر عن كعب بن عجـرة، قـال: خـرج علينـا رسول الله ﷺ، ونحن على وسـادة، فقـال: يـا كعب بن عجـرة، أعيذك بالله من إمارة السفهاء، قلت: يا رسول الله، وما إمـارة السـفهاء؟ قـال: (أمـراء يكـون بعـدي، فمن صـدقهم بكـذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولسـت منـه، ولن يـرد على الحـوض يـا كعب بن عجـرة: الصـلاة نـور، والصـدقة برهـان، والصوم جنة، والناس غاديان: فغاد مبتاع نفسه، فمعتـق رقبتـه،

---

(1) المعجم الصغير للطبراني 2/42 ح(749)، مسند الشاميين للطبراني 1/379 ح(658)

وغاد بائع نفسه، فموثق رقبته) (1)

وقال: (لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله عليه فيه مقالا، ثم لا يقوله، فيقول الله: ما منعك أن تقول فيه، فيقول: ربي خشيت الناس، فيقول: وأنا أحق أن تخشى) (2)

وروي أن رجلا سأل رسول الله ﷺ، وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ فقال: (كلمة حق عند سلطان جائر) (3)

هذه وصية رسول الله ﷺ للأمة، وكيفية تعاملها مع أصحاب الملك العضوض من الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم.. فكل من استبد وحوّل الحكم الإسلامي إلى كسروية وقيصرية تجب مواجهته بكل صنوف المواجهة، كما فعلتم.

وكما فعل جدكم الإمام الذي لم تكن حروبه علي للناكثين والقاسطين والمارقين إلا تلبية لتلك الدعوات النبوية التي تحذر من استيلاء الفئة الباغية على أمر الأمة، وتحريف الدين لينسجم مع أهواء أصحاب الملك العضوض.

أيها الثوار الأبطال.. لقد كانت تلك الأحاديث هي المحرك لقيامكم وثوراتكم.. فقد علمتم أنكم أولى الناس بتطبيق وصية جدكم رسول الله ﷺ.. لتكونوا مثالا بين يدي الأمة، يحتذون

---

1() ترتيب الأمالي الخميسية للشجري 2/363 ح(2762)

2() ابن ماجه (4008)، وعبد بن حميد في المنتخب (971) ، والبيهقي في السنن 10/90-91، وأبو نعيم في الحلية 4/384.

3() ابن أبي شيبة 13/50، والطبراني في الكبير (8205) الطيالسي (1280)، وأورده الهيثمي في المجمع 9/407-408 وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح.

بكم، ويهتدون بهديكم.

لقد كان في إمكانكم أن تمتلكوا القصـور والضـيعات، وأن تعيشـوا بكـل ألـوان الرفـاه، لكنكم أبيتم أن تأخـذوا الرشـوة، ورضيتم أن تعلقوا على الصلبان، وأن تحرقوا فتذروكم الرياح.

لقد حدث الرواة أن جدكم الإمام علي خـرج يومـا محزونـا يتنفّس، فقال: (كيف أنتم وزمان قد أظلّكم؟ تعطّل فيه الحدود، ويتّخذ المال فيه دولا، ويعـادى أوليـاء اللّـه، ويـوالى فيـه أعـداء اللّه؟)

وعنـدما سـألوه عن التكليـف الشـرعي في ذلـك الـوقت، قال: (كونوا كأصحاب عيسـى عليـه السّـلام نشـروا بالمناشـير، وصلبوا على الخشب، موت في طاعة اللـه عـزّ وجـلّ خـير من حياة في معصية اللّه) [1]

هذه وصية جدكم لكم.. وللأمة جميعا.. وقد نفـذتموها بكـل دقة.. وأعطيتم لنا أحسن النماذج عن الجهاد في سبيل الله.

ولذلك كان شعاركم في خـروجكم هـو نفس شـعار الإمـام الحسين عندما شرح سبب خروجـه على الطغـاة، وعـدم رضـاه ببيعتهم؛ فقال: (إنّي ما خـرجت أشـراً ولا بطـراً ولا مفسـداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاِصلاح في أُمّة جـدي، وشـيعة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بـالحقّ، ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين)[2]

1() دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص 113 - 114.

2() بحار الأنوار: 44 / 329..

## زيد الشهيد:

يا زيد بن علي بن الحسين.. يا حفيد الشهداء من آل بيت النبوة.. هلا أذنت لمحبك أن يحدثك، فما أجمل الحديث عنكم ومعكم.. فأنتم أزهار الأرض وعطورها.. وأنتم أنوار السماء ونجومها..

أنت سيدي ذلك البطل الذي أشار إليه رسول الله ﷺ، وأخبر عما سيحصل له، مثلما أخبر عما سيحصل للإمام الحسين، ولغيركما من آل بيت النبوة؛ فقد ورد في الرواية أنه ﷺ قال مخاطباً ريحانته الحسين: (ياحسين، يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنّة بغير حساب) (1)

وقال، وهو يشير إلى جدك الحسين، يصف ما سيحصل لك، وبكل دقة: (إنّه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، ويقتل بالكوفة، ويُصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السموات)(2)

وقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ نظر إلى زيد بن حارثة، فقال: (المقتول في اللّه، والمصلوب في أُمتي، المظلوم من أهل بيتي سميّ هذا ـ وأشار بيده إلى زيد بن حارثة ــ ثم قال له: أُدن مني يا زيد زادك اسمك عندي حباً، فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي) (3)

---

1() عيون أخبار الرضا، ص 250 و251

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

وهكذا أخـبر الإمـام علي عنـك، وبشـر بـك، وباستشـهادك الذي لا يزال منـارة للثـائرين، فعنـدماوقف على موضـع صـلبك بالكوفة، بكى وأبكى أصحابه فقالوا له: ما الذي أبكـاك؟ فقـال: (إنّ رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع) (1)

وهكذا كنت مثل الإمام الحسين تماما تدرك المصـير الـذي ستصير إليه، والشرف العظيم الذي توجت به من قبل أن تولد، وقد ورد في الرواية أن والدك الإمام زين العابدين بشروه بـــك، وهو في مصلاه بعد الفجر، ففتح المصحف ليبحث لك عن اسم، فلمـا فتحـه وجـد فيـه قولـه تعـالى:  فَضَّـلَ اللـه الْمُجَاهِـدِينَ بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ عَلَى الْقَاعِـدِينَ دَرَجَـةً [النسـاء: 95]، ثم فتحـه مـرة أخـرى، فوجـد قولـه تعـالى: إِنَّ اللـه اشْـتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْـوَالَهُم بِـأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللــه فَيَقْتُلُـونَ وَيُقْتَلُـونَ وَعْـدًا عَلَيْـهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيــلِ وَالْقُــرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْـدِهِ مِنَ اللــه فَاسْتَبْشِـرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم [سورة التوبـة:111]، عنـدها عرف الاسم الذي تسـتحقه، فقـال: (هـو واللـه زيـد، هـو واللـه زيد)، فسموك زيداً، ثم قال: (عزّيت عن هذا المولود، وإنّه لمن الشهداء)(2)

لقد كان الجميع يدركون من تكـون، ولـذلك كـانوا يقـدرون دورك الــذي كتب لــك أن تؤديــه في الأمــة، مثلمــا كتب لآبائـك وأجدادك.. فـأنتم لم تعيشـوا لأنفسـكم، وإنمـا عشـتم لتصـيروا رموزا للحق، ومنارات للهدى..

ولـــذلك يخطئ من يتصـــور أنكم متم.. ثم ذهبتم.. وذهبت

(1) ابن طاووس: الملاحم: الباب 31.

(2) ابن إدريس : السرائر : 3 / 638.

الأيام بأخباركم.. فذلك مستحيل، لأنكم أنتم الأنوار التي وعد الله ألا تطفأ، فقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون﴾ [سورة الصف:8]

وقد قالت عمتك زينب للطاغية يزيد: (فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود)[1]

ولذلك فإن نهجك سيدي لا زال قائما، وكلماتك لا تزال حية، وتلاميذك وأبناؤك لا يزالون يقاومون الطغيان.. ولا يزالون يرفعون رايات المواجهة الكبرى مع جميع الشياطين والظلمة والمستبدين.

فأنت سيدي لم تمت.. ولن تموت أبدا.. وحتى لو علقوك على الصليب.. فإن ذلك الصليب هو المنارة التي تشرق منها شموس الحقائق، ليفطن الغافلون، ويتوب المخدوعون.

لا زالت كلماتك سيدي ترن في آذاننا مثل كلمات آبائك وأجدادك.. تدعونا لركوب سفينة النجاة التي من تكبر على ركوبها غرق، ومن ركبها نجا..

لا زال قولك، وأنت تذكر أسباب خروجك على الطغاة يرن في آذاننا، ليملأنا بالهمة العالية.. لقد كنت تقول لمن سألك عن ذلك: (إنّما خرجت على الذين أغاروا على المدينة يوم الحرة،

---

[1] بحار الأنوار (45/ 135)

ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار) (1)،وكنت تقـول: (إنّمـا خرجت على الذين قاتلوا جدي الحسين) (2)

هذا هو سـر خروجـك.. إنـه الثـورة على الظلم والاسـتبداد والملك العضوض، وأولئك الـذين حرفـوا الـدين، وملأوه تشـويها وظلما واستبدادا.

ولـذلك لم تكن تبـالي بكـل تلـك الجيـوش، ولا كـل تلـك الأسلحة، ولا كل أولئك الخونة، لأنك كنت تنتظر لحظـة عرسـك حين تعلق على الصـليب، وتختلـط دمـاؤك بـدم آبائـك الحسـين وعلي وكل الشهداء..

بـل كـان طموحـك وهمتـك أعلى من أن يكفي الصـليب لتحقيقها.. لقد حدث عبد الله بن مسـلم بن بابـك عنـك، فقـال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة فلما كان نصف الليل واسـتوت الثريا فقال: يا بابكي ما ترى هذه الثريا؟ أتـرى أنّ أحـداً ينالهـا؟ قلت: لا، قـال: (واللـه لـوددت أنّ يـدي ملصـقة بهـا فـأقع إلى الأرض، أو حيث أقع، فأتقطع قطعة قطعـة وأن اللـه أصـلح بين أُمّة محمّد ﷺ) (3)

هذه همتك العالية ــ سـيدي ــ فـأنت كآبائـك وأجـدادك، لم يكن لـك من مقصـد سـوى الإصـلاح في أمـة جـدك ﷺ.. فـأنتم جميعا مثال الزهد والورع والتقوى، لا تطلبـون مـالا، ولا تحنـون لما يحن إليه أولئك الغارقون في مستنقعات الدنيا.

---

1() ابن إدريس: السرائر: 3

2() مقاتل الطالبيين: 98

3() البغدادي: الفرق بين الفرق: 35 ـ 36.

لقــد كنت تخــاطب أصــحابك، والألم يعتصــر قلبــك على المصير الذي صـارت إليـه الأمـة حينمـا فـارق سـلطانها كتابهـا، وحينمـا تـولى البغـاة أمرهـا، فقلت: (واللــه إنّي لأسـتحيي من رسول الله ﷺ إذا لقيته ولم آمر أُمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر والله ما أُبالي إذا أقمت كتاب الله وسنّة رسول اللــه إن أُجّجت لي نار وقذفتُ فيها ثم صرت بعـد ذلـك إلى رحمـة اللـه عزّ وجلّ، والله لا ينصرني أحـد إلاّ كـان في الرفيـق الأعلى مـع محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات اللــه عليهم ـ ويحكم أمـا تـرون هـذا القـرآن بين أظهـركم جـاء بـه محمّـد ﷺ ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء وأهل الحجى أنا حجــة اللــه عليكم هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله ونعمـل بكتابـه...) (1)

ولم تكن تبالي سيدي بذلك الإعراض الذي تواجه به.. لأنك كنت تعلم أن كلماتك لم تكن موجهة لذلك الجيل فقط، بـل هي موجهة لكل الأجيال، لأنها الكلمـات الـتي حفظت الـدين من أن يصبح أفيونا للشعوب، أو لعبة بأيدي الطغاة.

لقد كنت تسير في الشـوارع، وتجمـع النـاس، على الـرغم من المخاطر الشديدة التي كانت تعترضــك، وكنت تخطب فيهم بكـل أصـناف الحجج قـائلا: (أُذكـركم أيّــها السـامعون لـدعوتنا، المتفهّمـون لمقالتنـا، باللّـه العظيم الـذي لم يـذكر المـذكورون بمثلــه، إذا ذكــروه وجلت قلــوبكم واقشــعرَّت لــذلك جلــودكم، ألستم تعلمون أنّا ولد نبيكم المظلومون المقهــورون، فلا ســهمُ وُفينا، ولا تراث أُعطينا، وما زالت بيوتـاً تهـدم، وحرمتنـا تنتهـك، وقائلنا يعرف، يولد مولودنـا في الخـوف، وينشـأ ناشـئنا بـالقهر

(1) أخطب خوارزم: مقتل الحسين: 2 / 108..

ويموت ميّتنا بالذل؟)(1)

وكنت سيدي تفصح لهم عن أغراضك من دعوتك، وأنــك لا تريد أي مكاسب.. لا أنت.. ولا أخـوك الإمـام البـاقر.. ولا أبـوك الإمـام السـجاد.. ولا غـيرهم.. فكلهم كـانوا أمثلـة حيـة للزهـد والعفـاف.. فقـد كـان مطلـوبكم جميعـا واحـدا، وهـو الإصـلاح، ومواجهة الطغيان.

لقد كنت تقول لهم، وأنت تتألم لذلك السكون للمستبدين: (ويحكم إنّ الله قد فرض عليكم جهاد أهل البغي والعــدوان من أُمتكم على بغيهم، وفرض نصرة أوليائه الـداعين إلى اللـه وإلى كتابه قـال: ﴿وَلَيَنصُـرَنَّ اللـه مَن يَنصُـرُهُ إِنَّ اللـه لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ﴾ [سورة الحج:40])(2)

وكنت تصــف لهم مــا يغضــون أبصــارهم عنهم من أنــواع الفساد، فتقول بحرقة وألم: (ويحكم إنّا قـوم غَضِـبْنا للّـه ربّنـا، ونقمنا الجور المعمـول بـه في أهـل ملتنـا، ووضـعنا من تـوارث الاِمامة والخلافـة، وحكم بـالهوى ونقض العهـد، وصلّــى الصـلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها ودفعهـا إلى غـير أهلهـا، ونسك المناسك بغير هـديها، وأزال الأفيـاء والأخمـاس والغنـائم ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطّـل الحـدود وأخـذ منــه الجزيــل، وحكم بالرشــا والشــفاعات والمنــازل، وقــرب الفاسـقين ومثـل بالصـالحين، واسـتعمل الخيانـة وخـوّن أهـل الأمانة، وسلّط المجـوس وجهـز الجيـوش، وخلـد في المحـابس وجلد المـبين وقتـل الوالـد، وأمـر بـالمنكر ونهى عن المعـروف

(1) فرات بن إبراهيم الكوفي: التفسير: 136 ـ 137.

(2) المرجع السابق.

بغير مأخوذ من كتاب الله وسنّة نبيه)[1]

وكنت تقول لهم بعد أن اجتمع لـديك الأنصـار الـذين أبـدوا قناعتهم بدعوتك، واستجابوا لطلبك: (الحمد للّه الذي منّ علينـا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعيـة، وقـد أفلح من جعـل الخـير شـعاره، والحـقّ دثـاره.. فمن سـمع دعوتنـا هـذه الجامعة غير المفرِّقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلى سـبيلنا وجاهـد بنفسـه نفسـه ومن يليـه من أهـل الباطـل، ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينـا، ومن ردّ علينـا دعوتنـا وأبى إجابتنا واختـار الـدنيا الزائلـة الآفلـة، على الآخـرة الباقيـة، فاللّه من أُولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم)[2]

ثم بينت لهم المنهج المحمــدي الأصــيل في التعامــل مــع المخــالفين، فــرحت تــذكرهم بالإمــام علي، وتقــول: (إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خــير ممّا طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن طالب بالبصـرة والشـام: لا تتبعـوا مُـدبِراً ولا تُجهِزوا على جريح ولا تفتحـوا بابـاً مغلقـاً، واللـه على مـا أقـول وكيل..)

وكنت تحضهم على البصيرة، وقتال الظـالمين على المنهج القرآني لا على منهج الطغـاة، وقلت لهم: (عبـاد اللـه لا تقـاتلوا على الشك فتضلّوا عن سـبيل اللّـه، ولكن البصـيرة ثم القتـال، فإنّ الله يجـازي عن اليقين أفضـل جـزاء يجـزي بـه على حـقّ. عباد اللّه: البصيرة)

---

[1] المرجع السابق.

[2] حميد المحلي: الحدائق الوردية: 141، الطبعة الثانية ـ 1405 هـ.

حينها قال لك أبو الجارود: (يا ابن رسول اللّه، يبذل الرجل نفسه عن غير بصيرة؟)

فقلت: (نعم إنّ أكــثر من تــرى عشــقت نفوســهم الــدنيا فالطمع أرداهم إلاّ القليل الذين لا تخطر الدنيا على قلوبهم، ولا لها يسعون فأُولئك مني وأنا منهم)(1)

وهكذا كنت تـدعو إلى تلـك القيم النبيلـة الـتي دعـا إليهـا القــرآن الكــريم، ومثلهــا رســول اللــه ﷺ وورثتــه من أهــل بيت النبوة.. فلذلك لم تستعمل مـا يسـتعمله أعـداؤك من الوسـائل المحرمة، والأساليب الشيطانية.

سـيدي لا تـزال كلماتـك نبراسـا نهتـدي بـه.. وهي كلمـات جميلة لا يمكن لمن يبحث عن دين الله أن يستغني عنها، أو عن سماعها.. لذلك ائذن لي أن أقرأ على قومي بعض ما ذكرته في رسـالتك إلى علمـاء الأمّـة قبـل خروجك(2)، فـأنت لم ترسـلها لعلماء ذلك الزمان فقط، وإنما أرسلتها لعلماء كل الأزمنة.

لقد بدأت رسالتك سيدي بتحذيرهم من الدنيا، فحب الــدنيا والتعلق بها، وبيع الدين بسببها رأس كل خطيئة، لقــد قلت لهم: (إنّي أُوصــيكم معشــر العلمــاء بحظّكم من اللــه في تقــواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس من الثمن، والحقـير من البـدل، واليسير من العِـوَض، فـإنّ كـلّ شـيء آثرتمـوه وعملتم لـه من الدنيا ليس بخَلَف ممّا زيّن الله به العلماء من عبـاده الحـافظين لرعاية ما اسـترعاهم واسـتحفظهم من أمـره ونهيـه، ذلـك بـأنّ

(1) المرجع السابق.

(2) هذه الرسالة قام بتحقيقها وتصحيحها محمد يحـيى سـالم عـزان عن أربـع نسـخ، نوّه بخصوصيتها في مقدمتها ونشرها دار التراث اليمني صنعاء عام 1412 هـ، وقـد نقلت بعضها من كتاب: بحوث في الملل والنحل، للسبحاني، 7/81.

العاقبـة للمتقين، والحسـرة والندامـة والويـل الـدائم للجـائرين الفاجرين) (1)

ثم رحت تـذكرهم بعلمـاء الأمم السـابقة، وأخـذ العـبر من تقصيرهم في حق اللـه، وحـق رسـله، فحـرفت لـذلك أديـانهم، وضــل النــاس بســببهم عن ســواء الســبيل.. لقــد قلت لهم: (فتفكّروا عباد اللـه واعتـبروا، وانظـروا وتـدبّروا وازدجـروا بمـا وعظ الله به هذه الأمّة من سوء ثنائه على الأحبـار والرهبـان إذ يقول: ﴿لَوْلاَ يَنْهَـاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَـارُ عَن قَـوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْـنَعُون﴾ [سـورة المائـدة:63]، وإنّمـا عاب ذلك عليهم بأنّهم كانوا يشاهدون الظلمـة الـذين كـانوا بين ظهرانيهم يـأمرون بـالمنكر، ويعملـون الفسـاد فلا ينهـونهم عن ذلك، ويرون حقّ الله مضيعاً، ومال الله دُولة يوَكل بينهم ظلمــاً ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلـك رغبـة فيمـا عنـدهم من العَرَض الآفـل، والمـنزل الزائـل، ومداهنـة منهم على أنفسـهم، وقد قال الله عزّ وجلّ لكم: ﴿ يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ إِنَّ كَثِـيرًا مِّنَ الأَحْبارِ وَالرُّهْبَـانِ لَيَـأْكُلُونَ أَمْـوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِـلِ وَيَصُـدُّونَ عَن سَـبِيلِ اللّـهِ وَالَّذِينَ يَكْنِـزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَـا فِي سَـبِيلِ اللّـهِ فَبَشِّـرْهُم بِعَـذَابٍ أَلِيم﴾ [سـورة التوبـة:34] كيمـا تحذروا)(2)

ثم رحت تذكرهم بأن ذلك ليس خاصا بالأمم السـابقة، بـل إن من علماء هذه الأمة من يقوم بتحريـف دينهـا، ليتناسـب مـع الطغاة والظلمة، ولـذلك لا حرمـة لأمثـال هـؤلاء العلمـاء.. لقـد قلت لهم: (وإذا رأيتم العــالم بهــذه الحالــة والمنزلــة فــأنزلوه

(1) المرجع السابق، 7/82.

(2) المرجع السابق، 7/82.

منزلــة من عــاث في أمــوال النــاس بالمصــانعة، والمداهنــة، والمضارعة لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلـوه. رغبـة فيمـا كـانوا ينـالون من السـحت بالسـكوت عنهم، وكـان صـدودهم عن سـبيل اللـه بالاِتبـاع لهم، والاغـترار بإدهانهم ومقـارنتهم الجـائرين الظـالمين المفسـدين في البلاد. ذلك بأنّ أتبـاع العلمـاء يختـارون لأنفسـهم مـا اختـار علمـاوَهم. فحذروا علماء السوء الـذين سـلكوا سـبيل من ذَمّ اللـه وبـاعوا طاعة الله الجائرين) (1)

ثم رحت تذكرهم بما في القـرآن الكـريم من الحـديث عن بني إسـرائيل، وأنـه ليس خاصـا ببـني إسـرائيل، فقـرأت عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَـا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَـادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَـارُ بِمَـا اسْـتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة:44].

ثم علقت عليهـا بقولـك: (فعـاب علمـاء التـوراة والاِنجيـل بتركهم ما استحفظهم من كتابـه، وجَعَلَهم عليـه شـهداء خشـية الناس، ومواتاة للظالمين، ورضاً منهم بأعمـال المفسـدين. فلم يوَثروا الله بالخشية فسخط الله عليهم لمّا اشـتروا بآياتـه ثمنـاً قليلاً، ومتاعاً من الدنيا زائلاً. والقليل عند الله الدنيا وما فيها من غضـارتها وعيشـتها ونعيمهـا وبهجتهـا، ذلـك بـأنّ اللـه هـو علاّم الغيوب، قد علم بأنّ ركوب معصيته، وتـرك طاعتـه، والمداهنـة للظلمة في أمره ونهيه، إنّما يلحق بالعلماء للرهبة والرغبــة من عند غير اللّه، لأنّهم علماء باللّه، وبكتابه وبسنّة نبيّه ﷺ)(2)

(1) المرجع السابق، 7/83.

ثم رحت تبين لهم أن ضريبة الأمــر بــالمعروف والنهي عن المنكـــر هي التضـــحية بـــالنفس في ســـبيل اللـــه، فقلت لهم: (ولعمري لو لم يكن نال علمـاء الأزمنـة من ظلمتهـا، وأكابرهـا، ومفســديها، شــدة وغلظــة وعــداوة، مــا وصّــاهم اللــه تعــالى وحذّرهم. ذلك أنّهم ما ينالون ما عنـد اللـه بالهوينـا ولا يخلـدون في جنّته بالشهوات، فكره الله تعالى للعلمـاء ــ المسـتحفظين كتبه وسنّته وأحكامه ـ ترك ما استحفظهم، رغبـة في ثـواب من دونه، ورهبة عقوبة غيره) (1)

ثم رحت تــبين لهم أن المزيــة الــتي مــيز بهــا العلمــاء عن سائر الناس ليس كثرة حفظهم، ولا وفرة علمهم، وإنما نضالهم عن الحق، وثورتهم على الباطـل.. لقـد قلت لهم: (لقـد مـيزكم اللــه تعــالى حــقّ تمــيز، ووســمكم ســمة لا تخفى على ذي لب، وذلــك حين قــال لكم: ﴿وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّـهُ إِنَّ اللّـهَ عَزِيــزٌ حَكِيم﴾ [ســورة التوبــة:71]،ـ فبــدأ بفضــيلة الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكــر، ثم بفضــيلة الآمــرين بــالمعروف والناهين عن المنكر عنده، وبمنزلـة القـائمين بـذلك من عبـاده، ولعمــري لقــد اســتفتح الآيــة في نعت المؤمــنين بفريضــة الأمــر بــالمعروف والنهي عن المنكــر. فــاعتبروا عبــاد اللــه وانتفعــوا بالموعظة) (2)

ثم رحت تــذكر لهم أن اللــه تعــالى نعت المخــالفين لهــذا

---

(2) المرجع السابق، 7/83.

(1) المرجع السابق، 7/84.

(2) المرجع السابق، 7/84.

بالنفــاق، فقــال: الْمُنَـافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ بَعْضُـهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْـرُوفِ وَيَقْبِضُـونَ أَيْـدِيَهُمْ نَسُـواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُون [سورة التوبة:67].

وعلقت عليها بقولك: (فلعمري لقد استفتح الآية في ذمّهم بـأمرهم بـالمنكر ونهيهم عن المعـروف فـاعتبروا عبـاد اللـه وانتفعوا، واعلموا أنّ فريضـة اللـه تعـالى في الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر إذا أُقيمت لـه اسـتقامت الفـرائض بأسـرها هَيّنُها وشديدها) (1)

ثم بينت لهم حقيقـة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر وأنها ليست قاصرة على تلك الحسبة الـتي تقـوم بهـا الشـرطة الدينيـة في الشـوارع والأسـواق، وإنمـا هي أشـمل من ذلـك بكثير.. فهو يشمل (الدعاء إلى الإِسلام، والإِخـراج من الظلمـة، ورد الظـالم، وقسـمة الفيء والغنـائم على منازلهـا، وأخـذ الصدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإِحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر) (2)

ثم رحت تدعوهم إلى التعاون والاجتماع على ذلـك، وتقـرأ عليهم قوله تعالى.. يقول الله تعالى لكم:  وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْـبرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَـاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ شَدِيدُ الْعِقَاب [سورة المائدة:2]، وتقول لهم بعدها: (فقد ثبت فرض الله تعـالى فـاذكروا عهـد اللـه الـذي عاهـدتموه وميثاقـه الذي واثقكم بـه  إِذْ قُلْتُمْ سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَـا وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور [سورة المائدة:7].

---

1() المرجع السابق، 7/84.

2() المرجع السابق، 7/85.

ثم رحت تبين لهم دور العلماء في إصلاح أمر الأمة، وقلت لهم: (عباد الله إنّما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسـد بهم إذا باعوا أمـر اللـه تعـالى ونهيـه بمعاونـة الظـالمين، الجـائرين، فكـذلك الجهّـال والسـفهاء إذا كـانت الأمـور في أيـديهم، لم يستطيعوا إلاّ بالجهل والسفه إقامتها فحينئـذ تصـرخ المـواريث، وتضج الأحكام، ويفتضـح المسـلمون وأنتم أيّهـا العلمـاء عصـابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسـوبة، وبدراسـة القـرآن معروفـة، ولكم في أعين النـاس مهابـة، وفي المـدائن والأسـواق مكرمـة، يهـابكم الشـريف، ويكـرمكم الضـعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه. يُبدَأ بكم عند الدُعوَة، والتُحَفَـة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات، إذا امتنعت على الطالبين. وآثاركم متبعـة، وطـرقكم تسـلك كـل ذلـك لمـا يرجوه عنـدكم من هـو دونكم من النجـاة في عرفـان حـقّ اللـه تعالى) (3)

ثم رحت تذكرهم بما تتطلبه تلك المكانـة الـتي أتيحت لهم من دون الناس، وقلت لهم: (فلاتكونوا عند إيثار حقّ الله تعـالى غافلين، ولأمره مضـيّعين، فتكونـوا كالأطبـاء الـذين أخـذوا ثمن الدواء وأعطبـوا المرضـى. وكرعـاة اسـتوفوا الأجـر وضـلّوا عن المرعى. وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علمـاء السوء. لا مالاً تبذلونه للّـه تعـالى، ولانفوسـاً تخـاطرون بهـا في جنب اللـه تعـالى، ولاداراً عطلتموهـا، ولازوجـة فارقتموهـا، ولاعشـيرة عاديتموهـا. فلاتتمنـوا مـا عنـد اللـه تعـالى وقـد خـالفتموه. فـترون أنّكم تسـعون في النـور، وتتلقـاكم الملائكـة بالبشارة من الله عزّ وجـلّ؟ كيـف تطمعـون في السـلامة يـوم الطامـة؟! وقـد أخـرجتم الأمانـة، وفـارقتم العلم، وأدهنتم في

---

(3) المرجع السابق، 7/85.

الـدين. وقـد رأيتم عهـد اللـه منقوضـاً، ودينـه مبغوضـاً، وأنتم لاتفزعون ومن الله لاترهبون. فلو صـبرتم على الأذى، وتحمّلتم الموَنـة في جنب اللـه لكـانت أُمـور اللـه صـادرة عنكم، وواردة إليكم) (1)

ثم رحت تخاطبهم بألا يسلموا قيادهم للظلمة بسـبب حب الدنيا والحرص عليها، فقلت: (عباد الله لاتمكّنـوا الظـالمين من قِيَادِكم بالطمع فيمـا بأيـديهم من حطـام الـدنيا الزائـل، وتراثهـا الآفل، فتخسروا حظّكم من الله عزّ وجلّ. عباد اللـه اسـتقدموا إلى المـوت بالوثيقـة في الـدين، والاعتصـام بالكتـاب المـتين، ولاتعجبوا بالحياة الفانية فما عند الله هو خـير لكم، وإنّ الآخـرة هي دار القرار. عباد الله اندبوا الاِيمان ونوحوا على القرآن، فـو الذي نفس (زيد بن علي) بيده لن تنالوا خيراً لا ينالـه أهـل بيت نبيّكم 6، ولا أصبتم فضلاً إلاّ أصابوه فأصبتم فضله) (2)

ثم رحت تخـاطب علمـاء السـوء بكـل قـوة، تـذكرهم بجرائمهم في حـق الأمـة وحـق نبيهـا ودينهـا.. وقلت لهم: (فيـا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنّها لناهية لكم عنهـا، ومحـذرة لكم منها، نصحت لكم الدنيا بتصرفها فاستغششتموها، وتَفَتحت لكم الدنيا فاستحسـنتموها، وصـدقتكم عن نفسـها فكـذبتموها.. فيا علماء السوء هذا مهـادكم الـذي مهـدتموه للظـالمين، وهـذا أمـانكم الـذي أتمنتمـوه للخـائنين، وهـذه شـهادتكم للمبطلين. فأنتم معهم في النار غداً خالدون، ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُـونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُون﴾ [سـورة غـافر:75]، فلـو كنتم سـلّمتم إلى أهـل الحـقّ حقهم، وأقـررتم لأهـل الفضـل

(1) المرجع السابق، 7/85.

(2) المرجع السابق، 7/85.

بفضلهم لكنتم أوليـاء اللّـه، ولكنتم من العلمـاء بـه حقـاً، الـذين امتدحهم الله عزّ وجلّ في كتابه بالخشـية منهم، فلا أنتم علمتم الجاهـل، ولا أنتم أرشـدتم الضـال، ولا أنتم في خلاص الضـعفاء تعملون، ولابشرط الله عليكم تقومون، ولا في فكـاك رقـابكم.. يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكّروا في أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.. يا علماء السوء إنّما أمنتم عند الجبارين بالاِدهان، وفزتم بما في أيديكم بالمقاربـة، وقـربتم منهم بالمصـانعة، قـد أبحتم الـدين، وعطّلتم القـرآن، فعـاد علمكم حجّـة للّـه عليكم، وستعلمون إذا حشرج الصدر، وجاءت الطامة، ونـزلت الداهيـة) (1)

ثم بينت لهم أنهم أعظم مصيبة في الأمـة، وقلت لهم: (يـا علمـاء السـوء أنتم أعظم الخلـق مصـيبة، وأشـدهم عقوبـة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأنّ الله قـد احتج عليكم بمـا اسـتحفظكم إذ جعــل الأمــور تــرد إليكم، وتصــدر عنكم. الأحكــام من قبلكم تلتمس، والسـنن من جهتكم تختـبر. يقـول المتبعـون لكم: أنتم حجّتنا بيننا وبين ربّنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلـة؟ فوالذي نفس (زيـد بن علي) بيـده لـو بيّنتم للنـاس مـا تعلمـون ودعوتموهم إلى الحقّ الذي تعرفون، لتضعضع بنيـان الجبـارين، ولتهدّم أساس الظالمين، ولكنّكم اشتريتم بآيات الله ثمنـاً قليلاً، وأدهنتم في دينه، وفارقتم كتابـه. هـذا مـا أخـذ اللـه عليكم من العهود والمواثيـق، كي تتعـاونوا على الـبر والتقـوى، ولا تعـاونوا على الاِثم والعـدوان، فـأمكنتم الظلمــة من الظلم، وزيّنتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونـة والمقارنـة، فهـذا حـالكم. فيا علماء السوء فمحوتم كتاب الله محواً، وضربتم وجـه الـدين ضرباً، فند والله نديد البعير الشارد، هرباً منكم. فبسوء صنيعكم

---

1() المرجع السابق، 7/86.

سفكت دماء القائمين بدعوة الحقّ من ذريـة النـبي ﷺ، ورفعت روَوسهم فوق الأسنّة، وصُفّدُوا في الحديـد، وخلص إليهم الـذل، واستشـعروا الكـرب وتسـربلوا الأحـزان، يتنفسـون الصـعداء، ويتشاكون الجهد. فهذا ما قدّمتم لأنفسـكم، وهـذا مـا حملتمـوه على ظهوركم، فاللّه المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين)[1]

وبعــد أن اســتعملت كــل مــا ينبههم إلى غيهم وضــلالهم وانحرافهم عن دين الله، رحت تدعوهم إلى إصلاح ما أفسـدوه، ووضعت لهم خطة لذلك، فقلت: (وقـد كتبت إليكم كتابـاً بالـذي أُريد من القيام به فيكم. وهو: العمل بكتـاب اللّـه، وإحيـاء سـنّة رسول اللـه ﷺ فبالكتـاب قـوام الاِيمـان، وبالسـنّة يثبت الـدين. وإنّما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتّبع، يتولّـى فيها وعليها رجال رجالاً صدّوهم عن دين اللّه، وذادوهم عن صـراطه، فـإذا غيّرهـا الموَمن، ونهى عنها المُوَحّد، قال المفسدون: جاءنا هـذا يـدعونا إلى بدعة.. وأيم الله مـا البدعـة إلاّ الـتي أحـدث الجـائرون، ولا الفساد إلاّ الذي حكم به الظـالمون، وقـد دعـوتكم إلى الكتـاب. فأجيبوا داعي اللّـه، وانصـروه، فوالـذي بإذنـه دعـوتكم، وبـأمره نصـحت لكم، مـا ألتمس أثـرة على مـوَمن، ولا ظلمـاً لمعاهـد، ولوددت أنّي قد حميتكم مراتـع الهلكـة، وهـديتكم من الضـلالة، ولو كنت أوقـد نـاراً فأقـذف بنفسـي فيهـا، لا يقربـني ذلـك من سخط اللّه، زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة منّي في نجاتكم، وخلاصكم. فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السـعداء والموفـورين حظاً ونصـيباً.. عبـاد اللـه انصـحوا داعي الحـقّ وانصـروه إذ قـد دعاكم لما يحييكم. ذلك بأنّ الكتاب يدعو إلى اللّه، وإلى العــدل

[1] المرجع السابق، 7/86.

والمعروف، ويزجر عن المنكر) [1]

وهكــذا رحت تقيم عليهم كــل أنــواع الحجج، وتشــرح لهم كيفية الخروج من كل تلك السـراديب المظلمـة الـتي ارتضـوها لأنفسهم، بدل أن يركبوا سفينة النجاة التي بشر بها رسول الله ﷺ، ودعا إليها، لقد قلت لهم: (فقد نظرنا لكم وأردنـا صـلاحكم، ونحن أولى الناس بكم. رسـول اللـه ﷺ (جـدّنا)، والسـابق إليـه المؤمن به (أبونا)، وبنته سيدة النسوان (أمّنا)، فمن نــزل منكم منزلتنا. فسارعوا عباد الله إلى دعوة اللّه، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكبَت عدوّكم، وتمنع حريمكم، وتأمن ساحتكم. وذلك أنّا نــنزع الجــائرين عن الجنــود، والخــزائن، والمــدائن، والفيء، والغنــائم، ونثبت الأمين المــؤتمن، غــير الراشــي والمرتشــي، الناقض للعهد. فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصــحنا لربّنا، وأدّينا الحقّ إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانـا ومنقلبنـا، فـأي هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم) [2]

إلى آخــر رسـالتك سـيدي، والمملـوءة بـالعبر والمواعـظ، وبكل القيم القرآنيـة النبيلـة الـتي تصـدق قـول رسـول اللـه ﷺ فيكم، وأنكم والقرآن مجتمعان لا تتفرقـان، حـتى تجتمعـا لديـه عند الحوض.

وقد كانت النتيجة التي آل إليهـا حالـك، وحـال من معـك لا تختلف كثيرا عن النتيجة التي آل إليها الإمام الحسين وأصحابه.. وقد كتب اللـه لـك الشـهادة.. وعلقت على الصـليب.. ولا يـزال صليبك إلى اليوم منارة من منارات الهداية.

[1] المرجع السابق، 7/87.

[2] المرجع السابق، 7/88.

ولكنا مع يقيننا سيدي بذلك الجزاء العظيم الـذي نلتـه عنـد الله، لا نستطيع أن نمسك دموعنا كلما سـمعنا اسـمك.. وكيـف نستطيع ذلك، وابن أخيك الإمام الصادق لم يكن يستطيع ذلـك.. وهو من هو.

لقـد حـدث حمـزة بن حمـران قـال: دخلت على الصـادق جعفر بن محمـد فقـال لي: يـا حمـزة من أين أقبلت؟ قلت لـه: من الكوفـة فبكى حـتى بلّت دموعُـه لحيتَـه فقلت لـه: يـا ابن رسول الله مالك أكثرت البكاء؟ فقـال: ذكـرت عمي زيـداً، ومـا صُنع به فبكيت. فقلت له: وما الذي ذكرت منـه؟ فقـال: ذكـرت مقتله وقد أصاب جبينه سـهم فجـاءه ابنـه يحـيى فـانكبّ عليـه، وقـال لـه: أبشـر يـا أبتـاه فإنـك تَـرِدُ على رسـول اللـه وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) قـال: أجـل يـا بُني ثمَّ دعا بحداد فنَـزع السـهم من جبينـه فكـانت نفسـه معـه فجيء به إلى ساقية تجـري عنـد بسـتان زائـدة فحُفـر لـه فيهـا ودُفن وأجـري عليـه المـاء، وكـان معهم غلام سـندي لبعضـهم فـذهب إلى يوسـف بن عمـر من الغـد فـأخبره بـدفنهم إيـاه فأخرجه يوسف بن عمر فَصَلَبه في الكناسة أربع سنين ثم أمـر به فأحرق بالنار وذُري في الرياح فلَعَن الله قاتلـه وخاذلـه وإلى الله (عز وجل) أشكو ما نزل بنـا أهـل بيت نبيـه بعـد موتـه وبـه نستعين على عدونا وهو خير مستعان)(1)

وحدث الفضـيل بن يسـار أنـه دخـل على الإمـام الصـادق، فرآه يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنهـا الجُمـان، ثم قال: يا فضيل شهدتَ مـع عمي قتـال أهـل الشـام؟ قلت: نعم. قــال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ســتة. قــال: فلعلــك شــاك في دمائهم؟ فقال الفضيل: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم. فقال الفضـيل:

---

1() أمالي الصدوق) (ص321)

فسمعته وهو يقول: (أشرَكَنيَ الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه)(1)

وعن عبد الله بن سيابة قال: (وصل إلى الإمام الصادق كتاب فيه خبر مقتل زيد فبكى، ثم قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله تعالى أحتسب عمي إنه كان نِعمَ العم، إن عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)(2)

وروي أنه قال لأبي ولّاد الكاهلي: (أرأيت عمي زيدا؟) قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت حنق وبين محزون محترق فقال الإمام الصادق: (أما الباكي فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه)(3)

ونحن نردد سيدي ما ردده الإمام الصادق، ونقول لكل أولئك الذين يمجدون الظلمة الذين قتلوك: مجدوهم كما تشاءون، ولكن لا تنسوا أنكم شركاء لهم في كل قطرة دم أسالوها، وأولها دمك يا زيد الشهيد.

## ثائرون على الدرب:

سيدي زيد.. يا ابن الثائرين.. ووالد الثائرين..

لقد استمر عطاؤك بعد استشهادك؛ فقد قام على دربك

(1) المرجع السابق، (ص286)

(2) أخبار الرضا (ج1ص252)

(3) كشف الغمة (ج2ص204)

ودرب آبائك الكثير من الأبطـال الثـوار الـذين لا نـزال نـذكرهم، ونعيش مآسيهم، وتفتخر ببطولاتهم..

حتى لـو لم يتحقـق لهم في ذلـك الحين مـا طلبـوه، لعـدم توفر القابلية في ذلك المجتمع الـذي استخف بـه الطغـاة، كمـا استخف فرعون بالمصريين، لكن دماءهم التي سقوا بهـا لأرض أنبتت أزهارا كثيرة، ويوشك أن يعـود الإسـلام بسـببها إلى نبعـه الأصيل الذي لم يدنس.

فلولا تلك الثروات ما عرفنا جرائم الأمويين، ولا العباسـيين من بعدهم، ولا عرفنا كيف شـوه الإسـلام، وحـرف عن مسـاره ليناسـب أهـواء المسـتبدين والظلمـة الـذين حولـوه إلى أفيـون للشعوب.

بعدك سـيدي قـام ابنـك يحي.. ومـا أدراك مـا يحي.. ذلـك الشاب البطل الذي كتب له أن يصلب مثلما صلبت.. وأن يظـل مصلوباً حتى ظهر أبو مسـلم الخراسـاني، فأنزلـه وصـلّى عليـه ودفنه وأمر بإقامة العزاء عليه في خراسان.

ذلك الذي قال فيه الشاعر:

أليس بعين اللّه ما      عشية يحيى موثق

كلاب عوت لا قدّس      فجئن بصيد لايحل

ذلـك الـذي بعث برأسـه إلى الوليـد، فبعث بـه الوليـد إلى المدينة وأمـر بـأن يوضـع في حجـر أُمـه ريطـة، فنظـرت إليـه، وقالت: (شـردتموه عنّي طـويلاً، وأهـديتموه إليّ قـتيلاً، صـلوات اللّه عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً)(1)

---

1() السيد علي خان المدني : رياض السالكين : 1 / 69 ـ 70..

ذلـك الـذي كـان لـه عنـد الإِمـام الصـادق مكانـة عظيمـة، وعندما سمع بشهادته وصلبه حزن حزنـاً شـديدا، وقـال: (إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين ابن علي صلوات اللّه عليه فنزع اللّـه ملكهم، وقتل هشام، زيد بن علي فنزع اللّه ملكه، وقتل الوليد، يحيى بن زيد، فنزع اللّه ملكه)(2)

وهكذا استمرت الثورة بعـد ابنـك يحي ببـني عمومتـك من أبناء الإمام الحسـن.. وقـد كـان منهم عبـد اللّـه المحض.. ذلـك الذي مات مخنوقا في سجن أبي جعفر الذي يسمونه منصـورا.. ولست أدري على من انتصر، ولا كيف انتصر.. لقد استشهد هـو ابن خمس وسبعين سنة.. ولم يرحمـوا قرابتـه من رسـول اللـه ﷺ، ولم يرحموا شيبته.

لقــد ذكـر المؤرخـون كيفيـة القبض عليـه، فقـالوا: (كـان المنصـور قبض على عبـد اللّـه بن الحسـن بن الحسـن بن علي وكثـير من أهـل بيتـه وذلـك في سـنة أربـع وأربعين ومائـة في منصـرفه من الحجّ، فحملـوا من المدينـة إلى الربـذة من جـادة العراق وكان ممّن حمله مع عبـد اللّـه بن الحسـن: إبـراهيم بن الحسـن بن الحسـن، وأبـو بكـر بن الحسـن بن الحسـن، وعلي الخـير، وأخـوه العبـاس، وعبـد اللّــه بن الحسـن بن الحسـن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، ومعهم محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد اللّـه بن الحسـن بن الحسن لأمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي، وجدتهما فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ.. فجرد المنصور بالربذة محمـد بن عبـد اللّـه بن عمـرو بن عثمـان فضـربه ألـف سـوط، وسـأله عن ابـني أخيـه محمــد وإبــراهيم فــأنكر أن يعــرف مكانهمــا، فســألت جدتــه العثماني في ذلك الوقت، وارتحل المنصور عن الربذة وهـو في

(2) البحار : 46 / 182 ح 46..

قبة، وأوهن القوم بالجهـد، فحملـوا على المحامـل المكشـوفة، فمر بهم المنصور في قبته على الجمازة، فصاح به عبد اللّـه بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنـا بكم يـوم بـدر، فصـيرهم إلى الكوفة، وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرّقـون بين ضـياء النهار وسواد الليل، وخلّـى منهم: سليمان وعبد اللّـه ابـني داود بن الحسـن بن الحسـن، وموسـى بن عبـد اللّـه بن الحسـن، والحسن بن جعفر، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطىء الفرات من قنطرة الكوفـة، ومواضـعهم بالكوفـة تزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكان قـد هدم عليهم الموضـع، وكـانوا يتوضّـوَن في مواضـعهم فاشـتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مـواليهم حـتى أدخـل عليهم شـيئاً من الغالية، فكانوا يدفعون بشـمها تلـك الـروائح المنتنـة، وكـان الورم في أقدامهم، فلا يـزال يرتفـع حـتى يبلـغ الفـوَاد فيمـوت صاحبه)

وذكروا (أنّهم لمّـا حبسـوا في هـذا الموضـع أشـكل عليهم أوقات الصـلاة، فجـزّأوا القـرآن خمسـة أجـزاء، فكـانوا يصـلّون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من جزئه وكـان عـدد من بقي منهم خمسة، فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيـف، فصعق داود بن الحسن فمات، وأتى برأس إبراهيم بن عبد اللّه فوجه به المنصـور مـع الربيـع إليهم فوضـع الـرأس بين أيـديهم وعبد اللّه يصلي، فقال له إدريس أخوه: اسرع في صلاتك يا أبـا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجـره، وقـال لـه: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، واللّه لقد كنت من الذين قال اللّه عـزّ وجلّ فيهم: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُـونَ الْمِيثَـاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 20ـ 21]، فقـال لـه الربيـع: كيـف أبـو القاسم في نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه... ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع: فقـال: قـل لصـاحبك قـد مضـى من بؤسنا أيّام ومن نعيمـك أيّـام؟ والملتقى، القيامـة. قـال الربيـع: فما رأيت المنصور قطّ أشدّ انكساراً منه في الوقت الذي بلغته الرسالة)[1]

للأسـف سـيدي هـذه الحقـائق صـارت مغيبـة، وصـار من لبسوا عمـائم الـدين يتواصـون على كتمانهـا، حـتى يبقى لـذلك الـذي سـموه منصـورا حرمتـه وقداسـته.. وهم لا يعلمـون أنهم بتقديسـهم لفرعـون يظلمـون موسـى.. وبتقديسـهم للطغـاة، يجعلون الدين أداة بأيديهم.

بعده خرج ابنـه محمـد المعـروف بـالنفس الزكيـة، والـذي استشهد بأيـدي من يسـمونه المنصـور.. وكـان في عهـد الإمـام الصـادق.. وقـد ذكـر المؤرخـون كيفيـة خروجـه، واستشـهاده، والجرائم الكثيرة التي حصـلت بسـبب ذلـك، فقـالوا: (في سـنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد اللّه بن الحسـن بن الحسـن بن علي بن أبي طـالب رضـي اللّـه عنهم بالمدينـة، وكان قـد بُويـع لـه من كثـير من الأنصـار وكـان يـدعى بـالنفس الزكية لزهده ونسكه، وكان مسـتخفياً من المنصـور ولم يظهـر حتى قبض المنصور على أبيـه عبـد اللّـه بن الحسـن وعمومتـه، وكثير من أهله وعدتهم، ولما ظهر محمد بن عبد اللّـه بالمدينـة، استشار إسحاق بن مسلم العقيلي وكـان شـيخاً ذا رأي وتجربـة فأشار إلى مـا لم يستحسـنه أبـو جعفـر وبينمـا كـان يتفكـر في كيفية المقابلة مع محمد بن إبراهيم بلغه أنّ إبراهيم أخـا محمـد

---

[1] () مروج الذهب : 3 / 298..

خـرج بالبصـرة يـدعو إلى أخيـه، فبعث عيسـى بن موسـى في أربعة آلاف فـارس وألفي راجـل وأتبعـه محمـد بن قحطبـة في جيش كثيف فقاتلوا محمداً بالمدينـة حـتى قتـل وهـو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه، محمد بن عبد اللّــه وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثّل:

أبالمنازل ياخير      يفجع بمثلك في الدنيا

اللّه يعلم أنّي لو      وأوجس القلب من

لم يقتلوه ولم      حتى نموت جميعاً أو

وقد كان تفرّق أخوة محمد وولده في البلـدان يـدعون إلى إمامته فكان فيمن توجه ابنـه، علي بن محمـد إلى مصـر فقتـل بها، وسـار ابنـه عبـد اللّـه إلى خراسـان فهـرب لمـا طُلب، إلى السند فقتل هناك، وسار ابنه الحسـن إلى اليمن فحبس فمـات في الحبس، وسـار أخـوه موسـى إلى الجزيـرة، ومضـى أخـوه يحيى إلى الري، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد اللّه إلى المغرب فأجابـه خلـق من النـاس، فبعث المنصـور من اغتالـه بالسـم وقـام ولـده إدريس بن إدريس بن عبـد اللّـه بن الحسن بن الحسن مقامه)[1]

وهكذا استعمل الطغاة كل وسائلهم للقضاء على كل ثورة وحركـة تـدعو إلى عـودة القـرآن للسـلطان.. ولكن المغيبـة عقولهم، لا زالوا حريصين على السلطان، وعلى اعتبار الأمويين والعباسيين والعثمانيين وكـل أصـحاب الملـك العضـوض حكامـا شرعيين، يمثلون الرسالة الإلهية.

مع أن كبار العلماء الـذين يعتـبرونهم، كـانوا مخـالفين لهم

---

1() مروج الذهب : 3 / 294 ـ 296.

في ذلـك، فقـد ذكـر المؤرخـون أن الإمـام أبـا حنيفـة بـالعراق، والإمام مالك بالمدينـة كانـا يؤيـدان ثـورة النفس الزكيـة وأخـاه إبراهيم، وقد كـان ذلـك من أسـباب المحن الـتي حصـلت لهمـا (1) .

وقد ذكر أبو زهرة المحنة التي تعرض لها أبو حنيفة بسبب موقفــه من تلــك الثــورة، فقــال: (اســتقبل أبــو حنيفــة عهــد العباسيين بارتياح، فقد رأى اضطهاد الأمويين لبني علي بن أبي طالب وأهل بيت النـبي محمـد ﷺ، واسـتمر على ولائـه للدولـة العباسية لمحبته لآل البيت جميعاً، ولقد كان الخليفـة أبـو جعفـر المنصور يدنيـه ويعليـه ويرفـع قـدره ويعطيـه العطايـا الجزيلـة، ولكنه كان يردها ولا يقبل العطاء، ولم يُعرف عن أبي حنيفة أنه تكلم في حكم العباســيين حــتى نقم عليهم أبنــاء علي بن أبي طالب، واشتدت الخصومة بينهم، وقد كان ولاء أبي حنيفة لبـني علي، فكان طبيعيـاً أن يغضـب لغضـبهم، وخصوصـاً أن من ثـارا على حكومة أبي جعفر هما محمـد النفس الزكيـة بن عبـد اللـه بن الحســن، وأخــوه إبــراهيم بن عبــد اللــه بن الحســن، وكــان أبوهما عبد الله ممن اتصل به أبو حنيفة اتصالاً علمياً، وقد كــان عبد الله وقت خروج ولديه في سجن أبي جعفر، ومات فيه بعد مقتل ولديه)(2)

ثم ذكر دلائل نصرة أبي حنيفة لثورة محمد النفس الزكية،

---

1() قال في [الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (1/ 205)] نقلا عن ابن خلدون: ( ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان أن إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا وكان أبـو حنيفـة يقـول بفضـله ويحتج لحقه فتأدت إلى الإمامين المحنة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور حـتى ضـرب مالك رضي الله عنه على الفتيا في طلاق المكره وحبس أبو حنيفة رضي اللـه عنـه على القضاء)

2() أبو حنيفة، محمد أبو زهرة، ص42-44.

فقال: (كان موقف أبي حنيفة من خـروج محمـد النفس الزكيـة على المنصور شديداً، فقد كان يجهر بمناصـرته في درسـه، بـل وصـل الأمـر إلى أن ثبـط بعض قـواد المنصـور عن الخـروج لحربه.. وكان هذا العمل في نظر المنصور من أخطـر الأعمـال على دولته، لأن أبا حنيفة تجاوز فيـه حـد النقـد المجـرد والـولاء القلبي إلى العمل الإيجابي، فأراد المنصور أن يختبر طاعـة أبي حنيفة وولاءه له، وقد كان يبـني بغـداد آنـذاك، فـأراد أن يجعلـه قاضياً، فامتنع أبو حنيفة، فأصر المنصور على أن يتولى له عملاً أياً كان، فقبل أبو حنيفة أن يقوم ببعض أعمال البنـاء من إعـداد اللِّبن ومـا شـابه ذلـك، فاسـتطاع بـذلك أن يغمض عنـه عين المنصور)[1]

وذكر ما حصل له بعد ذلك، لأن أصـحاب الملـك العضـوض لم يكونوا ليرضوا لمن يتهمـونهم بأمثـال تلـك العقوبـات، قـال: (لقد كان أبو حنيفة يميـل إلى أبنـاء علي بن أبي طـالب، وكـان ذلك يبدو على لسانه في حلقة درسه وبين تلاميذه، وكان يجهـر بمخالفة المنصور في غاياته عندما يستفتيه، كما كان يمتنـع عن قبول العطاء من المنصور، وكان ينقد القضاء نقداً مراً إذا وجـد فيه ما يخالف الحق في نظره، من غير أن يلتفت إلى ما يجـره ذلك النقـد من ضـياع روعـة الأحكـام.. وعنـدما دعـا أبـو جعفـر المنصور أبا حنيفة ليتولى القضـاء امتنـع، فطلب منـه أن يَرجـع إليه القضاة فيما يشكل عليهم ليفتيهم فامتنع، فأنزل به العذاب بالضـرب والحبس، أو الحبس وحـده على اختلاف الروايـات، ويـروى أن أبـا جعفـر حبس أبـا حنيفـة على أن يتـولى القضـاء ويصير قاضي القضاة، فأبى حتى ضُرب مئـة وعشـرة أسـواط، وأخرج من السـجن على أن يلـزم البـاب، وطلب منـه أن يفـتي

---

1() المرجع السابق، ص46.

فيما يرفع إليه من الأحكام، وكان يرسل إليه المسائل، وكـان لا يفـتي، فـأمر أن يعـاد إلى السـجن، فأُعيـد وغُلـظ عليـه وضُـيق تضييقاً شديداً.. وقد اتفق الرواة على أنه حُبس، وأنه لم يجلس للإفتاء والتدريس بعد ذلك، إذ إنه مات بعد هذه المحنة أو معها، ولكن اختلفت الرواية: أمات محبوسـاً بعـد الضـرب الـذي تكـاد الروايات تتفق عليه أيضاً؟ أم مـات محبوسـاً بالسـم فلم يُكتـف بضربه بل سقي السم ليعجل موته؟ أم أُطلـق من حبسـه قبـل موته فمات في منزله بعد المحنة ومُنع من التـدريس والاتصـال بالناس؟ كل هذه الروايات رُويت)[1]

وهكذا حصل للإمام مالك الذي ضرب ضربا شديدا، بسـبب فتواه ذلك الحين بعدم وقوع طلاق المُسـتَكرَه الـذي تم إجبـاره على إيقاع الطلاق على غير إرادةٍ منه.. ومع أن الفتـوى عاديـة، وهي محل اتفاق بين الفقهاء إلا أن المستبدين من بني العبـاس فهموا منها أن مالكا يفتي الناس بجـواز خلـع بيعتهم للمنصـور.. لأنهم بايعوه كرها.

ولكن من يزعمــون أنهم تلاميــذ مالــك وأبي حنيفــة الآن يصـرون على تعظيم المنصـور، وتعظيم كـل أصـحاب الملـوك العضوض، غافلين عن الجـرائم الـتي ارتكبوهـا لا في حـق أهـل البيت فقط، وإنما في حق أئمتهم الذين يتبعونهم ويقلدونهم.

وهكذا ذكر أبو زهرة ما فعـل بالإمـام الشـافعي الـذي كـاد يقتل بسبب اتهامـه بـالولاء لأهـل الـبيت، فقـد قـال: (لمـا نـزل الشافعي باليمن، ومن أعمالها نجران، كان بها والٍ ظالم، فكان الشافعي يأخذ على يديه، أي ينصحه وينهاه، ويمنـع مظالمـه أن تصـل إلى من تحت ولايتـه، وربمـا نـال الشـافعي ذلـك الـوالي

---

[1]() المرجع السابق، ص57.

بالنقد، فأخذ ذلك الوالي يكيد له بالدس والسعاية والوشاية. وفي ذلك الزمانِ الذي كان فيه الحكمُ للعباسيين، كان العباسيون يُعادون خصومَهم العلويين، لأنهم يُدلون بمثل نسبهم، ولهم من رحم الرسول محمد ما ليس لهم، فإذا كانت دولة العباسيين قامت على النسب، فأولئك يَمُتُّون بمثله، وبرحم أقرب، ولذا كانوا إذا رأوا دعوة علوية قضوا عليها وهي في مهدها، ويقتلون في ذلك على الشبهة لا على الجزم واليقين، إذ يرون أن قتل بريء يستقيم به الأمر لهم، أولى من ترك مُتَّهمٍ يَجوز أن يُفسد الأمنَ عليهم.. وجاء والي نجران العباسيين من هذه الناحية، واتهم الشافعي بأنه مع العلوية، فأرسل إلى الخليفة هارون الرشيد: (إن تسعة من العلوية تحرَّكوا)، ثم قال في كتابه: (إني أخاف أن يخرجوا، وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي)، وقيل أنه قال في الشافعي: (يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه)، فأرسل الرشيد أن يَحضرَ أولئك النفرُ التسعةُ من العلوية ومعهم الشافعي. ويقال أنه قتل التسعة، ونجا الشافعي؛ بقوة حجته، وشهادة القاضي محمد بن الحسن الشيباني، أما قوة حجته فكانت بقوله للرشيد وقد وجه إليه التهمةَ بين النطع والسيف: (يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده، أيهما أحب إلي؟)، قال: (الذي يراك أخاه)، قال: (فذاك أنت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس، وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس تروننا إخوتكم، وهم يروننا عبيدهم، وأما شهادة محمد بن الحسن الشيباني فذلك لأن الشافعي استأنس لما رآه في مجلس الرشيد عند الاتهام، فذكر بعد أن ساق ما ساق أن له حظاً من العلم والفقه، وأن القاضي محمداً بن الحسن يعرف ذلك، فسأل الرشيدُ محمداً، فقال: (له من العلم

حظٌ كبير، وليس الذي رُفع عليه من شأنه)، قـال: (فخـذه إليـك حتى انظرَ في أمره)، وبهذا نجا)[1]

وقد عبر الشافعي عن هذه التهمة الـتي اتهم بهـا في تلـك الأبيات المشهورة عنه، والتي رواها الربيع بن سـليمان عنـه في قوله: (خرجنا مع الشافعي من مكة نريـد مـنى فلم نـنزل واديـا ولم نصعد شعبا إلا وهو يقول

| | |
|---|---|
| يا راكبا قف بالمحصب | واهتف بقاعد خيفها |
| سحرا إذا فاض | فيضا كملتطم الفرات |
| إن كان رفضا حب آل | فليشهد الثقلان أني [2] |

لكن مع ذلك كله استطاع الطغاة والمستبدون أن ينشروا النصب في الأمة، لتعـادي أهـل بيت نبيهـا، أو لتجمـع بينهم وبين أعدائهم، لتعيش التناقض بكل معانيه.

## منتصرون رغم المحن:

لم تجهض كل تلـك الثـورات سـيدي.. بـل اسـتطاع الكثـير منها أن يؤتي ثماره، ولو بعد حين..

ولن أعدد لك أولئك الثـوار الأبطـال الـذين نجحـوا في أداء أدوارهم في جميع بلاد العالم الإسـلامي، ولكـني سأقتصـر على رجل منهم جعله الله شمسا تشرق على المغرب، فتنتشـر فيهـا الإسلام الذي قصرت السيوف في نشـره، أو شـوهت السـيوف قيمه، فصرفت الناس عنه.

---

1() الشافعي، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، ص22.

2() طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (1/ 299)

إنه إدريس الأول.. ناشر الإسلام الأكبر في المغرب.. ذلـك الذي قال الامام الرضا ثامن أئمـة أهـل الـبيت في ابنـه إدريس الثاني: (إدريس بن إدريس ابن عبد اللّه من شجعان أهل الـبيت واللّه ماترك فينا مثله)(1)

ذلك الذي لا نـزال نقـرأ رسـالته الـتي كتبهـا لأهلهـا حينهـا، يبشرهم بالإسـلام المحمـدي الأصـيل الـذي لم يدنسـه أصـحاب الملك العضوض.

لقد كتب في رسالته (2) يقول لهم: (الحمدلله الـذي جعـل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَندَ عنه، ولا إله إلا اللــه المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطف تدبيره، الذي لا يُدْرَكُ إلابأعلامه وبيناتـه، سـبحانه منزهـاً عن ظلم العباد وعن السوء والفساد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُـوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:10]، وصـلى اللـه على محمـد عبـده ورسـوله وخيرتـه من جميـع خلقـه، انتجبـه واصـطفاه واختـاره وارتضاه صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين)

ثم ذكر بعد هـذه الديباجـة أهدافـه من دعوتـه لهم، فقـال: (إنِّي أدعـوكم إلى كتـاب اللـه وسـنة نبيـه ﷺ، وإلى العـدل في الرَّعية، والقسم بالسوية، ودفـع الظـالم والأخـذ بيـد المظلـوم، وإحياء السنة وإماتة البدعـة، وإنفـاذ حكم الكتـاب على القـريب والبعيد، فـاذكروا اللـه في ملـوك تَجبَّروا وفي الأمانـات خـتروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، وولد نبيـه قتلـوا، وأذكـركم اللـه في أرامل افتقرت، ويتامى ضُيِّعَتْ، وحـدود عطلت وفي دمـاء بغـير حق سفكت، قـد نبـذوا الكتـاب والإسـلام ورآء ظهـورهم كـأنهم

---

1() ابن عنبة : عمدة الطالب : 159.

2() نص الرسالة في أخبار فخ، ص49.

لايعلمـون، فلم يبـقَ من الإسـلام إلا اسـمه ولا من القـرآن إلا رسمه)

ثم بين لهم ضرورة مواجهة تلك التحريفات الـتي قـام بهـا أصحاب الملـك العضـوض، فقـال: (واعلمـوا عبـاد اللـه أن ممـا أوجب الله على أهل طاعته المجاهـدة لأهـل عداوتـه ومعصـيته باليد واللسـان، فباللسـان الـدعاء إلى اللـه بالموعظـة الحسـنة والنصـيحة والتـذكرة، والحض على طاعـة اللـه، والتوبـة من الـذنوب والإنابـة والإقلاع والـنزوع عمـا يكـره اللـه، والتواصـي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصـي الله كلها، والتعليم والتقويم لمن اسـتجاب للـه ولرسـوله، حـتى تنفذ بصائرهم ويكمـل علمهم، وتجتمـع كلمتهم، وتنتظم إلفَتُهُم، فإذا اجتمع منهم من يكون للفسـاد دافعـاً، وللظـالمين مقاومـاً، وعلى البغي والعدوان قاهرا، أظهروا دعوتهم ونـدبوا العبـاد إلى طاعـة ربهم، ودافعـوا أهـل الجـور عن ارتكـاب مـا حـرم اللـه عليهم، وحـالوا بين أهـل المعاصـي وبين العمـل بهـا فـإن في معصية الله تلفا لمن ركبها، وهلاكاُ لمن عمل بها)

ثم بين لهم شـروط النصـر، مسـتدلا على ذلـك بـالقرآن الكريم الذي لم يكن يفارق أحـدا من دعـاة وأئمـة أهـل الـبيت، فقال: (ولا يؤيسنكم من علو الحق وإظهاره وقلة أنصـاره، فـإن فيما بدء به من وحدة النبي ﷺ، والأنبياء الداعين إلى اللـه قبلـه وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلـة دليلاً بين، وبرهانـاً واضحاً، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَـدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:123]، ﴿وَلَيَنصُـرنَّ اللـه مَن يَنْصُـرَهُ إِنَّ اللـه لَقَـوِيٌ عَزيـز﴾[الحج40]. فنصـر اللـه نبيـه، وكثَّر جنـده وأظهـر حزبـه، وأنجز وعده، جزاء من الله له وثواباً لفعله وصبره وإثاره طاعـة ربه ورأفته بعباده ورحمته وحسـن قيامـه بالعـدل والقسـط في

بريته، ومجاهدة أعدائه وزهده فيما زهده فيه، ورغبته فيما ندبه إليه، ومواساته أصحابه، وسعة خلقه، كما أدبه الله وأمره وأمر العباد باتباعه، وسلوك سبيله، والإقتداء بهديه واقتفاء أثره فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم كما قال عز وجل: إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ[محمد: 7]. وقال: وَتَعَاونُوا عَلى البِرِّ وَالتَقوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلى الإِثمِ والعُدُوَان [المائدة:2]، وقال تعالى: إِنِّ الله يَأْمُرُ بالعَدِلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذي القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغي يَعِظُكُمْ لَعَلَكُمْ تَذَكَرُونْ [النحل: 90]، وكما مدحهم وأثنى عليهم إذ يقول: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَت للنَّاسِ تَأْمُرُوَنَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَن المُنْكَر وَتُؤمِنُونَ بالله[آل عمران: 110]، وقال عز وجل: والمُؤمِنٌون وَالمُؤمِنَات بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرٌون بالمعرُوف وَيَنْهَون عَنِ المُنْكِر[التوبة: 71]، ففرض الله عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان به والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه، فقال عز وجل: قَاتِلُوْا الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُون بالله وَلاَ بِاليومِ الأَخِرِ وَلاَ يُحَرّمُونَ مَا حَرَّم الله وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحقِ[التوبة: 29]، وفرض قتال العاندين عن الحق، والباغين عليه، ممن آمن به وصدق بكتابه حتى يعودوا إليه ويفيئوا، كما فرض الله قتال من كفر به وصد عنه حتى يؤمن ويعترف بدينه وشرائعه، فقال تعالى: وَإِنْ طَائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِين اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوا بَينَهُمَا فإِنْ بَغتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغي حَتى تَفِئ إِلى أمْرِ الله[الحجرات:9])

ثم راح يدعوهم إلى الدين الحق الذي شوهه أصحاب الملك العضوض وسدنتهم من علماء السلطان، فقال: (فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم في التعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجبا وحكما من الله لازما، فأين عن الله تذهبون، وأنى تؤفكون، وقد جابت

الجبـابرة في الآفـاق شـرقا وغربـا، وأظهـروا الفسـاد وامتلأت الأرض ظلما وجـوراً، فليس للنـاس ملجـأ ولا لهم عنـد أعـدائهم حسن رجاء. فعسى أن تكونـوا معاشـر إخواننـا من الـبربر اليـد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القـائمين بحـق المظلومين من ذرية خاتم النبيئين، فكونوا عند اللـه بمنزلـة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبئيين والصديقين)

ثم راح يحـدثهم عن نفسـه، وعن المآسـي العظيمـة الـتي حصلت لأهل البيت، فقال: (و اعلموا معاشر البربر أني نـاديتكم وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشـريد الخـائف الموتـور الـذي كثر واتروه، وقل ناصروه، وقتـل إخوتـه وأبـوه، وجـده وأهلـوه، فاجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال اللـه تعـالى: ﴿ومَن لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَـهُ مِنْ دُونِـهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الأحقاف: 32]. أعاذنا الله وإيـاكم من الضلال وهدانا وإيـاكم إلى سـبيل الرشـاد.. وأنـا إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسـن بن علي بن أبي طـالب، رسـول اللـه ﷺ، وعلي بن أبي طـالب، جـداي، وحمـزة سـيد الشـهداء وجعفر الطيار في الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمــة بنت أسد الشفيقة برسول الله جدتاي، وفاطمة بنت رسـول اللـه ﷺ سيدة نساء العالمين، وفاطمة بنت الحسين سـيدة بنـات ذراري النبيين أُمَّاي، والحسن والحسين إبنا رسول الله أبواي، ومحمــد وإبراهيم إبنا عبدالله المهدي والزاكي، أخواي)

ثم ختم رسـالته لهم بقولـه: (فهـذه دعـوتي العادلـة غـير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظـه أخطأ، وَسَيرى ذلك عالم الغيب والشهادة إني لم أسفك له دمـا ولا أستحللت له محرماً ولا مالاً واستشهدك يـا أكـبر الشـاهدين شهادة، وأستشهد جبريل وميكائيـل أني أول من أجـاب وأنـاب،

فلبيـك اللهم لبيـك.. اللهم مـزجي السـحاب، وهـازم الأحـزاب، مسير الجبال سراباً بعد أن كانت صماً صلاباً، أسالك النصر لولد نبيك إنك على ذلك قادر)

هـذه رسـالته إليهم.. وقـد كـان قدومـه كقـدوم العافيـة والدواء.. حيث نشـر اللـه بـه الإسـلام المحمـدي الأصـيل؛ حيث اسـتطاع أن يـدعو القبائـل اليهوديـة والوثنيـة إلى الإسـلام، ويعرفهم به، ويدخلوا فيه أفواجا، ذلك أن الفـاتحين العسـكريين لم يكن لهم الـوقت للجلـوس للنـاس وتعليمهم، وإنمـا اكتفـوا بالتوسع العسكري عن الدعوة إلى الله تعالى.

فقد ذكر المؤرخون أن قبائل زناتة وزواغة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة القبائل الأمازيغية في المغرب الأقصى، وبعـد أن رأوا صـفات إدريس الأكـبر وأخلاقـه العاليـة وعلمـه العظيم راحوا يبايعونه، ويقومـون معـه بنشـر الإسـلام وتعريـف الناس به في كل المنـاطق الـتي لم تـدخل الإسـلام بعـد.. لكن حقد هارون وصل إليه عبر إرسال من قتله.

ولذلك كان دور إدريس الأكبر الـدعوي هـو الفتح الحقيقي، وقـد التفت بـه القبائـل الأمازيغيـة بعـد أن رأت فيـه النمـوذج الحقيقي الذي يمثل الإسلام.

لكن الطاغية هارون الذي لم يكن يفكر في نشـر الإسـلام، وإنما كان يفكر في ملكه وفي الإتاوات التي تأتيـه من المغـرب والمشرق، راح يرسل له من يقـوم بقتلـه، متجـاهلا تلـك الأدوار الدعوية العظيمة التي كان يقوم بها هناك.

وقد قال حينها بعض الشـعراء من المـوالين لبـني العبـاس يذكر قتله، ويصور في نفس الوقت اليد الإجرامية لبني العباس،

والتي لم تكن تتوقف أبدا (1):

| | |
|---|---|
| أتظن يا إدريس أنك | كيد الخليفة أو |
| فليدركنّك أو تحلّ | لا يهتدي فيها إليك |
| إن السيوف إذا | طالت وتقصر |
| ملك كأن الموت يتبع | حتى يقال تطيعه |

وصدق الشاعر فيما قال، فلم يكن إدريس أول أو آخر قتيل من آل بيت النبوة يقوم هارون بقتله، وإنما قتل الكثير، ومنهم الإمام موسى الكاظم الذي تتفق الأمة جميعا على صلاحه وتقواه وعلمه الغزير، وكونه إماما من أئمة بيت النبوة، وكونه في نفس الوقت من المظلومين الذي شملهم بطش هارون ليس بالقتل فقط، وإنما بالسجن قبل ذلك.

ففي الوقت الذي كان الشعراء يتمتعون فيه بالصلات والجوائز كان الإمام موسى الكاظم وغيره من الصالحين يسكنون غياهب السجون، في انتظار لحظة الموت التي يحددها السفاح الذي سمته العقول المتناقضة رشيدا، يقول الشيخ محمد جواد مغنية معبرا عن محنة الإمام الكاظم: (أرسل الرشيد جلاوزته إلى الإمام موسى بن جعفر، وكان يتعبد عند قبر جده، فأخرجوه منه، وقيدوه، وأرسله الرشيد إلى البصرة، وكان عليها عيسى بن جعفر بن المنصور، فحبسه عنده سنة، ثم كتب عيسى إلى الرشيد أن خذه مني، وسلمه إلى من شئت، وإلا خليّت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك. فحبسه ببغداد عند الفضل بن الربيع، ثم عند

---

1() مقاتل الطالبيين (ص: 408)

الفضل بن يحيى، ثم عند السندي بن شاهك، وأخيراً تخلص منه بالسم)[1]

ولم يكتف هارون بذلك، بل راح يمارس جرائمه في كل من له صلة به من أهل بيت النبوة أو غيرهم حتى النساء لم ينجين من جرائمه، يقول السيد محسن الأمين: (بعد وفاة الإمام الكاظم أرسل الرشيد أحد قواده إلى المدينة، وهو الجلودي، وأمره أن يهجم على دور آل أبي طالب، ويسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً، فامتثل الجلودي، حتى وصل إلى دار الإمام الرضا، فجعل الإمام النساء كلهن في بيت واحد، ووقف على باب البيت، فقال الجلودي: لابد من دخول البيت وسلب النساء فتوسل إليه وحلف له أنّه يأتيه بكل ما عليهن من حلي وحلل على أن يبقى الجلودي مكانه ولم يزل يلاطفه حتى أقنعه، ودخل الإمام، وأخذ جميع ما على النساء من ثياب ومصاغ وجميع ما في الدار من أثاث، وسلمه إلى الجلودي، فحمله إلى الرشيد)[2]

وهكذا كانت جرائم هارون في حق أهل بيت النبوة كثيرة لا يمكن حصرها، فمنذ تسلم زمام الحكم من سنة 170 هـ حتى سنة 193 هـ أدار صراعات مختلفة مع العلويين فقتل، وعذّب الكثير منهم، مستنا في ذلك بسنة أهل الملك العضوض ابتداء من معاوية وابنه يزيد.

لكن هارون مع ذلك لم يزل يصور بصورة الخليفة العادل على الرغم من كل جرائمه، ذلك أن الترسانة الكبرى التي استعملها أصحاب الملك العضوض راحت تزين جرائم

---

1() الشيعة والحاكمون، مغنية، ص 162.

2() أعيان الشيعة، ج 1، ص 29..

المجـرمين، وتكتب فيهم كـل قصـائد الثنـاء والمـدح، في نفس الوقت الذي ترمي فيه تلك العترة الطـاهرة في أتـون النسـيان والإهمال والسباب، وكل أنواع الشتائم.

ومن العجيب أن يتولى الثناء على هارون بعض من يدعون نسـبتهم إلى إدريس، والـذين يبنـون أمجـادهم وأمجـاد أسـرهم عليه، ويشهدون له بالصلاح والتقوى، ويزورون ضريحه، ويحيون كـل المناسـبات الـتي ترتبـط بـه، وبـالكثير من أولاده وحفدتـه، لكنهم يترضـون في نفس الـوقت عن قاتلـه هـارون، ويـذكرون مناقبه، ولست أدري كيف يوفق بين هذا وذاك.

فإن كان موقف هارون صالحا وعـادلا، فـإن إدريس الأكـبر كان مستحقا لما حصل له، ولذلك لا يصح أن يعتبر من الأوليـاء، ولا من الصـالحين.. وإن كـان العكس، فـإن حكم هـارون حكم إجرامي واستبدادي، ولا يصح حينها السكوت عن هـذه الجريمـة حتى لو تعلقت بقتل مسلم واحد، وكيـف وهـارون قتـل المئـات بل آلاف من الصالحين، وهذا ما تذكره كل المصادر التاريخية.

هذه سيدي زفرات ألم بثثتها إليك وإلى آباك وأبنائك وأهـل بيتك.. ويعلم الله أني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم.. ولا أبالي في حبكم ونصرتكم بالعـاذلين والعـاتبين والمـوبخين.. بل لا أبالي بالمهددين والمجرمين والإرهابيين.. فمـا أشـرف أن تختلـط دمـائي بـدمائكم.. ومـا أشـرف أن يُعلـق محبكم في الصـلبان الـتي علقتم فيهـا.. فهي عـروش الكرامـة، ومحـال العـزة.. وهي فـردوس الـدنيا الـذي يتشـرف أصـحابه بـالحظوة بفردوس الأخرى.

## هذا الكتاب

هـذا الكتـاب زفـرات ألم على المظـالم الـتي تعـرض لهـا أقـارب رسـول اللـه ﷺ ابتـداء من أمـه وأبيـه، واللـذين رميـا بالشرك، وحكم عليهما بأنهما من أهل النـار، بينمـا اعتـبر جميـع المشركين بمنجاة منها، لأنهم من من أهل الفترة.

وهـو زفـرات ألم في حـق أبي طـالب عم رسـول اللـه ﷺ ذلك الذي فداه بكل شيء، وضـحى في سـبيله بكـل مـا يملـك، لكنهم يذكرون أنه مات على الشرك، مع أنه لم يعـرف الشـرك في حياتـه، وآمن برسـول اللـه ﷺ قبـل أن يتـنزل عليـه ملاك الوحي.

وهو زفرات ألم في حق خديجة سيدة نساء العـالمين تلـك الطاهرة التي وضعها رسول الله ﷺ مـع مـريم وآسـية وفاطمـة في محـل واحـد.. والـتي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنـه لم يعـوض بمثلها، ولا بمن يدانيها، ولكننا لا نكاد نسمع بها.

وهـو زفـرات ألم في حـق الإمـام الحسـين وأصـحابه في الطفوف.. والذي صار ذكـرهم بدعـة، والبكـاء عليهم هرطقـة.. والتغني بأعدائهم سنة.

وهو زفرات ألم في حق أولئـك الأبطـال المنسـيين الـذين كانوا أكـبر من نصـر الإسـلام، وفـدوه بأنفسـهم، لكنهم أهملـوا، ونسب الفضل لغيرهم.

وهو زفرات ألم في حق أولئك الثـوار المضـطهدين الـذين قاموا لمواجهة الاستبداد والظلم وتحريف الدين، فقمعوا وقتلـوا وعلقوا في الصلبان وامتلأت بهم السجون.